RAR-343

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

A.U.B. LIBRARY

CA
892.78
F526FA

فيليب جبران فرنيني

في سويعات الفراغ

نوادر - تاريخ - اقتصاد - سياسة

طبع بمطبعة صادر — بيروت * باب ادريس سنة ١٩٣٨

مقدمة

جمعتُ ما أُتيح لي ان اكتبهُ في مواضيع مختلفة في سويعات فراغي ، وبعضهُ ما يرجع الى عهد الصبا ؛ وطبعتهُ في هذا الكتاب الذي دعوتهُ « في سويعات الفراغ » لا طلباً للربح ولا طموحاً الى الشهرة بل حفظاً لآثارٍ عزيزة عليَّ وتأييداً لخطةٍ اعتقد انها هي الانجع لهذه البلاد

وعسى ان تحوز اقبالاً وقبولاً عند كل مثقفٍ ناضجٍ يقع بين يديه كتابي هذا

وقد يكون هناك بعض هفوات ارجو القارئ ان يغضَّ النظر عنها .

فيليب عبدالله فرنيني

بيروت — في ٧ حزيران سنة ١٩٣٨

اقدم هذا الكتاب

الى اولادي الاعزاء

كابريال ودايزي ودانيال

فيليب جيرار فرنيني

باب القصص

امانة كلب

حكي ان رجلاً كان له كلب وكان يحبه جداً فحدث يوماً من الكلب ما اغضب امرأة الرجل فطردته من عندها ولم يمض بضع سنين حتى سافر رجلها وبينا هو في بعض الطريق اذ اقبل المساء فقصد نحو خان هنالك ولما دخله رأى كلباً قد جاء اليه فاشتمّه اولاً ثم أخذ يصبص بذنبه تارةً ويثب الى ثيابه اخرى. وكان الرجل مع ذلك لا يلتفت اليه ولكنه لما رأى اكثاره في ذلك قال لعلّ هذا الكلب هو كلبي

ثم دخل غرفة ونام فيها وبقي الكلب لدى الباب . ولما انتصف الليل عمد الكلب الى الرجل فأخذ بثيابه وحاول اجتراره فهب الرجل من فراشه مذعوراً ودفع الكلب عنه ثم رجع فنام اما الكلب فانه عاد وصنع نظير الاول فنهض الرجل ثانية وطرده الى خارج الغرفة ثم عاد الى فراشه ولكنه لم يلبث قليلاً حتى رأى ان الكلب قد اقبل نحوه فادهشه ذلك وقال لا بد في الامر من شيء

فنهض من الفراش وبينا هو ينظر في نواحي الغرفة اذا بسيف قد سقط من السقف فاخترق الفراش . فاستهول الامر ولشدة الخوف احيى ما بقي من الليل ولما انبثق الفجر خرج فاخبر الشرطة بالخبر فحضرت الشرطة وبينا هي تبحث رأت في الخان بئراً مملوءة من عظام الموتى مما اكّد لهم ان اصحاب الخان هم جماعة لصوص فامسكوا بهم للحال وقادوهم الى السجن .

في ٥ تشرين اول ١٨٩٣

الاكّيل الدرزي

حكي ان رجلاً درزياً كان غايةً في الاكل وكان غنياً جداً فاراد ان يصير عاقلاً فأتى شيخ العقل وقال له أرغب اليك ان تدخلني في جماعتكم قال الشيخ لا طاقة لي بذلك لاني اعلم انك شره قال كيف تقول ذلك وانا لا آكل الا شبعي ثم لم يزل بالشيخ على ذلك حتى قال له اذهب الآن لافكّر بالمسألة وعد اليّ من الغد

فذهب الرجل ولما كان من الغد عاد الى الشيخ فاستقبله وقال له قد عمدت الى ادخالك معنا لكن أحب منك قبل ان تدخل ان تنقطع في غرفة نحواً من ستة اشهر لأرى في خلالها الى ما تصير اليه حالك

ثم سأله الشيخ عما يكفيه من الدقيق في اليوم فقال رطلين . فانفذ الشيخ فاتى بقطعة خضراء من التين تزن رطلين وقال للرجل هل لك ان ادلّك على امر ان انت واظبتني عليه كان فيه صلاح لك

قال وما ذاك قال تأكل من الدقيق كل يوم في هذه المدة بقدر ما تزن القطعة ويعجن هذا الدقيق ويجعل رغيفاً واحداً قال الرجل ولمَ هذا قال الشيخ لاني خفت ان قيّم الطعام اذا لم يكن عنده ما يزن يغلط في بعض الاحيان فيأتيك بما ليس هو معيّناً لك

فاستحسن الرجل كلام الشيخ وعمل بموجبه فجعل يأكل كل يوم ما يأتونه به ولم يمض على القطعة ايام حتى جفّت وخفّ بذلك مقدار الدقيق

وكان الرجل مع ذلك لا يشعر

وما زالت القطعة تخفّ بالتدريج حتى اذا اقترب آخر المدة واصبحت القطعة لا تزن الاّ اقة واحدة بعدما كان وزنها رطلين وافاه الشيخ سائلاً عن امرهِ في كل هذه المدة قال : بما يسرُّ الخاطر

قال وهل شكوت من الجوع ، قال لا قال يا عجب لقد صنعنا معك يا رجل فعلاً يستحق الذكر واخبره الشيخ بالقصة وادخله في جماعته ..

في ١٢ تشرين اول ١٨٩٣

الرجل والحمار والخروف

حكي ان جماعة ركبوا حميراً وساروا بكرة يريدون التنزه في مقام الامام الاوزاعي فبينما هم في الطريق بصروا بصديق لهم فسألوه ان يصاحبهم فأبى وقال انّ ليس لي ما اركب فألحوا عليه ووعدوه ان يتعاقبوا معه فرضى بذلك وبينما هم في الطريق حانت التفاتة من الشيخ فرأى حماراً سائباً في جبانة هنالك فعمد اليه واهتشله وسار معهم فلما بلغوا وجههم ترجّلوا وقصدوا نحو نبع ماء فجلسوا يتعاطون الراح حتى اقبل المساء

فقام كل واحد الى حماره فركبه الا الرجل ففتش على حماره فلم يجد له اثراً فاضطر ان يرجع ماشياً ، فما ابعد قليلاً حتى رأى خروفاً يرعى فعطف اليه وامسكه وتبيّج به على ظهره وعاد يستأنف مسيره فلما بلغ الى الجبانة وثب الخروف من بين كتفيه الى الارض ثم وقف وقال له لقد حملناك في الذهاب وحملتنا في الاياب فرحنا سواء .

في ١٨ تشرين اول ١٨٩٣

الخليفة والفتح ابن الخاقان

مما يحكى عن الفتح بن الخاقان ان اباه كان وزيراً عند الخليفة فوشي به يوماً انه يعاقر الخمر فلم يصدق الخليفة ذلك علماً بما رأى من نبل الوزير وكرم اخلاقه الا انه لما تكاثرت الوشاية عليه قصد ان يختبر ذلك بنفسه فسأل عن الوقت الذي يشرب فيه فقيل انه يشرب مساءً عندما يذهب الى بيته

فلم يزل الخليفة يترصد الفرصة حتى اذا كان بعض الايام والوزير قد خرج من عنده قصد بيت الوزير ودخله حتى غرفة الوزير . فلما رآه الوزير احتفز لاستقباله

ورحّب به واجلسه في صدر الغرفة . وكان الوزير قبل دخول الخليفة قد امر باحضار المدام وكان لا يجرأ على الخروج من حضرة الخليفة مخافة ان يغضبه اذا تركه وحده فيغضب عليه

وجلس منتظراً منيّته . وبينا هو كذلك اذ دخل ابنه الفتح وبين يديه صينية المدام وقال خذ يا ابي فانك الى الآن لم تزل مصرّاً على عدم تصديقي بان العبد يعاقر الخمر ، فلما رأى الخليفة ذلك عجب من ذكاء الولد وعفا عن ابيه

عاقبة البخل

حكي انه كان في دمشق رجل من اكابر التجار فبينما هو ذات يوم سائر في الطريق ومعه كيس دنانير اذ سقط الكيس منه ولم يشعر ولما وصل الى منزله افتقد الكيس فلم يجده فأتى بدلاّل واطلعه على امارات الكيس ثم امره بالمناداة في شوارع المدينة فذهب الدلاّل وبينا هو ينادي اذا برجل مملق قد اقبل عليه ودفع اليه الكيس فتعجب الدلال لما رأى من صنيع هذا الرجل ، فاحبه وقال له اتبعني لعلّ صاحب الكيس يحسن اليك بجائزة فامتنع الرجل لكنه لما رأى من الحاح الدلال عليه تبعه ولما انتهيا الى دار التاجر دفع اليه الدلاّل المال وقال له ارغب الى سيدي ان يهب مَن وجد الكيس عشرة دنانير لا اكثر

فخشي التاجر من هذا الامر وتملصاً منه ادّعى بان الكيس ناقص مئة دينار واتهم المملق بذلك ، فاغلظ المملق اليمين له بانه لم يفتحه وانه لو طمع في مقدار كذا من الدنانير لأخذها كلها لانها كانت معه وتحت سلطته فلم ينفِ التاجر عنه الظنّة ورفع دعواه الى حاكم الشام . وكان عليها في تلك الايام حاكم على جانب عظيم من الفطنة من بيت العضم ، فبعث فاستحضر المملق وامره ان يخبره بالحقيقة او يقتله

فقصّ المملق على الحاكم الخبر بعلاّته ، واذ بان للحاكم كنه المسئلة واستدلّ على ان التاجر يحاول التملص من الجائزة مدحه اولاً على قصد نوال بغيتهِ منه ثم قال

قد أتضح عندي أن الكيس ليس هو لك لمنافاته قولك . تدعي بان كيسك مختوم وفيه الف دينار حالة كون هذا الكيس هو عكس ما تقول لان ليس فيه سوى تسع مئة دينار وهو مفتوح فاذهب وابحث عن مالك

فلما رأى التاجر ما صنع به الحاكم أخذ يسترحمه ويقول لا بد من أنه هو لي يا مولاي فلم يسمع الحاكم لكلامه وأمر ان يعطى الكيس للملق فأخذه الملق وانصرف وذهب التاجر وهو يعضّ أنامله على فشله وخفق مسعاه

٢٤ ت٢ سنة ١٨٩٣

الاخفاء في السراء والضراء

حكى ان المخازلي كان يوماً عند حاجب الخليفة يقص عليه نوادره فيضحك منها وما زالا كذلك حتى دخل الحاجب على الخليفة في أمر فرآه يضحك فقال له مالي أراك ضاحكاً قال بالباب رجل يقال له المخازلي هو يضحكني قال الخليفة عليّ به

فذهب الحاجب الى المخازلي وقال ان الخليفة يدعوك ولكن أحب منك ان أصبت شيئاً تشاطرني به فقال له المخازلي اني رجل فقير لا أملك شيئاً فلم يسمع الحاجب لكلامه وادخله على الخليفة وكان الخليفة بيده كتاب يقرأ به فلما أتم القراءة نظر الى المخازلي وقال له انت المخازلي قال نعم قال اني ارصدت اليك خمسمئة دينار ان انحكتني وهبتها لك والاّ ضربتك بالجراب وكان الجراب معلقاً على حائط الدار .

ثم ان المخازلي أخذ يقص على الخليفة نوادره والخليفة لا يضحك حتى فرغ ما عنده ، وللوقت امر الخليفة بضربه عشرين جرابا فأُخذ واول جراب سقط عليه ظنّ ان رأسه قد فُصل عن جسده ، وما زال المخازلي يُضرب حتى اذا انتهوا به الى العشر ضربات صاح مهلاً فكُفّ عن ضربه وانصت الخليفة لسماعه

قال لي شريك يا مولاي قد وعدته بمشاطرة ما اصيبه عندكم وهو بيابكم

فأمر الخليفة باحضاره واذا بالحاجب فضحك الخليفة وأعطاه الخمسمئة دينار لكنه أمر بضرب الحاجب العشرة الباقية . وقاسم المخازلي الحاجب نصف ما أصابه من المال وقال له لقد عاملتك بالانصاف فرحنا سواء في السراء والضراء

نادره عن

فريدريك الثاني ملك بروسيا

حكي أن فريدريك الثاني ملك بروسيا كان يهزل في بعض الاحيان وكان يكثر من شرب الدخان وكان كلما أراد ان يشرب مدّ يده الى جيبه فازعجه ذلك فتفادياً لهذا الأمر أخذ يوماً مبلغاً وافراً من الحقق وفرقها في غرفه واتفق ان أحد خدمه رأى هذا الدخان فطمحت عينه الى ان يذوقه

فدخل ذات يوم غرفة وأخذ من الدخان ما أخذ وخرج وكان الملك ينظر الى ما يصنع فتركه ثم بعد ساعة دعاه اليه وقال له كيف ترى هذا الدخان قال من أفخر ما يكون . قال وهذه الحقة . قال غاية في الحسن . قال خذها لك أراها صغيرة لا تكفي اثنين

٣ ت ٢٥ سنة ١٨٩٣

صيد الدب

وبيع جلده قبل صيده

حكي ان صيادين كانا في حاجة الى الدراهم فأتيا تاجراً وقالا له . هل لك في جلد دب . قال نعم . قالا بكم تشتريه . قال بكذا من الدراهم . قالا أعطنا الدراهم وغداً نأتيك به لأن قد عهدنا في أجمة كذا دباً كثيف الفرو فسمع التاجر

لكلامهما وأعطاهما كما قالا فأخذا الدراهم وانطلقا

ولما كان الغد اسرعا الى الاجمة وفي يقينهما ان يقتلا الدب ويسلخا جلده فما بلغا الاجمة حتى خرج عليهما دب هائل راعهما منظره ولما رأياه مقبلاً نحوهما فرّا من وجهه فعمد احدهما الى شجرة فتسلقها ورمى الآخر بنفسه الى الارض متماوتاً وقطع نفسه

فاقبل الدب عليه يشتمّه ويقلبه بمخالبه مخافة ان يغدر به

فلما رآه ميتاً تركه وانصرف . ومن خُلق الدببة انها لا تتعرض لمن تراه ميتاً من الحيوان . فلما ولّى الدب نزل الرجل الذي كان في الشجرة الى الارض وقال لرفيقه هلاّ أخبرتني بما أسرّ اليك الدب لاني كثيراً ما رأيته يدنو فاه من أذنك قال أسرّ اليّ بان لا أبيع منذ الآن جلد دب قبل ان أحصل عليه.

في ٣ ت ٢ سنة ١٨٩٣

صديقي العزيز

ورد عليّ كتابك وفيه من آخر أنبائك ما يخبرني بمعاودة دائك بعد مفارقته لك فاغتممت واي اغتمام ورميت وباي سهام سهام قد آلمت جسمي وشهد بصحة ذلك سقمي الا كيف لا أغتم ايها الصديق وانا العليل لعلتك المحب لسلامتك الراغب لك الخير في كل حال والله أسأل ان يأذن لك في الشفاء وان لا يعود يصيبك بما تكرهه بمنه تعالى

في ١ ك ١ سنة ١٨٩٣

الملفوف

حكي ان بستانياً ببينا كان يوماً يتفقد بستانه اذ بصر برجل يقتلع ملفوفاً في احدى نواحيه فصاح به ويحك ايها الشرير ما جاء بك الى هذا المكان وما حاجتك هنا . قال لا حاجة لي . قال وما أتى بك اليه . قال انما أتى بي اليه يا مولاي ريح عاصف هبت عليَّ وانا في الطريق فاحتملتني الى هنا ثم اني خفت ان تحتملني مرة اخرى ربما لا اسلم بها فاستمسكت بالملفوف وصرت كلما استمسكت بواحدة انقلعت قال فهمت ما قلت ولكن الا اخبرتني الآن كيف امتلأ عدلك منه . قال والله يا سيدي اني متعجب في هذا الامر اكثر مما انت متعجب فيه ، فضحك البستاني وصرفه

الذئب وقطيع الغنم

ومن تكلف بما ليس من شأنه اصابه ما اصاب الذئب الذي زعموا انه كان يختلف الى قطيع غنم مجاور له فيفترس منه ما وصلت اليه يده ، فاستمرّ على ذلك زماناً الى ان طمحت نفسه يوماً الى افتراسها كلها دفعة واحدة وعمل على الفوز بمقصده فتزيّ بزيّ راع وأخذ عصاً امسكها بيده وانتصب على قدميه واقفاً واقبل حتى انتهى الى القطيع ، فاذا بالراعي نائم وبجانبه الكلاب نائمة

فلما رأى ذلك سرّ واستبشر لانه رأى انْ لا احد يمنعه عن اخذه القطيع ثم انه فكر في نفسه وقال اذا انا لم اناد الغنم ربما لا تتبعني فلا اظفر بحاجتي ثم تقدم ووقف امام الغنم وناداها بصوت ارتجت له الارض فهبّ الراعي من النوم لاجل ما سمع من عظيم الصوت . وحاول الذئب الفرار فمنعته الجبّة فاندفعت الكلاب عليه ومزّقته

كتاب لصديق

ورد عليَّ كتابك الاخير وانقضت الايام بعده ولم اكتب اليك ولكن ليس هذا عن فتور او قصور انما لعلة اصابتني والزمتني الفراش اياماً . ولما رجعت الى الصحة كتبت اليك لاطلعك عما اتفق لي من حين مفارقتي اياك وما رأيته من احوال هذه البلاد . فاني ما ركبت البحر وتوسطه حتى هبَّت الرياح وهاجت الامواج وركبت السفينة جناح التيارات فانهلع قلبي فرقاً وكدت اغرق لولا ان يداً قديرة تدار كتني وقادتني حتى الاسكندرية واذا هي مدينة حسنة المنظر جميلة الموقع فيها من البنايات العظيمة والعمارات الجسيمة ما يدهش الناظر ويحير الخاطر . وقد تعلو هذه العمارات بعضها فوق بعض كلما تقدمت الى جهة الجنوب بحيث لو نُظر اليها عن بعد من البحر تخال كالانفتياتر

وكانت السفينة كلما اقتربت من الشاطىء تنجلي المدينة في عيني اجمل مما كانت عن بعيد لما كان يبدو لي فيها من الزخرفة والاتقان . ولما دخلتها وشاهدت ما فيها من الحسن والابداع جعلت اطوف فيها ولم اترك منزلاً ولا حيواء ولا سوقاً الا زرته وما زلت على ذلك الى ان انتهيت الى امام برج السواري وهو بناء عظيم ذاهب في العنان قديم العهد تخنه تسعة اذرع وطوله ثلاثة واربعون ذراعاً قد تعاصى على كرور العصور وهو لا يزال متين البنيان محكَم الاتقان

هذا جملة ما عاينته من ابنية هذه المدينة الشهيرة من عمارات وصروح وغير ذلك مما لا طاقة لي بوصفه . وقد بقي ان اذكر لك شيئاً عن هوائها وارضها فهي صافية الهواء كثيرة الكلاء والماء ، تخترقها شعبة من النيل فتسقي حدائقها النضيرة المدبجة بالازهار المكللة بالاشجار يترقرق فيها الماء على حلة من الاخضرار لاطماً وجه الازهار ثم ينسل من تحتها كالافعوان يروم الاختباء

اما اهلها فهم مختلفو الاجناس متفرقو العناصر متباينون مذهباً ومشرباً فمنهم

عرب وهو العدد الاكبر وفرنسيس وترك وغيرهم من الامم الاجانب الذين هاجروا بلادهم طمعاً في الكسب والغنى وقد ينيف عددهم عن مئتين وعشرين الف نسمة .

في ٢٩ كا سنة ١٨٩٣

العقد الثمين

حكى ان رجلاً من اهل شيراز كان له عقد ثمين وانه قصد يوماً الحج . فخاف على العقد أن يُسلب اذا أخذه معه او يسرق اذا تركه في منزله . فاستودعه عطاراً مشهوراً حسن السيرة وسافر . وبعد ان أتى على ذلك زمن عاد الرجل من سفره واقبل على العطار يطالبه بالوديعة فجحدها . فذهب الى عضد الدولة حاكم شيراز يوم ذاك واخبره الخبر

فارتاب عضد الدولة من كلام الرجل لعلمه ان العطار هو رجل فاضل حسن السيرة . فقال هل انت متيقن بما تقوله . قال نعم يا مولاي وان كان كلامي كاذباً فعليك بقتلي

قال اذن تذهب الى العطار وتطالبه بالوديعة فان أبى ان يعطيها لك فاجلس في احد الحوانيت المجاورة بحيث يراك وعند الظهر أمرّ انا من هناك واسلّم عليك واذا تحدثت معك فكلمني كما تكلم احد امثالك . قال سمعاً وطاعة

ومضى حتى اتى العطار فطالبه بالوديعة فانكرها . وبعد ان تمادى اللجاج بينهما ذهب الرجل وجلس في حانوت يقابل حانوت العطار . ولما تنصّف النهار اذا بعضد الدولة قد اقبل تحفّ به حاشيته فحيّ الرجل واحتفى به وأخذ في الحديث معه كما يحادث الرجل صاحبه . فلم يُظهر الرجل لكلامه اقل احتفاء ولم يبدو مكنون امر بينهما . ثم ان عضد الدولة ودّع الرجل وانصرف

وكان العطار قد رأى ما لهذا الرجل من التجلّة عند عضد الدولة وسمع الحديث

الذي دار بينهما فقال في نفسه لو اراد هذا الرجل ان يُعلم عضد الدولة بما نحن فيه لتكفّل بي . فدعا الرجل الى حانوته

وقال ذكّرني امر هذا العقد وامهلني قليلاً لافكر ثم اطرق هنيهة الى الارض وقال العقد عندي ثم دخل غرفة وخرج وبيده العقد ودفعه اليه ، فأخذه الرجل وانطلق حتى دخل على عضد الدولة واخبره بما جرى . فانفذ عضد الدولة شرطة الى حانوت العطار وامرهم ان يصلبوه امام الحانوت ويعلق على صدره العقد وورقة مكتوباً عليها هذا جزاء من يخون الامانة

وفعلت الشرطة ما أمرت به وبعد ان مكث العطار مصلوباً ثلاثة ايام دفن وأعيد العقد لصاحبه

في ٨ ك ١ سنة ١٨٩٣

الطمع مجلبة الندم

حكي ان خاتوناً من ذوات الجمال البارع والقدّ الرائع كانت قد تزوجت برجل قبيح المنظر خامل المنزلة وكان عندها خادمة تعجب من ذلك وتتوقع يوماً لتسأل سيدتها عن السبب الذي من اجله تزوجت بهذا الرجل حتى اذا كان بعض الايام وزوج الخاتون لم يكن في المنزل اقبلت على سيدتها وقالت لها تأذن لي سيدتي ان اجترىء عليها بالاستفهام عن شيء لا يليق بمثلي ان استقبلها به

قالت لكِ ذلك . قالت ارجو سيدتي ان تخبرني ما سبب زواجها بهذا الرجل لاني في غاية من العجب كيف ترضى امرأة كريمة النسب شريفة الحسب ان تتزوج برجل ليس هو شيء من ذلك وعلاوة على ذلك فهو قبيح المنظر قالت الخاتون سأجيبك في وقت آخر . ومضت الخادمة

فلما كان اليوم الثاني قالت لها سيدتها انطلقي الى غابة كذا واقطعي قضيباً يكون مستقيماً لا علّة فيه واجهدي نفسك ان لا تقطعيه وانت عائدة . قالت سمعاً وطاعة

وذهبت حتى اذا اتت الغابة نظرت فرأت على شجرة قضيباً جامعاً للمحاسن التي ذكرتها لها سيدتها . فلم تعبأ به وتركته وهي طامعة انها تجد ما هو خير منه . ثم لم تسر الا اليسير حتى وجدت قضيباً آخر دون الاول بالحسن فلم يعجبها فتركته واوغلت في الغابة

وما زالت على هذا الى ان انتهت الى آخرها ولم تجد من القضبان ما يعجبها وكانت الشمس قد قاربت المغيب ، وعرفت ان القضيب الذي رأته في الاول كان احسن القضبان ، فارتدت على اعقابها لتقطعه لكنها تذكرت ما قالته لها سيدتها فأقبلت على نفسها تلومها وعلمت ان ما اوصلها الى ما هي فيه هو طمعها فاضطرت اخيراً بان تقطع قضيباً معوجاً لا يعادل بالحسن نصف اولئك القضبان

ولما دخلت على سيدتها اخبرتها بما جرى لها . قالت السيدة لقد اصابني بالزواج نفس ما اصابك بالقضبان . قالت وكيف كان ذلك . قالت ان كثيراً من اشراف الرجال واغنيائهم قد خطبوني الى ابي لما كنت في ريعان الصبا ، فلم اقبل طمعاً بوجود من هو احسن منهم ، ولكن خاب املي حين مضى زمان طويل فكبرت ولم يعد يخطبني بعدهم الا من هو ادنى طبقة واقل ثروة واضطررت في آخر الامر ان اتزوج بهذا الرجل

والطمع مجلبة الندم

في ٢٢ ك١ سنة ١٨٩٣

اليهود والدنيا

حكي ان رجلاً اراد الخروج لبعض الوجوه وكان عنده مال فاودعه رجلاً يهودياً وذهب في وجهه . ثم قدم بعد ذلك بمدة فجاء والتمس الوديعة فجحدها اليهودي ولما تمادى بينهما اللجاج بادر المستودِع الى الحاخام ورفع اليه امره . قال الحاخام عد اليّ بعد ايام ، وبعث الحاخام فاحضر المستودِع وبالغ في اكرامه وتعظيم شأنه .

ولما بدا له منه انبساطاً قال له . قد جاءني رجل منذ ساعة واخبرني انك قد انكرت عليه ماله ، فانظر يا بنيّ ان الله في قديم الزمن وهب الدنيا بما فيها لامة اليهود وقد امتلكتها زماناً طويلاً ثم ان من بقي من الامم ثاروا عليها فاغتصبوها منها فيحق لها الآن اذا حصل في ايديها شيء منها ان لا ترده سواء أكان بالسرقة والحيلة والسلب والنهب او بما شاكل فانها في حلّ من ذلك ، لكونها تسترجع المسلوب منها وان كنت حقيقةً قد انكرت على الرجل المال فاثبت على الاصرار كصخرة واد

قال وهذا ما فعلت . قال يا عدوّ الله انما سقت لك ذلك الحديث توصلاً لاستيضاح الامر وجلائه ولما كان قد ظهر لي باجلى وضوح فبادر واحضر المال فاقرّ الرجل بالخيانة وردّ المال ودفعه الخاخام الى صاحبه

في ١٩ كانون سنة ١٨٩٣

الشيخ والثلاثة غلمان

زعموا ان شيخاً كان يغرس يوماً فسيل زيتون فمرّ به ثلاثة غلمان فوقفوا عليه وقالوا له : ما بالك ايها الشيخ مهتماً في غرس ما لا منفعة لك به أترجو جنى ما تغرسه . قال اسلافنا غرسوا لنا فأكلنا ونحن نغرس للاولاد . فلم يصغوا لكلامه وأخذوا يضحكون ويقولون: أتأمل ان تعيش ما عاشه نوح وابراهيم واسحق وغيرهم من الآباء ، فان ما نراه من صنيعك يدلّنا على انك من الحرف بمكان ، فاقلع عن غيّك واعلم ان ذلك يليق بان يصنعه امثالنا لا امثالك

ولما سمع الشيخ كلامهم اقبل عليهم قائلاً انظروا يا بنيّ ان الدنيا دار بلاء وقدر فالرزايا محدقة بالانسان من كل جانب تخطف الصغير والكبير ، الغني والفقير على حدّ سواء . وانتم فما الذي يدريكم وما يؤمنكم بآمالكم لعلّكم تسبقوني الى القبر ولله در من قال :

تمتع من حبيبك قبل يوم به من داء حبكما شفاء
فبعض الليل ليس له صباح وبعض اليوم ليس له مساء

فما أتم الشيخ كلامه حتى انصرفوا عنه ضاحكين منه . ثم انه لم يمضِ على ذلك مدة من الدهر حتى صدق كلام الشيخ ، فان احد الثلاثة الشبان ركب سفينة في طيسة له ، وبينا هو في الطريق اذ هاج البحر فغرقت السفينة ولم ينجو احد منها

واما الثاني فقد طمحت نفسه الى بلوغ منزلة رفيعة عند السلطان فانتظم في سلك الجندية ورجاء ان ينتصر يوماً فينال مبتغاه لكن خاب امله حين وافاه الموت في احدى المواقع . واما الثالث فانه سقط عن شجرة الى الارض فمات

وبكاهم الشيخ وحفر على بلاطة كانت عنده ما حدث لهم

في ٥ شباط ١٨٩٣

اياس وناكر الوديعة

حكي ان رجلاً من اهل البصرة كان من الغنى بمكان ، فاراد يوماً السفر الى بعض الانحاء فخاف على ماله ان يسلب اذا أخذه معه او يسرق اذا تركه في البيت فتفادياً من هذا الامر انطلق الى أحد اصحابه وأودعه اياه ، ثم اتجه نحو ما قصد له ومضى ذلك بدون إشهاد

وبعد برهة من السنين عاد الرجل من سفره وجاء صاحبه يطالبه بالمال ، فجحده فاسرع المستودع الى اياس قاضي البصرة اذ ذاك واخبره بما جرى له . فقال اياس اذهب اليوم وعد اليّ في الغد فلما ولى الرجل انفذ اياس فاستحضر المستودع وقال له قد عزمت على سفرة بعيدة وقد فتشت على اناس كثيرين لاودعهم مالي فلم اجد احداً يضاهيك بالامانة فلهذا رأيت ان أودعك اياه . فاستبشر المستودَع وانقلب الى بيته راجعاً مسروراً

ولما كان من الغد دخل المستودِع على اياس وقال له : ها اني قد جئت سيدي فليأمر بما يشاء . قال تذهب الى الرجل وتطالبه بالمال فان ابى ان يدفعه اليك فقل انك مزمع ان ترفع الدعوى اليّ فبادر المستودِع الى المستودَع وطالبه بالوديعة وبعد ان تمادى اللجاج بينهما ، قال المستودِع اني أرفع اذن قصتي الى اياس

فلما سمع الرجل ذلك اضطرب وخاف ان يعلم اياس بامره فيمتنع عن تأدية المال اليه لانه كان متيقناً انه سينال منه مالاً جزيلاً . فقال للمستودع مهلاً لافكر لك فيها لعل الشيطان انسانيها ، فتمهل الرجل

وبعد قليل اذا بالمستودَع قد دخل غرفةً ثم خرج وبيده المال فدفعه له فأخذه المستودع وانصرف وبعد ما شاء الله من الزمن اتى المستودَع اياس يسأله عن المال فصاح به اياس ، ويلك ما تسأل ايها الشرير

ثم أمر فأخذ من امامه وطرح في السجن

في ١٥ ت٢ سنة ١٨٩٣

الملك واليهودي السارق والارادة

حكي ان ملكاً بنى قصراً فاخراً وكان للقصر من الابواب شيء كثير الا ان اكبر واجمل تلك الابواب كان باب غرفة الملك وكان الملك قد عزم على ان يصنع له عتبة ذهباً فاستدعى صائغاً يهودياً وامره بذلك ثم قال له هذه خزينتي مفتوحة امامك تأخذ منها ما تشاء . قال الصائغ سمعاً وطاعة وانصرف ، وجعل كل يوم يأتي الخزينة فيأخذ من الذهب بقدر ما يشتغل سحابة النهار

فاستمر على ذلك زماناً حتى اذا فرغ يوماً من العتبة جاء بها الملك وكان للملك وزير مشهور بالعقل والذكاء فلما رأى العتبة داخلَه ريب لانه ظنّ ان ما اخذه الصائغ من الذهب يساوي عتبتين مثلها ولم يرد ان يقتص منه قبل الفحص عن المسألة وكان الملك قد همّ بتركيب العتبة . فقال له مهلاً ايها الملك ان لي في العتبة امراً . قال الملك وما هو فاخبره الوزير بذلك قال الملك أنىّ لنا ان نزنها وهي ثقيلة جداً . قال امهلني بضعة ايام لعلّني اتصل الى معرفة ذلك . قال الملك دونك ما بدا لك

فالوقت بعث الوزير فاحضر عجوزاً داهية فبالغ في اكرامها واطلعها على الامر وقال لها ، هذه مئة دينار قد اعددتها فان انتِ قدرت بلطفك وحسن عقلك على ان

تستخبري لي من إمرأه الصائغ عن كيفية زِنة العتبة وهيئتك الدنانير قالت سأبذل ما عندي من الجهد دون مرضاة الوزير ، ثم انطلقت حتى انتهت الى منزل الصائغ واقبلت على امرأته بالتحيّة والسؤال عن صحتها وأحوالها

ثم أخذت تحدّثها بأحاديث مختلفة لتميلها اليها . وكانت أمرأة الصائغ تستعذب كلامها وتصغي اليه كل الاصغاء ولم تزل العجوز كذلك زماناً تسعى في الاستخبار وهي حريصة على كِتمان بغيتها حتى اذا رأت ان امرأة الصائغ قد اطمأنت اليها قالت لها يوماً ، الا اخبرتني عن كيفية وزن العتبة التي صاغها زوجك للملك ، قالت لا عِلمَ لي بها وقد سألته مرةً عن زِنتها فلم يخبرني وقال لي ما بالك تسأليني عن أمر ان انا اطلعتك عليه لم آمن من ان يعلمه احد فيعود عليّ بما اكرهه وتكرهين

قالت اوَصادق كلامك ، قالت نعم قالت ان هذا يدلّ على ان زوجك لا يحبّك لأن الزوج المحب لامرأته لا يدع سراً ولا امراً خفياً الا يخبرها به ويطلعها عليه ، قالت لا بل يحبني وغداً اوافيك بالجواب لاني مزمعة عند رجوعه الى المنزل على ان ألحّ عليه بالسؤال حتى يكشف لي سرّه .

قالت العجوز افعلي ما بدا لك ، وخرجت من عندها . ولما كان الغد جاءت العجوز لبيت الصائغ فاستقبلتها امرأته وقالت لها قد اخبرني زوجي ما سألتيني عنه واوصاني بكتمانه واني لا ابوح به لك الا بعد ان آخذ عليك العهود والمواثيق ، فعاهدتها العجوز على ذلك ، قالت امرأة الصائغ ان على مَن أراد ان يزن هذه العتبة ان يجعلها في سفينة حتى تغوص في الماء ويعلّم على السفينة حيث تبلغ الماء ، ثم يأخذ العتبة ويضع بدلاً منها حجارة الى ان تغوص السفينة ثانيةً الى العلَم . ثم تؤخذ تلك الحجارة وتوزن

فلما علمت العجوز ذلك منها تركتها واقبلت حتى دخلت على الوزير باسمة الثغر فأخبرته بالقصة ، فسرّ بها الوزير واعطاها الدنانير ، ثم انه

اشفق اذا فعل بما قالته له ربما يعلم الصائغ فيتمكن من الفرار فامر بحبسه ولما حُبس أمر ان يفعلوا بمثل ما قالت العجوز ، ولما وزنوا العتبة رأوا انها تنقص مقداراً وافراً من الذهب

وللحال أمر ان يؤخذ الصائغ الى منارة قد هجرت منذ زمان بعيد وتسدُّ عليه ابوابها ويترك هناك حتى يموت جوعاً

وحزنت امرأة الصائغ اشدّ الحزن لما اصاب زوجها ، وندمت اشدّ الندامة لعدم صيانتها سرّه ، فذهبت الى المنارة حيث كان محبوساً لتستغفره وفكّرت في وجه خلاصه ، ففتق لها عقلها ودلّتها فطنتها ان ترسل اليه خيطاً ثم يدلّيه هو من فوق فتربط به له حبلاً ، ورأت ان لا وصول الى ذلك الا بواسطة الحردون لأنها تذكرت لما كانت صغيرة تلعب مع اولاد نظيرها بالفيران والحرادين ان الحردون اذا ربط خيط بذنبه ووضع على حائط يدبّ صعوداً كلما شدّ بالخيط قليلاً

فاشترت حردوناً من بعض الاولاد وفعلت كما شرحنا على حائط المنارة ولما استحصل زوجها على الحبل ربطه باعلى المنارة وتدلى به الى الارض ونجا بنفسه واهل بيته

مما يدلنا على ان الانسان قادر على ان يعمل ما يريد اذا كان عنده ارادة قوية

المال وكثرته

حكي ان تاجراً سافر الى بعض المدن وكان له في تلك المدينة صديق غنيّ جداً فلما علم صديقه بقدومه دعاه الى منزله وبالغ في الطافه واكرامه وصنع له مأدبة حافلة . فلما تغدّى التاجر اخذه رب المنزل ليطلعه على خزينته ، وكان في الخزينة من الصناديق شيء كثير كلها مملوءة ذهباً وفضة وجواهر ثمينة

وبينما هما يتفرجان في تلك الغرفة اذ وقف رب المنزل امام صندوق كبير وقال لصديقه ، أترى هذه الصناديق كلها وهو مشير اليها، قال نعم . قال اني ابقيها مدى السنين مقفلة لا احتاج الى ما فيها من المال وأما هذا الصندوق الكبير كاف ليقوم بنفقاتي كلها . وبعد ان وقفا قليلاً يتحادثان بامور شتى خرجا من الغرفة الى دار المنزل

ومكث التاجر في دار صديقه اياماً لاقى فيها من حسن الضيافة ما انطق لسانه بالشكر ثم عاد الى مدينته . ثم حدث انه ما أتى على سفره زمان وجيز حتى اضطر صاحبه ان يسافر الى مدينته لقضاء بعض اشغال ونزل ضيفاً بمنزله

فاستقبله التاجر ورحّب به واكرمه وتأنق له في المأكول والمشروب ولم يترك اكلةً فاخرة الا طبخها له . ومكث عنده اياماً ، ففي ذات يوم اخذه التاجر الى خزينته وكانت مملوءةً بالصناديق فاخذ يفتحها له وكان كل صندوق فتحه مملوءاً تراباً الاّ واحداً منها كان دافقاً بالذهب

ثم وقف التاجر امام ذاك الصندوق وقال ان في هذا الصندوق جميع ثروتي وفيه من الاموال ما يكفيني سحابة العمر ، فتعجب صديقه وقال له وما السرّ بتملئة باقي الصناديق تراباً قال ملئتها تراباً اشارةً الى الصناديق التي عندك والتي لا تحتاج الى الانفاق منها ، لأن المال الذي لا ينفق منه يكون بمنزلة التراب الذي لا نفع له

وهذا الصندوق المملوء ذهباً يشير الى صندوقك الذي لا تنفق الا منه

في ١٥ اذار ١٨٩٤

الهم والوسوسة يهزلان جسم الانسان

حكي ان ملكاً سمن سمناً مفرطاً حتى لم يعد يستطيع المشي ، فاستدعى الاطباء فعالجوه فلم يغنوا عنه شيئاً ، ولبث الملك في ذلك برهةً من الدهر لا يسمع بطبيب ماهر الا طلبه واخذ نصيحته ومشورته حتى اذا كان بعض الايام دخل عليه الحاجب وقال له بالباب رجل ذكر ان معه للملك دواء قال الملك علي به فجاء الحاجب واذن للرجل فدخل وسجد له وكفّر ثم استوى واقفاً وحيّاه وقال شفى الله الملك وأيّد سلطانه وفسح له من الاجل مجالاً واسعاً يطويه بالسرور والهناء والرغد والصفاء . واني لما علمت بحالة الملك أقدمت عليه طامعاً في معالجته راجياً شفاءه باذن الله تعالى

على اني لا حرفة لي الاّ الطب والفلك ، فان كان يمهلني الملك اياماً لاستشير النجم عما ستصير اليه حاله وافيته بالجواب والدواء . قال الملك دونك ما بدا لك فخرج الرجل . ولما كان بعد ايام عاد اليه وعلامات الغمّ تلوح على وجهه وقال له ، وأما الدواء فلم أصنعه لما بدا لي من النجم . قال الملك وما الذي ظهر لك قال ظهر لي ما يزعج الملك ولست بجاسر على ان أطلعه عليه الا بعد ان يؤمنني على نفسي

فوهبه الملك من الامان ما اطمأن به ولما اطمأن الرجل أقبل على الملك وقال في الليلة التي خرجت فيها من عند الملك نظرت الى السماء فرأيت نجماً استدللت من حركته على ان الملك في خطر شديد وسيموت بعد اربعين يوماً .. ثم اني عاودت النظر مراراً لعله يبدو لي غيره فلم يبدو سواه

وان كنت ايها الملك في ريب من كلامي فامر بحبسي مدة الاربعين يوماً فان بقيت بعد انقضائها قتلتني والا خلّيت سبيلي . فارتعد الملك من كلام الرجل وأمر بحبسه فحبس

ومن ثم أخذت الوسوسة من الملك نفّرت الرقاد من عينيه وقلّلت

طعامه ، وكان كلما اقترب آخر الاجل المضروب يزداد قلقاً وهماً وما زال على ذلك الا اليسير حتى نحِل وهُزل جسمه دون ان يدري . وكان الرجل الذي سجنه لا يزال في خلال ذلك يستخبر عنه . فلما اتصل به آخر اخباره وعلم بما صارت اليه حاله ، استأذن في الدخول عليه فاذن له

فلما مثل بين يديه سلم عليه وقال اني لم آتِ الملك الا لأعلمه ان كلامي كان كاذباً ، واني لا علم لي بالطب ولا بالفلك ، وانما فعلت ما فعلت توصلاً الى شفائه واذ قد شفي الآن فليأمر باطلاق سراحي .

فلما سمع الملك كلام الرجل نظر الى جسمه فرآه قد نحل وصار معتدلا كسائر الاجسام

فتعجّب عندئذ وفرح وسرّ بالرجل سروراً عظيماً فبالغ في اكرامه وقرّبه اليه وجعله أخصّ وزرائه واعزّهم عليه

في ٢٤ ك٢ سنة ١٨٩٣

اوزوب الحكيم « لفمانه »

ولد اوزوب بعد مئتي سنة لتأسيس رومية ، وكان متوقد الذهن فظيع المنظر ، اعقد اللسان ، غير مسعود الحظ . وازل مرة صار عبداً ارسله سيده الى حقله تملصاً من جهله وسماجة وجهه

وحدث ان سيده أقبل يوماً على ذلك الحقل فقدّم له احد الاكرة تيناً ، فاخذه وذاقه ، واذ رآه طيّب الطعم دفعه الى احد خدمه وقال له علىّ به اذا رجعت من الحمام . فاخذه الخادم وانطلق الى المنزل واتفق ان اوزوب ذهب ذلك اليوم الى المنزل فرأى ان الخادم الذي أخذ التين ياكل منه مع بعض اصحابه . ولما فرغوا من الاكل خافوا ان يعلم سيدهم بالامر ففكروا في وجه الحيلة ، فرأوا ان يتهموا اوزوب علماً بانه لا يستطيع

التبرئة لبكمه وحمقه

فلما اقبل التاجر على البيت استدعى اوزوب لمعاقبته فلما رآه اوزوب مغضباً انطرح على اقدامه وباشاراته توسل اليه ان يمهله قليلاً ، فامهله سيده فللوقت بادر اوزوب الى ماء فاثر فاخذه وابتعله ثم وضع اصبعه بفمه وسدّ عن نحره الهواء حتى خرج الماء صافياً . ثم اشار الى سيده ان يأمر سائر العبيد ان يصنعوا مثله فابتلعت العبيد الماء ولما حجزت عن نحرها الهواء خرج الماء يخالطه تين ، فعند ذلك بان مكرهم وعاقبهم سيدهم وعفا عن اوزوب .

وفي بعض الايام بينا كان اوزوب في الحقل اذ رآه جماعة من الرجال فسألوه ليدلهم على طريق المدينة ، فاجابهم اوزوب الى ذلك ، الا انه لما رآهم تعابى اضطرهم على ان يستريحوا في ظل شجرة وبعد ان استراحوا سار معهم حتى اذا بلغوا الطريق تركهم وانصرف . على ان هذه الجماعة كانت على ما يزعم بليتون كهنة جبتير ، وانهم توسلوا اليه ان لا يغفل عن اثابة من صنع اليهم معروفاً . واتفق ان اوزوب في حين رجوعه تعب جداً فنام تحت شجرة . فلما استيقظ رأى انه يستطيع النُطق

الا ان هذا النطق كان سبباً له لهجران دار سيده . فانه لما عاد الى المنزل قال لزيناس ، ان ما ترتكبه من العبث في العبيد سيظهر يوماً على اعين الناس . وكان زيناس وكيلاً على العبيد وكان في غاية من الصرامة حتى انه لهفوة صغيرة كان يوقع بالعبيد صفعاً وضرباً

وانه لما سمع كلام اوزوب حقد عليه وذهب فاخبر سيده ان ازوب قد صار قادراً على النطق . وحين كلمته أخذ يقذف بي ويقذف بك ، قال السيد ، لك اوزوب فافعل به ما يبدو لك

فلما رجع زيناس الى الحقل اتاه تاجر وقال له هل لك ان تبيعني ثوراً قال لا ولكن سأبيعك بدل الثور عبداً ثم استدعى اوزوب فلما جاء ورأى

التاجر سماجة خلق اوزوب قال لزبناس ، أتسخر بي ، فاني اذا اشتريته وبصر به الناس ظنوه دبّاً لا انساناً ، ثم تركها وانصرف

فالتحق به اوزوب وقال له اشتريني يا سيدي ان حسُن لديك ، ومهما اكن جاهلاً فاني سأنفعك فتأخذني وتجعلني بمنزلة هولة لاولادك ، فضحك التاجر من كلامه واشتراه بثلاث قطع ذهبية ، وقال الحمد للالهة فاني اشتريت شيئاً بثمن لا يذكر ..

وكان سيّدُ اوزوب الجديد تاجراً في الحنطة وانواع الحبوب ، وكان يستعمل عبيده في نقلها الى اسواق المدن لاجل بيعها ، وانه ذهب يوماً الى مدينة افسس . وحملت العبيد كل واحد منهم ما يقدر على حمله من حاجة السفر والحبوب

وتقدم اوزوب الى سيده وسأله ان لايحمّله اكثر من قدرته لانه صغير القامة ونحيل الجسم ومع كل هذا فلكي يبيّض وجهه امام رفاقه العبيد اختار لنفسه ان يحمل زاد السفر من الخبز ، وكان حمل الخبز اثقل الاحمال وحمل رفاقه الحبوب وغيرها وضحكوا من حماقة اوزوب لاختياره حمله الثقيل

ولم يمضِ يومان حتى خفّت حملة اوزوب بما اكل رفاقه من الخبز لانه القوت اليومي الذي لا يُستغنى عنه ..

وبات بعدئذ مستريحاً لخفة حمله وكانت بقية العبيد تعابى باحمالهم التي بقيت على حالها الاولى مما حملهم ان يعجبوا بفطنة اوزوب ورجاحة عقله

على ان التاجر باع كل عبيده الا اوزوب ورجل مغنيّ واستاذ اللغة الذين بقوا في حوزته . ثم أخذهم التاجر الى جزيرة ساموس لاجل بيعهم هنالك .

وقبل عرضهم على البيع في السوق البس الاثنين لباساً أنيقاً اما اوزوب فالبسه كيساً ووضعه بين الاثنين مبالغةً في اظهار اناقة ملابس العبدين للحصول على ثمن باهظ بهما

وتقدم المشترون ومن بينهم فيلسوف يدعى كزبناس . فسأل الفيلسوف

استاذ اللغة والمغني عما يعرفانه ويمكنهما عمله فاجاباه نعرف ونعمل كلّ شيء

وضحك الفيلسوف من جوابهما هازئاً بهما . وطلب التاجر ثمن استاذ اللغة الف اوبول مما يساوي قيمة ١٦٠ فرنكاً اليوم ، وطلب ثمن المغني ثلاثة الاف اوبول اي قيمة ٤٨٠ فرنكاً . بشرط انه اذا اشترى الفيلسوف واحداً من الاثنين يعطيه التاجر اوزوب مجاناً فوق صفقة المشترى

ولم يشترِ الفيلسوف العبدين لغلاء ثمنهما . بل اشار عليه اصحابه ان يشتري اوزوب الذي كان يضحك من اجوبة رفيقيه ويضحك الحاضرين . وكان مهضوماً مع قباحة منظره وسماجة خلقه . ولما سأله الفيلسوف ما الذي تعرفه وتعمله انت ، فاجاب لا شيء لكون رفيقيّ احتكرا كل المعرفة والعمل ولم يتركا لي شيئاً

فاشتراه الفيلسوف وأخرجه من المدينة دون ان يدفع عليه رسم التصدير الى الخارج ، وأخذه الى بيته لاجل التسلية باحاديثه والضحك من منظره

وكان للفيلسوف امرأة متغطرفة شامخة بانفها لا يعجبها عجبٌ في الناس وكان زوجها يعرف ذلك منها ، وكان يتوقع غضبها وقت مشاهدتها اوزوب ومع هذا فانه احب ان يمثل دوراً مضحكاً فاخفى اوزوب في البيت وطير الخبر بين الجيران والاصحاب انه احضر لبيته شاباً جميل المنظر غض الاهاب وما تنتشر الخبر حتى توافد الناس لا سيما البنات العزباء لبيت الفيلسوف . وتزاحمت خادمات امرأة الفيلسوف لخدمة ذلك الشاب الجميل والتقرّب منه

ولكن خاب امل جميع الحضور عندما ظهر لهم اوزوب بسحنته القبيحة حتى ان امرأة الفيلسوف طلبت هجرة زوجها لولا لم يتداركها الزوج بالتمليق واوزوب بنكاته ونوادره وخفّة روحه ، مما غير عزمها عن هجران بيتها وجعلها ان تتعود رويداً وتدريجاً على احتمال قباحة منظر العبد الجديد

ومما دلّ على نجابة وذكاء اوزوب ، انه ذهب يوماً الى بستان سيّده ورأى البستاني هناك يقطع بقولاً قد زُرعت في البستان لاجل الاكل فقال اوزوب الى البستاني ان تلك البقول المزروعة هي في اللذة دون البقول

التي تنبت في الارض بدون زرع او عناية ...

قال البستاني وكيف عرفت ذلك قال اوزوب ان الارض والبقول التي تنبت في الارض البرية المهجورة هي اشبه بالامرأة التي لها اولاد من زوجها الاول ثم تتزوج برجل آخر عنده اولاد من امرأة غيرها ، فالمرأة الثانية تعتني باولادها من زوجها الاول وتحبهم وتحنّ عليهم اكثر من مثله لاولاد زوجها الثاني مما يعود بالنفع الجزيل على اولادها دون اولاد زوجها الثاني وهكذا البقول التي تنبت في الحقول من تلقاء نفسها هي بمنزلة اولاد الارض من زوجها الاول ، واما البقول التي تزرع في الجنائن والبساتين ويُعتنى بالقيام عليها فهي من الارض بمثابة اولاد زوجها الثاني وبعبارة ثانية فالمرأة لا تعطف على اولاد زوجها من امرأة ثانية بمقدار ما تعطف على اولادها .

وقد سُرَّ البستاني من كلام اوزوب المملوء حكمةً واحبّ اوزوب من ذلك الحين ووهبه كلما يريد من بستانه .

باب قطع من التاريخ الحديث

باب قطع من التاريخ الحديث

معركة عن الافرنسية

موقعة اوسترليتس المشهورة سنة ١٨٠٥

فلما رأت انكلترا ما هي عليه من الخطر الشديد انفذت رسلها تدعو السويد والروسيا والنمسا لمظاهرتها على الفرنسيس ففتحت لهم كنوزها وضمنت لهم من نفسها ان تمدهم بمالها ، ففي صدر الامر لم تجبها الدول الى ذلك ولكنها عادت فتغيرت عن عزمها وعقدت محالفةً في مدينة بترسبورج في اليوم الثاني من شهر نيسان سنة ١٨٠٥ ، ولم ترضَ النمسا ان تنضم اليهم .

الا انه لم يمضِ ثلاثون يوماً حتى تغيرت عن رأيها وانتظمت في سلك التحالف ، هذا ما كان من امر الدول . واما نابليون فانه لما اتصل به خبرهم نهض للفور من مدينة بولونيا حيث كان معسكراً عاقداً النية على مهاجمة الانكليز وكسر شوكتهم وهرول في سيره

ولما جاء مدينة الم وضع وضع الحصار عليها وكان فيها من جنود النمسا ما ينيف على ثلاثين الف رجل ، وكانوا تحت امرة القائد ماك . فلم تلبث المدينة تحت الحصار قليلاً حتى استسلمت للمحاصرين . وفي اثناء ذلك انتشبت الحرب بين القائد لآن الفرنسي والنمساويين فقهرهم لآن ومزق سوادهم

على ان سرعة نابليون في قدومه على الاعداء اذهبت سعيهم ادراج الرياح ولم يستطيعوا ان يتغلبوا عليه

وأخذ يوقع بهم ويحاصر مدنهم وكان في جميع حروبه مؤيداً

منصوراً . ودخل في حوزته كثير من المدن منها استتجار واكسبورج ومنيخ . ثم زحف بجيشه الى فيان عاصمة النمسا . وبينا هو في الطريق اقبلت اليه رسل امبراطور النمسا تقول له ان امبراطورها له اليه كلام . فلم يسمع نابليون لقولهم واستأنف مسيره . ولما صار على مقربة من فيان احتمل امبراطور النمسا بنفسه وابتدر الفرّ الى قاصية ارضه . وجاء نابليون ودخل المدينة واستحوذ على ذخائرها والّف جيشاً من المحافظين وغادرهم فيها

ثم انه بعد ان استراح يسيراً خرج من المدينة وجدَّ في طلب امبراطور النمسا ، وكان قد فزع الى اقليم المورافي . وكان نابليون سريعاً في سيره ارادةَ ان يمنع الروس من نجدة النمساويين . فلم يستطع ذلك وقدم الروس وانضموا الى النمساويين وتأهب الجيشان للقتال

فلما رآهم نابليون في مثل تلك الحال تخوف من تقصير يقع فيه ان عجل المبارزة وفكر في وجه الحيلة . وفتق له عقله ودلته فطنته ان يتراجع القهقرى وقد عزم على ان ينصب على اعدائه لاول غلطة تبدو منهم . الا انهم لما رأوه يتقهقر ظنوا ان ذلك للخوف وعزموا على ان يأخذوا الطريق عليه . فتتبعوه واذ بلغوا قرية اوسترليتس داروا بحيث ان احد جناحيهم اصبح لجهة نابليون

فلما رآهم نابليون كذلك اندفع عليهم وقسمهم الى قسمين . واتفق ان مدافع الروس والنمساويين وقعت في مكان متوعر . فتقدم الفرنسيس اليها واستولوا عليها . فعند ذلك كرت عليهم حامية الروس لتنتقم منهم فاقدمت عليها حامية الفرنسيس بثبات جنانها واوقعت بها وصرعتها عن آخرها وكان عددها ما يقارب ١٥ الف رجل

وفي تلك الغضون نكص من الروس نحو من خمسة عشر الف رجل على اعقابهم . ولم يكن لهم سبيل الى الفرار سوى بحيرة متجمدة فبينما هم يسيرون على الجمد ابصرهم الفرنسيس فاطلقوا عليهم الرصاص والقنابل

فتكسر الجمد تحت ارجلهم وغرق منهم خلق كثير . ولما كان بعد يومين اقبل امبراطور بروسيا الى خيمة نابليون وحيّاه

ثم لم يأتِ على هذا ايام حتى بعث اسكندر امبراطور الروسيا يسأل نابليون المهادنة فاستجاب نابليون مسؤوله

في ٤ نيسان سنة ١٨١٤

حالة الفرنسيس بعد خراب موسكو ورجوعهم الى بلادهم سنة ١٨١٢

وأخذت الروس تضايق الفرنسيس أشدّ المضايقة فكانت تقتل وسلبهم وتسلب زادهم ومدافعهم وكثيراً ما كانت تطرق معسكرهم ولا تنثني عنهم الا بعد ان تكون قد أثخنت فيهم . وما زال الروس بالفرنسيس في مثل تلك الحال الى ان يئس الفرنسيس من الاقامة في تلك الارض ، فحملوا أثقالهم وأموا بلادهم

ولما اقتربوا من اقليم اكرانيا وعزموا على المسير فيه اعترضهم الروس فاصطلت الحرب بين الفريقين ودامت نحواً من خمس عشرة ساعة واجلت العاقبة عن رد الفرنسيس عما قصدوه . فساروا على طريق سمولنسك وهو الطريق الذي سلكوه حينما قدموا بلاد الروس . وكان هذا الطريق قفراً لا قوت فيه لان الروس كانوا قد عمدوا اليه واخذوا جميع ما فيه من القوت ارادة ان يهلكوا الفرنسيس جوعاً

وبعد مضي ثلاث ايام قلّ زاد الفرنسيس فهلك منهم خلق كثير . وبينما هم يسيرون اشتدّ الجوع فكثر الموت فيما بينهم وامتلأت الارض من جثثهم . وحدث في تلك الايام ان تلبّد الجو بالغيوم بعد ان كان صافياً وهطل المطر مدراراً فتفاقم البلاء اذ تبع المطر برد قارس فذهب بحياة كثيرين ، والعجب ان الفرنسيس كانوا عند مغيب الشمس يضربون خيامهم

حيث ينتهون

وعند الصباح كانوا يرون ان البرد قد اهلك منهم عدداً كبيراً . ومع كل ذلك لم يزل الروس يتتبعونهم وينقضون على ساقتهم ولا سيما وهم يعبرون الانهر .

وكانوا اذا ظفروا اخذوا من اسروه وخلعوا عنه ثيابه وتركوه على الثلج عرياناً . وكنت ترى الجواهر والحلى وغير ذلك مما سلبه الفرنسيس منثوراً في تلك الصحاري وكنت ترائم يلقون بانفسهم على جيفة فرس مقتول لادفاء ايديهم في جوفه

وفي طريقهم بانت لهم عن بعيد مدينة سمولنسك فقصدوها معللين النفس ان يجدوا فيها من القوت والثياب ما يسدّ رمقهم ويخفف بلأسهم . الاّ ان ذلك لم يكنْ سوى اماني قد عرضت لهم فانهم لما دخلوا المدينة خاب املهم اذ وجدوها على تمام الخراب وليس فيها الا قليل من الارز والخمر

وبعد ان حملوا ما وجدوا من ذلك خرجوا من المدينة فاعترضهم فوارس القزق فبينا هم يصطفون لقتالهم سقط من البرد ثلاثين جندياً اموتاً ثم انهم استأنفوا مسيرهم وكان عددهم ينيف على ثلاثين الف رجل ، عشرة آلاف منهم يستطيعون مناصبة العدو واما الأخر فكانوا في حالة يرثى لها

على ان الروسيين كانوا قد اسروا سبعة وعشرين قائداً وغنموا خمس مئة مدفع وكل ما سلبه الفرنسيس من موسكو . وكان قد هلك من الفرنسيس قبل ان يتوسطوا طريق سمولنسك نحو من اربعين الف رجل عدا الخيول التي بلغ عدد ما هلك منها خمسين الفاً . ومعظم اسباب ذلك كان الخرَص اي شدة البرد والجوع

عودة بونابرت من جزيرة الب سنة ١٨١٥

ولما كان بونابرت في جزيرة الب كان لا يزال يتنسم الانباء في اوربا ولا سيما في فرنسا . ففي بعض الايام ركب في تسع سفن مع تسعمئة رجل وقصد نحو نواحي فرنسا ، فلما بلغها نزل في اول شهر اذار بجانب بروفنسا فلما اتصل خبر مقدمه بلويس الثامن عشر اعلن الى دور حكومة فرنسا ولجميع اهلها ان يأخذوا على بونابرت طريقه وان يردوه على اعقابه

الا ان نابليون لم يبالِ بذلك وسار الى باريس . وكثيراً ما كان يقول ان العَلَم الامبراطوري سيرفع على جميع اجراس الكنائس حتى جرس كنيسة نوتردام . وفي طريقه انضمّ اليه كثير من الشعب ولما انتهى الى مقاطعة ازير التقى بجيش يريد القبض عليه فالفور تقدم نابليون الى امام رجاله وفتق عن صدره وقال للجنود ، مَن رغب منكم في قتل امبراطوره فليفعل . فلما أتمّ كلامه رفعت الجنود باصوات الفرح والسرور : فليحيَ الامبراطور

ثم أخذ نابليون في السير حتى اذا بلغ كرونبل فتحت له ابوابها فدخلها وضمّ محافظيها الى جيشه وحينما انتهى الى ليون اراد ان يعترضه المرشال ناي امير المسكوفا وكان ناي يحب الامبراطور حُبّاً شديداً حتى انه لم يعد له ثبات ان يتعرّض له في حين تذكر بما سلف من ايامه معه . وفي التاريخ انه كان في هذه المدينة الكونت ارتوا وانه بينا كان يوماً يعرض جيوشه اذ وقف على جندي وأمره ان ينادي فليحيَ الملك فقال الجندي ان كان لا بد لي من المناداة فاني انادي ليحيَ الامبراطور لا فليعش الملك

ثم ان نابليون لم يزل يتوغل في فرنسا الى ن بلغ باريس . وكان لويس الثامن عشر قد احتمل بنفسه وفرّ منها وفزع الى مدينة جان

وفي ذلك العهد كانت فرنسا في رغد العيش وصفاءه واستولت فيها الدعة والسكينة لخلوها عن قلاقل نابليون وحروبه . وفي اليوم الثاني لقدوم نابليون باريس ثارت عليها ملوك اوروبا

في ١١ نيسان ١٨٩٤

محاسن الفرنسيس ايام ثورتهم الكبرى سنة ١٧٨٩

من النخوة التي اشتهرت بها الفرنسيس انه في اثناء ثورتهم العظيمة جرى في بلادهم من البسالة ما دلّ معها اشتغل فيهم من الاضطراب على شغفهم في تعزيز وطنهم بما لا مزيد عليه

ولهذا رأيت ان ألمّ بشيء مما حدث في حين دخول المرسيليين الى باريس فان هؤلاء القوم قد تجمعوا من بعض اقاليم فرنسا الغربية والجنوبية وساروا نحو باريس

وفي طريقهم كانوا ينشدون النشودة المرسيلياز وهي النشودة نظمها ضابط افرنسي من مرسيليا في ذلك العهد وكثيراً ما اوقدت نار الحميّة في قلوب جيوشها حتى انهم في حين سماعهم لها كانوا يلقون بانفسهم على العدو وفي غالب الاحيان كانوا يهزمونه شر هزيمة ويعودون عنه بالظفر والغنيمة

وكان المرسيليون لا يمرون بمدينة الا يلقون الرعب في اهلها لقباحة منظرهم وسوء فعلهم ثم لا يغادرونها الا بعد التشنيع واراقة الدم فيها . وما زال ذلك دأبهم الى ان صاروا على مقربة من باريس

وكان يحكم في باريس يوم ذاك جماعة من أهل فرنسا فلما طرقها خبرهم اتخذت احد قوادها مع مئتي الف محافظ للقائهم وكان هذا القائد يسمى سانتير . ولم تفعل الحكومة ذلك الا لعلمها بان هؤلاء القوم يريدون الذود عن الوطن

وفي التاريخ ان فرنسا كانت في تلك الايام في خوف شديد من اعدائها

لانها كانت قد علمت بان جيوش الاعداء قد استولت على قسم من اراضيها الشرقية كمقاطعة اللورين والالزاس وغيرها ، وانها مزمعة على حصار باريس .

وكانت تبذل ما عندها من الجهد لحشد الجيوش والكرّ على العدوّ ، وكثيراً ما صرّحت بان الوطن في خطر شديد ، وهي وسيلة من الوسائل التي اتخذتها في مثل تلك الاحوال للانكماش في جمع الجيوش

ولما اشهرت ذلك أخذت رجالها تقبل على باريس جماعات جماعات ولم يمضِ ايام حتى اصبح عندها ما ينيف على ثلاث مئة الف مقاتل

وباتت قوية على ان تدفع عنها العدوّ الذي كان قد أعلن بانه لا أرب له في محاربة فرنسا الا لاعادة لويس السادس عشر الى عرشه ، ولم يفعل هذا الا القاء للغرور في قلوب من تشيّع للملك لويس السادس عشر فيرتد عن محاربتهم ، ولكنه لم يلبث ان ظهر مكرهم حينما استولت جيوش المانيا على فلنسيان واذاعت ان المدينة هي المانية لا افرنسية

ولما علم أهل المدينة بما يبغي الالمانيون ثارت الحمية في قلوبهم فتألبوا يداً واحدة واندفعوا كأسد على الالمانيين وطردوهم من مدينتهم بعد ما كانوا يظنون انهم منقذوهم وهم لهم اعداء لدّ

٢٦ ت٢ سنة ١٨٩٣

حرب نابليون في اسبانيا سنة ١٨٠٨ — ١٨٠٩

حصار سرقسطه

ومن المدن التي حاصرها الفرنسيس في اسبانيا مدينة سرقسطه عاصمة اقليم الاراغون ، وكان عليها والٍ يوم ذاك يدعى بالافكس وكان شديد البأس بعيد العزم ولما اتصل به خبر مقدم المرشال لآن الفرنسي بجيوشه على المدينة استنهض قومه فتألبوا يداً واحدة وناصبوا الفرنساويين حرباً دامت اربعين يوماً حتى اضطروهم للتراجع عنها

وبعد ما شاء الله من الزمن اعاد لآن الكرة عليها وكان قد انضم اليها ما ينيف على خمسين الف اراكوني حتى بلغ عدد اهلها مئة الف ولما علم بالافكس بلآن انتظره تحت اسوار المدينة حتى اذا اقبل انتشبت الحرب وحمي وطيسها في المقدمتين وأجلت العاقبة عن هلاك خلق كثير

وتطاول بعد ذلك أمد الحصار على المدينة . وكان لآن كلما بنى حصناً يقيه من قنابل السرقسطيين خرج عليه بالافكس باصحابه فخرب ما بناه وعاد معتصماً في المدينة

وما زال ذلك الى ان اقترب لآن من المدينة ، فرماها بالنار نحواً من اربعين يوماً حتى استفتحها . فاعتصم اهلها بالبيوت وانحى كل بيت بمثابة قلعة لا تُدخل الا بنسفها وهلاك من فيها . ولم يمض على هذا شهران حتى فشا في المدينة وباء فتك فيها فتكاً ذريعاً وبلغ عدد من هلك نحواً من خمسين الفاً

وعرض في تلك الغضون انه مرض بالافكس ونقل مرضه عليه فعجز عن قيادة الجيش فانفذ الى لآن يدعوه الى الصلح فصالحه وعفا عن اصحابه خلا اياه فانه ارسله الى فرنسا حيث مكث تسع سنين اسيراً ثم عاد فارتد الى اسبانيا

حرب نابليون في اسبانيا سنة ١٨٠٨ — ١٨٠٩

ولما اخضع نابليون الالمانيين وعقد الصلح مع النمساويين وجّه طلائع بأسه ناحية اسبانيا ، وكان القائد ويلنتون الانكليزي قد نزل على البرتغال وقتئذ رجاء ان يتربّص فرصة ليدخل اسبانيا ويجلي عنها الفرنسيس

ولما وطىء الفرنسيس اسبانيا ، افتتحوا مدناً كثيرة ، منها كوردوفه وغرناطة وسفيل . الا انهم لم يستطيعوا اذ ذاك الاستيلاء على مدينة قادس فرفعوا عنها الحصار وتوجهوا الى البرتغال . وفي طريقهم كانوا عرضةً

لقنابل « الكيرلا » او العصابات وهم جماعة من الاسبان قد تألبوا يداً واحدة وجعلوا دأبهم معارضة الفرنسيس . فكانوا اذا رأوهم يكمنون لهم واذا امكنتهم الفرصة اطلقوا عليهم نارهم فيتبعهم الفرنسيس فيولون ادبارهم ثم يعودون الى الكمين حتى اذا مرّ كل الفرنسيس انقضوا على ساقتهم واثخنوا فيهم واخذوا الاسارى ونكّلوا بهم

ولم يزل الفرنسيس على هذه الحال معرضين لمهاجمة الكيرلا يعانون العذاب والمشقة في طريقهم الى ان بلغوا البرتغال

فلما علم القائد ولنتون بقدومهم وبكثرة عددهم تراجع القهقرى حتى انتهى الى ظاهر لسبونة عاصمة البرتغال

فسار اليه الفرنساويون ونشبت بينهما الحرب وتواترت نحواً من ستة اشهر دون ان يتمكن الفرنسيس من الظفر بولنتون . وفي آخر الامر اضطروا ان ينكصوا على اعقابهم بعد ان قل زادهم وعتادهم ، وما علم بذلك ولنتون حتى نادى في جنوده ونهض فيهم ودخل اسبانيا وكانت جميع جنوده قد تعودت خوض المعامع ولم يعد يهولها شيء ، وكانت في كل معاركها تتحدّى الفرنسيس بالحمل على العدوّ وهم كثيرون وبايديهم الحراب اللامعة وكان ذلك وسيلة لهم للظفر بالعدو على حين التقائهم به

ولما بلغ ولنتون وجنوده مدينة باجادوز نازلوها وافتتحوها وطردوا الفرنسيس منها . وعطفوا من هناك على القائد مارمونت الفرنسي واستعرت بينهما الحرب في سهل ارابيل دون ان يتوجه الفوز لاحدهما

الا ان هذا لم يمنع ولنتون من الاستيلاء على فالدوفيدو وسلمناك ومدريد عاصمة اسبانيا

وحين دخلها ولنتون خرجت الاهالي للقائه انيسة الطلعة وهي تناديه بانه منقذها

حرب الجزائر سنة ١٨٢٦ — ١٨٣٠

« معربة بتصرف »

ومما اشغل الفرنسيس في عهد وزارة بولنياك حرب الجزائر الشهيرة وكانت الجزائر لم تزل منذ ست عشرة سنة في مناوشات مع فرنسا لاسباب كثيرة ، منها امتياز صيد المرجان واستدانة بعض الجزائرين من اموال فرنسا واهانة بعض قناصلها . ففي سنة ١٨١٤ طرد الجزائريون قنصل فرنسا ثم لم يمض على ذلك ثلاث سنوات حتى اغلّ (١) امير الجزائر امتياز صيد المرجان وكان هذا المرجان تحت حوزة الفرنسيس

وفي سنة ١٨٢٦ اعلن الامير ان صيد المرجان اصبح مباحاً الا انه بقي غالياً وادّى ذلك الى لجاج بين قنصل فرنسا في الجزائر والامير حسين باشا . فلما طال اللجاج بينهما غضب الامير وضرب القنصل بمذبة كانت بيده فاكبرت الامر فرنسا وطلبت ترضيتها فلم يجبها امير الجزائر الى ذلك . فانفذت بعض سفنها الحربية الى الجزائر وحاصرتها نحواً من ثلاث سنوات من جهة البحر على غير طائل

وكان على فرنسا يوم ذاك كارلوس العاشر ، وانه لما علم بما لحق فرنسا من الاهانات اراد ان ينتقم من الجزائريين ، وكانت سردانيا واسبانيا تريد مظاهرته على الجزائريين فلم يرضَ بذلك ، ولم ينبئ انكلترا بما كان قد عزم ان يفعله في بلاد الجزائر

فغضبت انكلترا وانفذت الى سفيرها في فرنسا مذكرة تقول فيها ان نزول فرنسا على الجزائر يكون سبباً في انتشاب حرب بين فرنسا وانكلترا فاخذها السفير وقدمها الى بولنياك وزير فرنسا ، فلما قرأها لم يكن منه الا ان قال للسفير ، اخبر انكلترا انك قد قدمت لي المذكرة ولم اقرأها

واساء

(١) خان في المغنم وأساء

ثم لم يمضِ على ذلك الا القليل حتى جهّزت فرنسا ثلاثين الف نوتي حملتهم المراكب الحربية وشحنت في السفن التجارية ما ينيف على اربعين الف رجل وسلمت قيادتهم الى بومرمونت الذي كان مرشحاً لرتبة المارشال

وأحاطت بهم السفن الحربية تحميهم من الاذى الى ان وصلوا الى سيدي فيروخ فنزلوا الى البر وسيدي فيروخ هي شبه جزيرة قائمة على خمسة فراسخ من مدينة الجاريا للجهة الغربية . وكان ذلك في ١٤ حزيران سنة ١٨٢٦ وظفروا بالجزائريين واستولت فرنسا على بلادهم وانقطع من ذاك الوقت دابر القرصنة في البحر المتوسط .

حرب نابليون في ايطاليا سنة ١٧٩٦ — ١٧٩٧

ولم يزل بونابرت يوقع بمن واقعه حتى عبر نهر المانسيو وتقدم وحاصر مدينه مانتو ، وكانت هذه المدينة على غاية من الحصانة تكتنفها بحيرة ولا يستطاع الدخول اليها الا بعد المرور على الجسور المحصنة بالمدافع . وكان القائد بوليو النمساوي قد جاءها ودخلها في ثلاثة عشر الف رجل ، وكان على أسوارها نحو من أربع مئة مدفع

وبينا بونابرت يهتم بامر الحصار اذ علم ان القائدين فيرمزر وملاس النمساويين قد قدما من ناحية التيرول مع مئة الف رجل يريدون محاربته فللفور أخذ قسماً من جيشه مع كثير من المدافع وسار اليهم

ولما التقى بهم ، دفعهم من امامه واستولى على فيرون ولوناتو وبريسيا وغيرها من المدن . ثم اوقع بفرمزر تحت اسوار مدينة كاسيليوني . ولم يزل بونابرت على مثل تلك الحال مدة ستة ايام حتى قتل ستين الف نمساوي ثم تتبع فيرمزر وكازاناويتش وغنم منهما غنائم طائلة . ودخل في حوزته ما كان استولى عليه النمساويون

وكان فيرمزر شيخاً طاعناً في السن الا ان هذا لم يمنعه ان يكون

بعيد الهمة صعب المراس ، وانه لما رأى ما حل بجيشه حشد جيشاً آخر من جبال التيرول وتوجه نحو بونابرت . فانبل عليه بونابرت والتحم القتال بين الفريقين عند مدينة روفيريدو ، فدارت رحى القتل في النمساويين فتشتتوا طرائق وتمزقوا حزائق ، فسار فيرمزر على طريق يجهله الفرنسيس وكان في عزمه ان يدخل مانتو ، فالتحق به بونابرت فلم يستطع الوصول اليه . ودخل فيرمزر المدينه المشار اليها . ولما اتصل بامبراطور النمسا ما صارت اليه حالة جنوده جهز جيشاً آخر وسلم قيادته لالفنزي ، وكان عدده ينيف على مئة الف مقاتل . فلما بلغ الفنزي نهر الاديج جمع الجيش امام جسر اركول . وانتظر قدوم الفرنسيس ، فلم يمض الا القليل حتى جاء هؤلاء

وقبل وصولهم اليه اضطروا ان يسيروا في مناقع كانوا يجهلون عمقها حتى ان الوحل بلغ ركبهم ، فلما رآهم النمساويون كذلك اطلقوا عليهم نارهم فلم يهل الفرنسيس ذلك ، لكنهم أخذوا يجهدون انفسهم لتقدم الى الامام فلم يمض ساعات من النهار حتى هلك منهم خلق كثير ، ومن جملتهم خمسة قواد

فعند ذلك أخذ الغضب من بونابرت وانتقى من جيشه رجالاً جريئي الصدور واقدم على الجسر وعبره ثبت الجنان دون ان يبالي بما كان يهطل عليه كالمطر من رصاص العدو ، شاحذاً عزمهم بقوله لهم ، ألستم انتم من ظفرتم في موقعة لودي ؟

ولم يسر بونابرت غير ثلاثين قدماً حتى انهدم الجسر من قنابل العدو ، وتراجع بونابرت القهقرى . وكانت الشمس قد آذنت بالغروب . فاخمدت نار الحرب بين الفريقين ، ولما اصبحا تقاتلا سحابة يوم دون ان يتوجه الفوز لاحدهما

وفي اليوم الثالث امر بونابرت القائدين اوجيرو ومسينا ان يعبرا النهر وينقضا على العدو بخيولهما فعبرا النهر وسارا اليه وبطشا به حتى ظهرا عليه

وهذه الموقعة كانت كثيرة المصارع والدماء ورفعت بالفرنسيس الى اوج الفخر .

على ان الفنزي اصرّ على ان ينقذ النمساويين الذين كانوا تحت الحصار في مدينة مانتو . فلما اتى بونابرت خبره نهض للاقائه وانتشبت الحرب بين الفريقين في بقعة رفولي ، وأجلت العاقبة عن فشل الفنزي وردّه عن عزمه وتشتت رجاله في البلاد

الا أنه اخذ عصابة منهم وسار يريد مانتو ولما صار على مقربة من المدينة همّ فيرمزر بالخروج منها بحيث ان الفرنسيس المحاصرين هنالك اصبحوا مكتنفين بالعدو . فلم يعبأوا بذلك وثارت الحمية في قلوبهم فانقضوا على الفنزي واضطروه ان يسالمهم ، ثم عطفوا على فيرمزر فهزموه حتى اذا دخل المدينة استأنفوا حصارها واستمروا يضيّقون عليها اشد المضايقة الى ان اتخذت دار حكومة النمسا رسلها تدعوهم الى الصلح والمهادنة فاستجاب الفرنسيس ما سألوه واستولوا على ايطاليا الشرقية في ٢ شباط سنة ١٧٩٢

بعض ما جرى للجيوش الفرنساوية

ايام كان بونابرت يحارب في مصر وسوريا سنة ١٧٩٨—١٧٩٩

« معربة بتصرف »

لما انتشبت الحرب بين فرنسا ودول اوروبا المتحالفة ضدها سنة ١٧٩٩ بغياب بونابرت في مصر وسوريا اتخذت الروسيا القائد سوفاروف لمحاربة الفرنسيس ، وكان سوفاروف رجلا شجاعاً ماضي الصريمة قد اشتهر في حروبه مع البولونيين والترك بدهائه وعلو همته . ولما بلغ ايطاليا اوقع بالقائد مورو الافرنسي فقهره وهزمه من مدينة كاسانو . وكان تحت امرة مورو

نحو من عشرين الف رجل

ثم ان سوفاروف سار يريد القائد ماكدونلد . وكان ماكدونلد قد فرّ برجاله وامّ فرنسا . فتقدمه سوفاروف وأخذ عليه الطريق فبطش به في بقعة ترابي واهلك من جيش الفرنسيس ما ينيف على عشرين الف رجل الا ان ماكدونلد لجأ الى مدينة جنوى بايطاليا . وكانت هذه المدينة اذ ذاك في حوزة الفرنسيس . واما سوفاروف فانه زحف على جوبر القائد الافرنسي وواقعه عند مدينة نوفي فظهر عليه وهلك جوبر في المعركة . وكانت آخر نوبة تغلب فيها الروس

ومن ثم عطف سوفارو على جبال الالب وسلكها وفي عزمه ان ينضم للنمساويين ، وكان النمساويون في ارض السويس . الا انه قبل وصوله اليهم انقضّ ماسينا عليهم فضربهم عند مدينة زوريخ ومزّق سوادهم . فلما اتصل ذلك بسوفارو عاد ادراجه حذار ان يقع في ايدي الفرنسيس

ولم يزل سوفارو يجدّ في السير حتى اذا كان بعض الايام وقف الجيش امام جبل صعب المرتقى مغطى بالثلج وصاح بانه لم يعد له طاقة بالمسير

فعند ذلك أخذ الغضب من سوفارو واقبل حتى اذا أتى مقدمة الجيش احتفر حفرة في الثلج والقى بنفسه فيها ، وقال لجنده امضوا وانبأوا اوربا انكم ههنا ودفنتم قائدكم . فلما سمع الجيش هذا الكلام تشدّد وتسلق الجبل .

وقبيل هذا بقليل ظفر القائد الفرنسي برون بجيش مؤلف من الروس والانكليز وكان هذا الجيش قد قدم هولندا على المراكب الانكليزية . على ان فرنسا كانت قد تخلصت من الغزو بعد معركة زوريخ ، الا انها خسرت جميع املاكها في ايطاليا وهلك كثير من قوادها ، منهم جوبر وهوش ولم يبقَ سوى مورو وماكدونلد واوجيرو وبرنادوت ، وكانوا كلهم رجالاً للحرب لا للسياسة . وكانت جميع الآمال معلقة ببونابرت

وانه حينما قدم فرنسا من مصر في اليوم الرابع عشر من شهر تشرين

الاول سنة ١٨٠٢ خرجت الاهالي للقائه انيسو الطلعة ورفعت اصواتها هاتفة ليحيَ الامبراطور

وفي التاريخ انه لما ورد على احد المبعوثين في باريس خبر مقدمه فرح واشتدّ عليه فرحه حتى قتله . هذا ما كان من امر شعب فرنسا وامر بونابرت فلم يبدِ اكتراثاً بذلك دفعاً لاغراض القارضين وسهام الطاعنين

باب المقالات والمتفرقات

مقالات

فضل المتقدمين على المتأخرين

اذا نظرنا الى حالنا وجدنا بوناً شاسعاً بيننا وبين من سلفنا فانا نرى سبل المعيشة قد تسهّلت والعلوم بلغت من التقدم مبلغاً عزيزاً وتهافت الجميع عليها يريدون اقتباسها لما رأوا من تسهيل طرقها وتشعّب فروعها الى كل نوع حتى ان من رغب مثلاً عن علم الفلسفة مال الى درس علوم الطبيعة او الطبيعيات او غير ذلك مما يلائم ذوقه ويقارب طبعه

وكلنا يعلم بما صارت اليه حالة العلم في هذه الايام في اوروبا وما هم عليه اهلها من الانعكاف على البحث والتدقيق والادمان في سبل الكشف والاستنباط وما بلغوا اليه من البسطة في العلم والتبحّر في مداركه واستقصاء غاياته حتى اماطوا عن دقائقه الغطاء واظهروها من الخفاء

الا ان ذلك وان يكن حميد الذكر جميل الفخر لرجال عصرنا فمن الواجب ان لا يشغلنا عن القيام بفريضة الثناء لاسلافنا وتفضيلهم على المتأخرين اذ انهم هم الذين وضعوا اسس العلم وسنّوا شرائعه ونهجوا في وجوه المتأخرين من سبله ما اقتبسته ابصارهم وجعلهم يسيرون في ضوئه سحابة القرون .

وما مثلهم الا مثل من وجد طريقاً في فدافد واسعة الاكناف ممتدة الاطراف فسلكوها وجعلوا فيها اعلاماً تسهيلاً لمن يسلكها من بعدهم

فلما جاء المتأخرون ساعدهم الحظ بما تهيأ لهم من الاعلام فساروا عليها آمنين دون ان يتحملوا مشاق وجدناها ولم يعد لهم سوى اصلاحها . فشرعوا في اسباب تمهيدها وتزيينها وتوطئة المتوعر فيها الى ان اصبحت على تمام الزخر والابداع . ومما يؤيد قولنا اننا لو اعتبرنا ان المتأخرين عاشوا

في زمن المتقدمين ، والمتقدمين في أعصر المتأخرين لرأينا ان كلاً من الفريقين فعل ما قد فعله الآخر من تقدم العلوم والصنائع وغير ذلك مما هو نافع للمدنية والعمران

وفي البحث نرى ان من استنبط شيئاً غير واف بالاستعمال ثم اصلحه غيره كان الفضل له لا للمصلح . ومثل ذلك مثل كوتامبرج فانه لما اخترع المطبعة كان طبعها على غاية من السماجة وكان ينقصها عدة اشياء

فلما جاء الناس من بعده تولّوا اصلاحها وسدّ ما بقي من خللها حتى بلّغوها درجة الكمال . ومع كل ذلك نرى انها لم تزل ضامنةً لمنشئها الفضل والثناء

١٨٩٤

التواضع والكبر

التواضع على نوعين تواضع العقل وسببه العقل وتواضع المعرفة وسببه المعرفة . فتواضع العقل هو ان المتواضع متى نظر الى نفسه لم يرَ الا ضلالا في افكاره وعماوةً في عقله وفساداً في مقاصده وغير ذلك مما ينطق له بأن لا قيمة له عند البحث والتدقيق

وتواضع المعرفة هو ان الرجل الحكيم متى عرف من نفسه ما هو عليه من الميل الى الفساد والخلاعة لم تعجبه نفسه ولم يعد يجد للخيلاء سبيلاً فيلين عقله ويوسع خلقه ويبيت اذا فعل خيراً او غير ذلك مما يعود نفعه الى غيره من الناس لم يعجب من ذلك ولكنه يأخذ نفسه في خفض الجناح وتصاغر النفس والابتعاد عن العُجب والعتو

وانا نرى من الناس من اذا ابتغى الارتفاع تلقى الامور بالمسامحة والمياسرة وابدى من تطأمن الجانب والتجافي عن الكِبر والزهْو ما يجعله ان يظفر بحاجته ويفوز بمأربه ، والسبب في ذلك انه متى تضاءل وتصاغر لا بدّ له من

القيام بخدمة غيره والانقياد لاهوائهم والرفق بهم حتى يستميل قلوبهم اليه ويحوز ثناءهم عليه

وفي ايامنا نرى ان محور السياسة دائر على استمالة القلوب وانعطافها لا على تهديدها وارهابها ومثل ذلك مثل الوزراء والحكام في فرنسا فانهم لا يستطيعون تأييد منازلهم وتوطيدها الا بعد ان يستميلوا للضعة ويتصاغروا للشعب وغيره ممن هو أحطّ منهم منزلة وادنى طبقة واذا كان ذلك حال الوزراء وارباب السلطة فما الظنّ بمن لا سلطة لهم

على اننا لو نظرنا الى المتعجرف لرأيناه على غير ذلك ، فانه اذا فعل شيئاً وكان قليل المنفعة استحسنه وذهب بنفسه وشمخ بانفه واخذت منه الخيلاء ونزت برأسه سورة الكبرياء فيتيه على غيره من الناس حالة كونه لا يكون قد فعل ما يستحق الذكر . وكثيراً ما تراه يتزيّ بزيّ اهل الفضيلة ارادة ان يموّه على الناس حكمته وعظمته ، وظناً ان ذلك وسيلة لاكرامه ورفع مقامه

الا اني لا أرى هذا الا تزيين الغرور وطلب المحال ، اذ ان للناس ابصاراً تنتقد وعيوناً تميّز . وفي غالب الاحيان قد يرجع بصفقة المغبون عما رغبه بعد ان يكون قد بعث النفار في الصدور والاشمئزاز في النفوس وبات هدفاً لسهام القدح والتقريع والتهكم والتشنيع

وكثيراً من اولاد المدارس اذا خرجوا منها وفي ايديهم الاجازات المؤذنة باستكمالهم دروسها اعتقدوا انهم قد احاطوا باطراف العلوم وعدّوا غيرهم من الناس جهلة فيركبون ظهر التيه ويجرّون اذيال العُجْب ويصبحون اذا حيّاهم احد حوّلوا بوجوههم عنه استنكافاً منه ولا يعلمون ان وراء ذلك من الطعن عليهم والازدراء بهم ما يحط بمقامهم ويزيدهم قرباً من الجهل وبعداً عن الادب

في ١١ ايلول سنة ١٨٩٤

متفرقات

وافاني كتابك العزيز وفيه تنبأني بانك عاتب لانقطاع رسائلي عنك ظاناً ان ذلك انما هو ناجم عن فتور في الولاء وقصور في الاخاء فمعاذ الله ان يطفىء نيران حبي بعد الاوطان وتمادي الازمان ولكن ما الحيلة والعوائق جمة . فان الايام تجري على احكامها المعروفة وسننها المألوفة ، فلقد انقضت عليّ هذه البرهة كلها وانا في شواغل قد قصرت الجهد وحالت دون العزم والقصد ، والله يشهد اني لو لم ابذل الوسع في مدافعتها لما استطعت ان انتهز هذه الفرصة الوجيزة اجدّد فيها ما كاد يرثّ من حبل الوداد ، راجياً ان ابقى بين عدد اصدقاء سيدي مذكوراً وان لا يكون ذنبي في جانب عفوه شيئاً منظوراً ، سائلاً الله ان يفسح له البقاء وان يمتعنا عن قريب باللقاء بمنه تعالى

ابيات انشدت بوليمة للامير خليل الشهابي حفيد الامير بشير الشهابي

اميرٌ قد علا اوج المعالي	بعزم دونه شمُّ الجبالِ
يُرينا من الفعائل كل يوم	بما ليس يعدَّد بالمقال
يفكك كل معضلة بفكر	يحير حلَّها خير الرجال
أميرٌ قد تسلسل من جدود	لها الاعراق عليا بلا مثال
فلا عجباً اذا قلنا خليلاً	لبدر في المحاسن والكمال

١٨٩٥

كتاب تعزية

الدنيا اطال الله بقاءك ديار كثيرة الاقدار والاعمار فيها كسفر من الاسفار فبينا يكون المرء ساهياً وفي نعيمها لاهياً اذ تغتاله المنون وهو في شأن من الشؤون فتورث من بعده الحسرات، وتوكف العبرات فيمسي ويصبح في الاكدار، لكثرة ما يسمع من مزعجات الاخبار، ومن أحبّ ان يعرف الدنيا فلينظر يمنةً هل يرى الا محنةً، ويعطف يسرةً هل يرى الا حسرةً، ومثلك من ادرك الامور فأعدّ لها صدراً، لا تفعمه الافراح ولا تطيره الاتراح وصحب الدنيا صحبة مَن علم مصايرها، وعرف موارد الحياة ومصادرها

ولقد نعيت عليّ والدتك تغمدها الله برضوانه وافاض عليها من سوابغ غفرانه فشبت النيران في الفؤاد، ونفر من الاجفان الرقاد وبت لا اهتدي الى الجلد، لكثرة ما اخذني من الكمد، وكيف لا أحزن وقد فقدت من كانت لك العزاء في ايام البلاء، ولقد اصابت بها المنية من الاحياء من كانت ارقهم قلباً واطيبهم خلقاً واحسنهم تدبيراً واورعهم تقوى. واذ قد انصرفت الآن لخالقها، فمالك لتخفيف وطأة هذا الخطب الجليل، الا الاعتصام بالصبر الجميل، والله المسؤول ان يتغمدها برضوانه ويسكنها فسيح جنانه.

في ٢٥ ايار سنة ١٨٩٤

قصة صغيرة ملفقة

بينا كنت في بعض الايام ماراً في بعض الطرق سنحت مني لحظة فرأيت امامي في نافذة شاباً على غاية من الجمال فوقفت انظر اليه وقد أخذتني الحيرة بما رأيت من صفاء أديمه وتناسب اعضائه واشراق طلعته فاحببته وشغفت به حتى لم يعد لي طاقة باستئناف مسيري

فاقبلت عليه وفي نفسي ان اجدثه رجاء ان يخفف نيران حبي بعذوبة كلامه. الا ان ذلك لم يكن سوى اوهام قد عرضت لي ، فاني حين دنوت منه وانجلى في عينيّ ما عليه من الحسن البارع والجمال الرائع تلجلج لساني عن الكلام وشعرت بحركات متتابعة في القلب ظننت انه قد انخلع من مكانه ، فاشفقت على نفسي واحتفزت بالرجوع حذار ان يقضى عليّ

الا اني عند ذلك شعرت اني قد سبيت بمن رأيته واصبحت مقيداً بسلاسل الحاظه . فقلت : انا لله وانا اليه راجعون . ولما رأيت نفسي في مثل تلك الحال تشدّدت وشحذت عزمي بما بقي لي من القوة واقدمت على النافذة وحييته وخضت معه في الحديث ملياً

وكان حلو المعاشرة ظريف المحاضرة وكدت اشربه لعذوبة مذاقه وحلاوة اخلاقه ، ثم اني لما رأيت قد آن وقت الاياب الى منزلي تركته وانصرفت عنه وفي النفس منه اشياء

رواية الاختين (١)

لا يجهل القراء ما كانت عليه الاسكندرية في نهاية شهر اوغسطس من سنة ١٨٨٣ من وقوف الاعمال واشتغال الافكار بحركة الدوارع الانكليزية من الخارج والجنود المصرية من الداخل وما كان ثمة من المذابح والمخاوف مما كاد يجعل تلك المدينة قاعاً صفصفاً . ومما زاد في وحشة المدينة مهاجرة الكثيرين من سكانها اذ كانوا يتدافعون الى البحر تباعاً هرباً من تيار ذلك البلاء الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً

الا ان كثيرين لم يتسنَّ لهم الرحيل بسبب قلة ذات اليد او الانهماك في احوال خاصة ولا سيما ارباب العيال ممن لا يتيسر سفرهم الا بعد استعداد طويل . وكان في شارع العطارين مسكن يقطنه رجل يدعى بطرس ... وزوجته وطفلان له وكان بطرس مناهزاً للخمسين من عمره وهو رجل وقور الهيئة حسن الطلعة كريم الخصال كامل الصفات لم يستولِ على قلبه سلطان الهوى الا قُبَيل ذلك العمر فاقترن بفتاة تنتسب اليه ورزقه الله منها ابنتين توأمين قبل الحادثة العرابية بقليل من الزمن . فلما اخذ القوم في الرحيل حالت دون سفره اقوى المثبّطات واهمها بقاء زوجته على فراش نفاسها والطفلتان فلم يدرِ كيف يمكنه نقل الثلاث

(١) معربة عن الانكليزية بقلم الكاتب العصري نسيب المشعلاني، وقد احببت نشر هذه الرواية لما فيها من الفائدة والفكاهة

ولا سيما زوجته وهي في مثل تلك الحالة ولما لم يجد بداً من البقاء سلم امره الى الله واقام يتوقع ما يجيء به القدر . ولما اشتدت الفتنة وتفاقم الهياج في المدينة اخذت الكرات تتطاير فيسمع لها دويٌّ عظيم يتبعه اعظم منه من سقوط الابنية ودكّ القلاع فوقع على زوجة بطرس رعب عظيم وخافت على زوجها وطفلتيها واخذت تتسخط على نفسها لانها كانت هي السبب في تخلف زوجها عن السفر والتخلص من شر تلك النكبات فأثر ذلك في صحتها ولا سيما مع تواتر الرعب وارتفاع الصيحة في البلد ووجدت الحمى محلاً ضعيفاً في جسم تلك الوالدة المسكينة فتمكنت منها وقبل ان تهدأ الحال ويعود الامن كانت قد غادرت دار الفناء تاركةً زوجها والطفلتين . وكانت هذه الضربة الاخيرة اعظم مما يقوى بطرس على احتماله فحنت ظهره واذهبت رشده ولبث حيران يقلب نظره في جثة زوجته الباردة الى طفلتيه ويذرف دمعاً مدراراً وهو لا يرى من يكلمه بكلمة تدرأ عن قلبه الكسير ما يلقاه من اليم الاحزان

ولم يدرِ بطرس باي وسيلة ينقل زوجته الى المدفن ومن يقوم له بهذا العمل فكان ذلك يزيد في حزنه وهمه واخيراً ادخل جثة زوجته الى احدى الغرف وتركها موسدة على السرير ثم اغلق الباب وخرج الى طفلتيه فاحتضنهما وجعل يبكي ولم يكفكف عبرته حتى اخذت الطفلتان في البكاء ايضاً فدفعته الغريزة الى استعمال ما يسكتهما به وكان قد بقي في البيت قليل من اللبن الذي كانتا ترضعان منه فوضعه في زجاجة

وجعل يجرعهما منه شيئاً فشيئاً الى ان ارتوتا ونامتا فعاد الى بكائه ومضت عليه ثلاثة ايام على هذه الحالة لقي فيها اشد العذاب والبلاء . ولما لم يعد يحتمل البقاء وكانت الرائحة الكريهة تنبعث من غرفة المَيتة عزم على مغادرة البيت فحمل الطفلتين وخرج واسعده الحظ ان رأى عربة الصحة تنقل بعض الجرحى الى المستشفى ويحرسها ضابط من الفرسان فجثا امامه وطلب اليه ان ينقله معهم وادركت الشفقة قلب الضابط فوقف العربة وادخل الرجل وابنتيه ولما بلغ الجميع المستشفى وافت الراهبات يلاقين مرضاهم ومن جملتهم الطفلتان فاخذتهما الرئيسة مع والدهما الى غرفة على حدة وبعد ان علمت قصته حزنت على مصابه ووعدته خيراً ثم ارسلت من استدل على جثة الزوجة المائتة فدفنوها واقام بطرس في المستشفى مع الطفلتين وكانت الراهبة تعتني بهما اعتناء الام باولادها

ولم يمض مدة طويلة حتى هدأت الاحوال واستتبّ الامن فخرج بطرس بابنتيه من المستشفى ولما كانت الراهبة عالمة بحاله نقدته ما تيسر وزودته بكتاب توصية الى احد تجار الانكليز واوصته ان يأتيها بالابنتين كلما امكنه لتراهما وتطمئنّ عن احوال معيشته . فودعها وكله ألسنة ناطقة بشكرها وكان قد اكترى له بيتاً صغيراً قبل خروجه من المستشفى عند امرأة ارملة وعدته ان تعتني بابنتيه فانطلق اليه . واخذ من ليلته يسعى وراء الشغل فقصد التاجر المذكور وقدم اليه كتاب الراهبة فتناوله وقرأه ووعد بطرس بالخير ثم عينه صرافاً في محله فاقام في خدمته . وكان

بطرس لا يهمه الا الاعتناء بابنتيه وقد رأى بهما سلوةً وعزاءً فكان لا يصدق ان يعود من شغله فيحتضنهما الى ان تناما . وكان لم ينسَ وعده للراهبة بزيارتها في كل اسبوع فلما نشأت الابنتان ادخلها بواسطتها الى مدرسة يومية حيث كانتا تتلقيان في النهار علومها المدرسية وفي الليل الفضائل الادبية عن والدهما

وفي سنة ١٨٩٨ بلغت الابنتان الخامسة عشرة من العمر وكانتا قد انهتا دروسهما وكان بطرس قد حسنت احواله المالية فاتخذ له بيتاً حسناً واقامت الفتاتان فيه بترتيبانه وعادت الاصدقاء الى زيارتهم فجعل بطرس يعود شيئاً فشيئاً الى هنائه الماضي لولا كسر قلبه الذي يصعب جبره . اما الابنتان فكانتا تجتهدان في استعمال كل الوسائط لراحة والدهما ورفاهيته وكان اسم الواحدة على اسم والدتها سلمى واسم الثانية وداد

وكان من جملة المترددين على بيت بطرس نسيب له يقال له سليم .. وهو فتىً في الحادية والعشرين من عمره حسن الهيئة جميل الخصال كان قد مال قلبه الى سلمى فاحبها شديداً واكثر من زيارتها وقد وطن نفسه على الاقتران بها ولم تجهل سلمى ما اضمره سليم فاستبشرت من ذلك بمستقبل سعيد غير ان الامر بقي ضميراً مكتوماً عند كلا الطرفين . اما وداد فانها منذ رأت سليماً في اول مرة شعرت بانعطاف قلبها اليه واشتداد محبتها له الا انه كان معرضاً عنها لا يكاد يعيرها طرفه ولكن ذلك لم يكن ليضعف من حبها له بل كانت تزداد شغفاً به وميلاً اليه

ولما طال الامر على ذلك وهي لا ترى منه الا اعراضاً عنها وميلاً الى سلمى حدثتها نفسها ذات يوم ان تصرح له ببعض ما عندها فانتظرت قدومه في المساء ولما جاء جلس بقرب سلمى يحادثها وقد تفرغ لها بكليته ووقف عليها جميع حواسه فرأت وداد ان لا امل لها في محادثته تلك الليلة فلبثت حيناً تساورها الهموم ثم نهضت فاستأذنت معتذرة بان بها صداعاً اليماً يلجئها الى الرقاد ودخلت الى غرفتها حيث انطرحت على سريرها تفكر فيما عسى ان يكون . ولما انتصف الليل انصرف الزائرون وذهب كلٌّ الى رقاده ودخلت سلمى الى غرفتها حيث تنام وداد ايضاً ولكنها عوض ان تنام جلست الى مائدة في الغرفة وجعلت تتفكر وهي في حالة قلقة . وبينا هي كذلك دعا انتباهها حركة في سرير شقيقتها فنظرت ولما رأتها لا تزال مستيقظة قالت لها ألم تنامي بعد يا وداد . قالت لا ولا ارى انه يمكنني ذلك الآن . قالت اذا كان كذلك فهل لك ان تسمعي مني حادثة سرية وتوازريني برأيك ايتها الشقيقة . فاستوت وداد جالسة في سريرها وقالت هاتي ما لديك . فدنت سلمى وجلست الى جانبها ثم أخذت في الكلام فقالت :

لا اخفي عنك يا شقيقتي ان سليماً كلما جاء يجالسني ويحادثني ولا أدري أمن معاشرته اليومية أم من عوامل داخلية أراني قد ملت اليه و ... وأحببته ولكن لم تكن محبتي له الا كمحبتي لك غير اني كنت الاحظ انه بود مني غير ذلك مع انه لم يفه امامي بكلمة في هذا الشأن .

ولا أطيل الكلام على ما ذكرت بل اقول انه الآن بعد ان عزم على الانصراف وودع الجميع اتى فودعني ووضع في يدي هذه التذكرة وقبل ان يمهلني لانظر ما فيها اختفى فاتيت الى هنا وانا حيرى لا اعلم ماذا أفعل أأعطي التذكرة لوالدي ام أقرأها ام أردها اليه . فقالت وداد لا ارى من الحكمة ارجاعها الى سليم بل يكون ضرباً من اساءة الادب ان تردّيها اليه قبل ان تعرفي ما فيها واما اطلاع والدي عليها فأظن ايضاً انه لا يليق الآن لانه لو شاء سليم ان يطلعه على ما فيها لما سلمها اليك سراً وعلى كل حال ارى ان تفضّي هذا الغلاف فنطلع على ما تتضمنه الرسالة ثم نفعل بحسبه . قالت سلمى اصبت ايتها الشقيقة ومع ذلك فلا اراني اقوى على تلاوة هذه التذكرة فخذيها واقرأيها انت . فتناولت وداد التذكرة بيد مرتجفة وهي متشوقة ان تطلع على ما كتب محبوبها سليم وتخاف ان تجد في الرسالة ما يقطع حبل املها منه فتموت غماً . غير انها تجلدت وفضّت الغلاف ثم أخذت تقرأ بصوت يرتجف وقلب يخفق فاذا في الرسالة ما يأتي :

حبيبتي الوحيدة ومالكة فؤادي سلمى

لم أعد أستطيع الكتمان فان حبك قد أضنى جسدي وأضعف جلدي وغادرني ذا فكر حائر وجفن ساهر وأحسب انه ان كان عندك عشر معشار ما عندي فهو كاف لان ترحمي شبابي الذابل وتنعشي حياتي المائتة بكلمة من فيكِ أعلم بها انك تحبينني وانك لي . عديني ان تمني عليّ

بهذه النعمة وانك تستولين على عرش قلبي الذي وقفته للملك بل وقفت كل دقيقة من وجودي لك فهذا القلب لا يضرب الاَّ لقربك وهذا الدم لا يجري في عروقي الا على أمل الحصول عليك . أنتظر منك كلمةً او اشارةً واحدة تحقق أملي وانا في موقف بين السعادة ان منحتِ والشقاء ان أبيتِ فانت مخيرة في الروح التي في يديك يا مالكة فؤاد محبك سليم

وكانت سلمى منهمكة في استيعاب الكلام فلم تنتبه الى اضطراب وداد وتغير احوالها وبعد ان صمتت الاختان ساعةً وكلٌّ منهما تتبع سير افكارها قالت سلمى وما رأيك يا وداد . قالت ماذا تشعرين انت هل تحبين سليماً وهل تودين ان يكون بعلاً لك . قالت سلمى انا لا أفضل عليه أحداً بل الحق أقول انه قد تملك قلبي من زمان وانا أسيرة هواه . فصمتت وداد ايضاً وهي تفكر وكانت تحب اختها محبة لا مزيد عليها فصممت ان تضحي نفسها في سبيل حظها كما انها لفرط محبتها لسليم لم تشأ ان تنغص عليه أمنيته فالتفتت الى اختها وقالت ارى ان تجيبيه الى طلبه وتوصيه ان يعلم والدي بالامر قبل كل شيء ثم ان يجري فيه على طريقة رسمية . قالت ذاك اليك فاجيبيه بما ترين فكتبت وداد ما يأتي :

حضرة الخواجا سليم

أخذت تذكرتك وكنت أودُّ انها وصلتني من يد والدي فها انا اردُّها اليك لترسلها ثانية على يده واذ ذاك اجيبك خيراً ان شاء الله

ثم دفعتها الى سلمى فوقعت عليها وبعد ذلك اوت كل من الاختين

الى فراشها فنامت سلمى نوماً هنيئاً واما وداد فلم تغمض أجفانها وفي صدرها ما يمزقه وفي القلب ما يسيل دماءه

ولما كان اليوم الثاني مرّ سليم امام بيت بطرس وكانت سلمى على نافذة غرفتها فحيّاها فرمت اليه رسالتها ودخلت . وكان بعد ذلك ان جاء سليم الى بطرس وخطب اليه ابنته سلمى فلم يمانع الاب بعد سؤال ابنته لما كان يعلمه من صفات سليم وسائر احواله ولم يمض الكثير حتى اقترن سليم بسلمى وكان لهما فرح عظيم اشترك فيه الجميع حتى وداد فانها كانت تضمد جراحات قلبها بما تضمره من الحب الصحيح لاختها وحبيبها سليم

ثم انه في اواسط سنة ١٨٩٩ ظهر في الاسكندرية مرض الطاعون وخشي الجميع امتداده فاتخذت الحكومة كل الوسائط الفعالة الموقوف في طريقه ومنع انتشاره واجتهد رجال الصحة في تلافي اخطاره وتشديد الاوامر القاضية بحجز المصابين في المستشفى الاميري . وازداد حرص رجال الصحة وتيقظهم حتى تعدّوا الى الخشونة والفظاظة فكانوا اذا بلغهم خبر مريض هجموا على بيته قبل تحقق مرضه فحملوه قسراً عن اهله وضربوا من اعترضهم وساقوه بالقوة الى المستشفى ولم يُعلم أكان ذلك منهم طمعاً في جزاء وعدتهم الحكومة به ام لمجرد التهويل وتعظيم الامر

وكان قد مضى على اقتران سليم بسلمى تسعة أشهر وقرب وقت ولادتها فشعرت ذات يوم بدنو الساعة فذهبت الى سريرها طلباً للراحة .

واتفق ان طبيباً من اطباء الصحة دخل البيت ولما رأى سلمى في سريرها زعم انها مطعونة فامر أهل البيت بالتيقظ وعدم الاقتراب منها الى ان ينهي أمرها الى مجلس الصحة وتنقل المريضة الى المستشفى . فلما سمع أهل البيت ذلك هلعت قلوبهم لعلمهم بما اشتهر عن رجال الصحة من الغلظة في معاملة المرضى وكبر الامر على سلمى وخشيت ان هي نُقلت الى المستشفى في تلك الحالة ان يصيبها سوء . ولما خرج الطبيب من البيت جعل الجميع يبكون وقد ايقنوا بحلول مصاب كبير ولم يعلموا باي طريقة يتخلصون من تلك البلية . ولما رأت وداد ما أحاق باختها وصهرها من الغم والخوف قالت عليّ انقاذ كما من هذه الورطة . أنكم تعلمون مشابهتي لسلمى فسأنام محلها في سريرها حتى اذا جاء رجال الصحة يأخذونني انا عوضاً عنها وعند الفحص يجدون اني صحيحة الجسم فلا يتأخرون عن ارجاعي اليكم وبذا ينتهي الامر

فاستحسن الجميع رأيها ونهضت سلمى من سريرها واضطجعت وداد في مكانها . وبعد نحو ساعة قُرع الباب قرعاً عنيفاً وارتفعت الضوضاء من الخارج واذا بالطبيب داخل وبرفقته اربعة رجال كأنهم زبانية الجحيم فاندفعوا الى غرفة الفتاة وهمّ أهل البيت ان يعترضوا عليهم فاسكتوهم بالشتائم والكلام القبيح وهجموا على السرير فاختطفوا الفتاة وساروا بها الى العربة فاقفلوها وذهبوا . ولما بلغت المستشفى نزعوا عنها ثيابها والقوها في سرير كبقية المرضى وارسلوا لها العلاج لتشربه فتمنعت قائلة انني

صحيحة الجسم لا أشكو ألماً فاخصوني . فقال الطبيب كلاً فانك مصابة بالطاعون فلا بدَّ من تجرعك الدوآء . وخافت وداد العاقبة فعزمت ان تصرح بما فعلت ولكنها خافت على شقيقتها فسكتت وكانت كلما صرحت لهم بانها صحيحة الجسم قام الطبيب يوبخها ويعنفها ويجبرها على اخذ الدوآء . وكانت وداد في أشد الخوف والضيق ولا سيما بعد انقضاء اليوم الاول والثاني وكانت لا تذوق قوتاً ولا يسمح لها بغير العلاج . ولما جاء اليوم الثالث سألت الطبيب عن يوم خروجها فقال ان بقيت حيةً فلا تخرجين قبل شهر . فلما تحققت ما وصلت اليه وأدركت الهوة العميقة التي القت بنفسها اليها خارت قواها وأيقنت بدنوّ الاجل . وكان قد أثر فيها الخوف وعدم القوت فضعفت صحتها وفقدت قوتها وأخذت في التأخر يوماً عن يوم ولما شعرت باقتراب الساعة الاخيرة طلبت ورقاً فكتبت الى صهرها سليم ما يأتي :

حبيبي سليم

كنت أود بل كنت أشتهي الموت قبل الآن ولكن الله أبقاني الى هذا الوقت لاذهب فدًى عن شقيقتي سلمى ولا أقطع حبل سرورك ولكن لا بد قبل موتي من اطلاعك على أمر طالما عذبني كتمانهُ . أحببتك يا سليم محبة الروح للروح وعبدتك في ليلي ونهاري فانك سلبت فؤادي وأسرتني ولم تطلق أسري يا قاسي . بل مالي ولهذا الكلام المؤثر اني لم أكتم خبر حبي الاَّ رغبةً في تمام سعادتك وسعادة شقيقتي فليهنئكما الله

وانما اعترفت لك به الآن لأخفف بعض ما يثقل على قلبي غير اني أناشدك الله ان لا تطلع سلمى عَلَى شيءٍ منه . والآن قد اقتربت النهاية فسأستريح في القبر الذي تدفعني اليه أيدي هؤلاء الاطباء الظلمة فهم ليسوا بمجلس صحة وانما هم قضاة الموت . الوداع ايها الحبيب . عزّ والدي الشيخ وشقيقتي واذا عرفتم قبري فزُر ضريحي وان شئت أن تكافئ محبتي فامطر على ضريحي دمعةً واحدة فيها تنطفئ نار الحب لمهجة في صدري واستودعك الله محبتك الشقية

وداد

ولما جاء الطبيب في اليوم الثاني رأى للحال على وجهها علامة الموت فاستحلفتهُ ان يوصل كتابها الى سليم ولما وعدها وأقسم لها ان يقضي الامر تبسمت ثم شهقت وفاضت روحها

ولما وصل الكتاب الى يد سليم أسرع الى المستشفى واستخبر عن وداد فوجد انها قد دُفنت منذ الصباح فبلغ خبر الوفاة الى زوجته ووالدها فندبها الاب وبكتها الاخت ولم يزل كتابها في يد سليم يطالعهُ كل يوم ويزور ضريحها حيناً بعد حين وهو يترحم على شهيدة الحب والوفاء .

صيد الافعى ذات الاجراس
في اميركا

تكثر الافاعي ذات الاجراس في الاقاليم الجنوبية من اميركا الشمالية ومعظم طول هذه الافاعي لا يتجاوز ثلاثة أمتار ولها رأس عريض مستدير بشكل زاوية ، وعيونها براقة مستديرة فيها مغناطيس بحيث انها اذا أحدقت النظر في فريستها كالحردون والهر او غيرهما من الحيوانات الصغيرة وحدّق بها احدى تلك الحيوانات بؤثر مغناطيس بصرها في ذلك الحيوان فتسمّره الافعى في مكانه بحيث لا يعود في امكانه النجاة منها ولا التزحزح عنها ، حتى انها تفعل بالانسان بعض الشيء من ذلك

وهي سامّة ، وقد يموت الذي تلدغه بمدة لا تتجاوز ثلاث ساعات . ولون جلدها رماديّ ومنقوش بحلقات مستطيلة منقطة بلون ابيض يخالطه السواد . وفي آخر ذنبها تنمو قطع من العظم الرقيق مستديرة ومنفصلة بعضها عن بعض بمقدار نصف سنتيمتر متناسقة الصف بما لا يتجاوز طوله ١٥ سنتيمتراً وتضرب تلك القطع بعضها على بعض متى أرادت الافعى ذلك فيُسمع لها صوت اشبه بحفيف الشجر . او بصوت حبّ السُبْحة الصغير ، وتستعمل الافعى صوت تلك القطع بتحريك ذنبها متى كانت رابضة ملتفّة على بعضها بعض ، ورأت ما يخيفها قادماً عليها لم يرَها فتحذّره بذلك الصوت ليبعد منها وتنبهه اعلاماً بوجودها ودفعاً للأذى عنها

وهي مسالمة كبقية الافاعي غير معادية ما لم يُعتدَ عليها ، ومن أدلة سحر عيونها ، انني كنت يوماً بعد الظهر في ابّان الصيف جالساً مع صديق لي اميركاني على شرفة في بيته خارج المدينة

وبينما كنا نتحدث اذ بصديقي صاح بي وقال لي انظر الى هذا الهر كيف يتمايل يُمنةً ويسرةً ولا يمكنه التزحزح من مكانه

فنظرت فاذا بهرّ يبعد منا ثلاثين متراً واقفاً على صخرة في حقل هناك جامداً لا يتحرك ، ثم التفتُّ حوله فلم أجد شيئاً يمنعه عن المشي فرميته بحجر صغير وصحت به وهوّلت عليه علّه يترك مكانه فلم يتركه ، فاخذني العجب وقلت لعل الهرّ مريض

فضحك صديقي وقال ان هذا الهرّ مسحور ، والساحر هي أفعى ذات الاجراس رابضة بين العشب بمكان منخفض قريب من الهر لا نراها .. ثم تركنا البيت ، وما وصلنا الى حيث الهر حتى ابصرنا على بعد اربعة امتار منه افعى ذات اجراس ملتفة على نفسها بشكل حلقة مستديرة بحجم مُدّ القمح تحظ الهر بعينتين تقدحان ناراً ...

فهممت ان أقتل الافعى بحجر أمسكته ، فاوقفني صديقي ، وتناول قضيباً ثخيناً صلباً بطول مترين وتقدم الى الافعى فوخزها فأخذت تزحف رويداً الى الجهة الثانية وعندئذ تقدم صديقي ثبّت الجنان وضربها بالقضيب على رأسها فقتلها ، وانقذنا الهر من سحر الافعى

فقلت وما السرّ بعدم ضربك الافعى وهي ملتفة

قال أخشى ان لم أصب رأسها وهي كذلك ان تثب عليّ وتلدغني لانها بحالة التفافها على نفسها تتخذ من جسمها قاعدة تساعدها على ان تثب وثبة على فريستها بمقدار طول جسمها كما يثب علواً وفّاص الحديد المستدير الذي كُبس عليه نزولاً باليد ثم أُفلت منها

وتُصطاد تلك الافعى طمعاً في بيع جلدها على الغالب

ولاصطيادها حية يأخذ الصياد قصبة بطول ثلاثة أمتار ويربط برأسها خيطاً متينا بطول نصف متر ، ويعقد بطرف الخيط عقدة سيّالة تطبق عند شدّها على بعضها بعض كما يطبق الفخ على بعضه بعض

ثم يذهب الصياد الى البراري مفتشاً على حفرة في الارض قد حفرتها السلحفاة البرية لاجل ان تأوي اليها ، وعمق تلك الحفرة لا يزيد عن المتر

وقد تأتي الافعى المذكورة عند اشتداد القيظ الى تلك الحفرة لتأوي اليها وتصطاف فيها هرباً من شدة الحر

ومتى وجد الصياد الحفرة المشار اليها ينظر في الارض التي تتقدم فم الحفرة، فان وجد اثر الافعى على التراب الملاصق لتلك الحفرة ايقن ان الافعى مختبئة فيها وسعى في اخراجها منها، وذلك بان يحضّر حشيشاً يابساً يخالطه حشيش أخضر ويضرم فيه النار

فيدخل الدخان في الحفرة ويملأوها مما لا تستطيع الافعى احتمال ذلك فتخرج من الحفرة مرغمة

ويكون الصياد حينئذ واقفاً بجانب الحفرة منتظراً خروج الافعى منها وخيط القصبة متدلياً فوق فم الحفرة

وعند ظهور رأس الافعى على فم الحفرة يُدخل الصياد في رأسها العقدة السيالة التي هي بطرف خيط القصبة حتى اذا وصلت العقدة المذكورة الى عنق الافعى يشدّ الصياد الخيط فتطبق العقدة السيالة على عنقها ويقودها بالخيط بلين وحيلة الى قفص من قضبان يكون قد وضعه الصياد بجانب الحفرة فتدخل الافعى في باب القفص كأنها داخلة في مُجحرها غير منتبهة الى الفخ الذي نُصب لها وغير عالمة بمصيرها، وتلتف على نفسها ضمن القفص رابضةً فيه مستأمنة على نفسها

ويأتي عندئذ الصياد ويغلق عليها باب القفص ... ويحملها الى السوق لاجل بيعها ...

امرأة تقود ثورة

بزي جندي برتبة صرجان

جمع السجن بينها وبين جندي ، فتزوجته

الحادثة التي نرويها فيما يلي وقعت في سنة ١٩١٧ في «هولندا» ابان الحرب الكبرى ، على اثر ثورة هائلة قام بها الهولنديون فقد حدث ان صاحب الجلالة ملك بريطانيا اصدر امره العالي باعدام الموقوفين من زعماء الثورة شنقاً ، وكان عدد هؤلاء الموقوفين ستة بينهم شاب جميل الطلعة ، ازرق العينين ، بض الجسم تدل ملامحه على الانوثة اكثر منها الى الرجولة نصبت حبال المشانق ، وتقدم هؤلاء المحكومون منها باقدام ثابتة وعزم يثير الاعجاب

وكانت العادة في تلك الايام ان يعدم كل من المحكومين بدوره وهكذا نفذ الحكم بالخمسة الاولين ، ولما جاء دور الشاب «اورلاي» الذي تكلمنا عنه ، نظر الى المشنقة المعلقة نظرة يائس ، فتت قلوب الحاضرين ثم التفت الى الجلاد بنظرة قاسية وصرخ به قائلاً :

«قف لا تجرني الى المشنقة جراً» وكاد يصفعه ثم قال لرجال صاحب الجلالة الذين كانوا يشاهدون تنفيذ الحكم وبينهم الجنرال بارنيت «انكم لن تنفذا في الحكم»

فابتسم الجنرال بارنيت وقال له بتهكم

... «قبل ان تأخذ قبلة من التي تحبها ايها الشاب الجميل ؟ اليس كذلك ؟

فاجابه الشاب برباطة جأش : كلا ، فان المسألة على شيء كبير من الخطورة فدهش الحضور ، وسادت جلبة قوية اضطر معها الجنرال بارنيت الى

اخلاء ساحة الاعدام من الناس خوفاً من ان يكون لدى هذا الفتى سر لا يجوز ان يطلع عليه احد ثم تقدم من الشاب وسأله

ـــ أفصح يا هذا عن سرك فكلي اذان

فتلعثم الشاب اولاً ثم ملكته الجرأة وأجاب :

ـــ انا امرأة حامل والقانون يحرم اعدام النسوة في مثل هذه الحال

فارتعش القائد بارنيت وقال : ماذا امرأة ؟ وحامل ايضاً ؟ .. وما لبث ان دعا الطبيب الخاص وامره بفحص الشاب « المرأة » فصادق الطبيب على ما ادعت وامر بنقلها الى المستشفى

وانتشر خبر الحادثة في كل مكان ، وجاء الصحفيون يتحدثون الى المرأة فصرحت لهم بما يلي :

ـــ انا لا اعرف والدي ، فقد قيل لي ان والدتي ولدتني سراً ثم توارت عن الانظار ، فربيت في احد الاديرة ، وما اصبحت في سن الشباب حتى أخذت أفتش عن عمل أعيش منه ، ولما لم أجد عملاً ، أرتديت ثياب شاب ونزعت عني كل امارات الانوثة ، ثم انخرطت في سلك الجندرمة ولم يكن أحد يستطيع ان يميز بيني وبين الشاب وكنت عفيفة النفس ، اضبط عواطفي الى درجة قصوى حتى اني قتلت في نفسي كل ميل واصبحت كالخشبة بدون شعور ، وهذا ما ساعدني على التقدم في وظيفتي فاصبحت برتبة « سرجان »

وفي ذات يوم حكم علي بالسجن مدة اسبوع لاخلالي بوظيفتي ، فاتفق ان وجد في السجن حينذاك جندي جميل ، ايقظ عواطفي ، فجلست بقربه واسمعته كلمات عذبة ، فاستغرب مني حركتي هذه ، ولكنه لم يكترث لي في بادىء الامر ، ثم ايقن بعد ذلك ، بانني لم اكن رجلاً ، وانما انا فتاة ، تظلني واياه سماء السجن

وما غادرنا السجن الا وقد تواعدنا على الزواج ، فجمع اللقاء بين

قلبينا ، على ان سري بقي مكتوماً بيني وبين زوجي ، لكني بقيت في أثواب السرجان ، احتفاظاً بوظيفتي

ولما نشبت الثورة انضممت اليها وكنت احد زعمائها

****

هذا ما أفضت به المرأة المتنكرة ، ونعود الآن الى ذكر ما حلّ بها ، فقد تمكن زوجها الجندي من الفرار بها من المستشفى الى لندن ولم يعد أحد يعرف عنها شيئاً

وفي الشهر الماضي توفيت الزوجة المسكينة بعد ان تركت ولداً جميلاً اصبح اليوم شاباً يناهز العشرين من عمره .

نقلاً عن جريدة الاحوال

كساد عام الاسواق [1]

لقد كسدت أسواقنا وبانت تجارتنا لا رواج لها لذلك هبطت اسعار البضائع وغيرها واشتغلت المضاربات وتغلبت الفئة المضاربة على النزول على الصعود ، فتفاقم الامر وعظمت الخسائر وقلت الامنية في المعاملات التجارية لقلة بيع النقد . وتقيّدنا في منطقة ضيقة في الاعمال ، فلم نعد نركن الى احد ولا نسلمه على ميعاد ما لم ننقد المال بيدنا ونراه في أعيننا

لهذا تعذّر البيع والشراء ، ولولا الامال لتوقفت على التمام الاعمال ، وبانت تلك الحالة كلما طالت مدتها وتجدّدت جدّتها نتقرب من الافلاس والفقر .

على انه لو بحثنا في اسباب ذلك لوجدناها كثيرة

منها المناظرة في التجارة وقلة الصناعة والصادرات وكثرة الواردات

---

(١) راجع التعليق في الصفحة ٧٣ على هذا المقال

وقلة المقطوعية من زيادة الواردات على حاجة المشتري ثم استغناء اوربا عن محصولاتنا بمحصولات مستعمراتها .

اما المناظرة فهي تلك المسابقة الساهرة بين التجار بل الامم حتى ان كل بلاد بل كل مدينة تبذل جهدها لتقوم بحاجاتها مستغنية عن غيرها قصد الربح الكبير والفخر بان تكون لها القدم السابقة في مضمار التقدم والارتاء .

ومثل ذلك ما نراه اليوم في فرنسا فانها بعد ان نظرت في داخليتها وأصلحت زراعتها رأت ان لا حاجة لشرآئها من الخارج ما يصلح زرعه عندها ويقوم محصوله بحاجات اهلها

فضربت على مثل تلك المحاصيل الاجنبية مكوساً فاحشة حتى لم يعد يتسنى لتاجرها في تلك المحصولات ان يبتاع منها شيئاً من الخارج

الا انها بمكوسها تلك قد اصابتنا فاضرّت بقمحنا وزبيبنا وغيرهما من المحاصيل التي هي من موارد حياتنا اضراراً جسيمة

وقد كانت تلك البلاد من قبل بابتياعها منا تلك المحصولات وغيرها تنعشنا قليلاً بتعويضها علينا بعض ما نبتاعه منها مرغمين كل يوم من المنسوجات والادوات والاواني وغير ذلك مما لا غنى لنا عنه ومما ليس هو منتوج صناعتنا ونسيج معاملها . اذ انه لا صناعة ولا معامل عندنا ولا شركات ذات رؤوس اموال لتقيمها . ولو تمكنا من اقامة المصانع وحسّنا زراعتنا وشيدنا الانشاآت الصناعية العمرانية والاقتصادية فلا يمكنا صدّ تيار الواردات مما ذكر من الخارج ببناء سدّ منيع من المكوس بوجه تلك الواردات صوناً لصنائع وصادرات البلاد من الهلاك

وربما تؤدي يوماً ما المناظرة التجارية والصناعية وغيرها الى قطع الصلات التجارية بين الامم ما لم يقم من المبادلات الودية والمعاهدات التجارية ما يحول دون ذلك . ومما يكون مبنياً على اساس اعطيك بقدر ما

تعطيني بدون زيادة او نقصان ...

قلنا ان الصناعة مفقودة عندنا ولا يمكن ان تنشأ وتنمو الا بثلاثة امور رئيسية : اولاً — بالمال . وثانياً — بحمايتها من المزاحم الاجنبي . وثالثاً — بتعهد الحكومة لها بالاعانة وفتح الاسواق لمنتوجاتها ... فنحن فقراء ولا حماية عندنا ولا مساعدة من الحكومة السنية . لذلك لا يمكن للصناعة ان تنشأ وتنمو في ارضنا اذ الارض غير صالحة للنمو .. ولسوء الحظ قد تسهلت علينا امور التوريد من الخارج الى حدّ ان حاجاتنا من بضاعة وغيرها صرنا نشتريها بمكتوب او تلغراف من اوروبا .. ثم اننا لم نكتفِ بشراء مما لا يصنع عندنا من حاجاتنا بل استحكمت فينا عادة التوريد والاستجلاب من الخارج حتى أخذنا نستجلب الاحذية والورق وبعض الملابس وغير ذلك مما يصنع عندنا وحاكينا بصناعته صناعة اوروبا .. ودليل ذلك الاحذية وخياطة الاجواخ والفساطين وامثال ذلك

ثم من الاسباب الجانحة باسواقنا الى الكساد زيادة محصول الحرير عند العموم على مقطوعيته لكثرة الايدي العاملة فيه فضلاً عن رغبة الناس عن ملبوسه الى ملبوس الاصواف والاجواخ لاجادة نسجها وعدالة اسعارها مما أدّى الى عدم التصريف منه الكمية التي كنا نصدّرها في كل سنة الى الخارج

ومن المعلوم ان الحرير هو من اكبر بل اعظم الموارد لثروتنا وحياة تجارتنا واقتصادياتنا ...

كذلك ازدادت حال الاشغال كساداً لكثرة الايدي العاملة في كل صنف من أصناف التجارة . ولما ينشئ عن هذا من الخسائر بسبب المضاربات وقد كثر الافلاس بين التجار والصيارف . واننا نراه ونلمسه ونكاد لا نصدّقه لما سبق من حسن اعتقادنا بسعة وكبر ثروة الذين افلسوا .

ولكن هي الايام تفعل ما تشاء ، ومن الحكمة استعمال الوسائل الحائلة دون وقوع امثال هذه الكوارث المالية ..

فيا حبذا لو ان حكومتنا السنّية ترمي بابصارها نحونا وترمقنا بعين الحنان فتضرب على الواردات الاجنبية ضرائب ومكوس فاحشة وعند ذلك تنمو صناعتنا وتجارتنا لكثرة طلاّبها وقصور اليد عن تناولها من الخارج ...

فتتحسّن حالنا وتتجدّد بعد انقطاعها آمالنا . ثم يكون لنا هذا مدرجة الى الترقي في صناعتنا ورواج تجارتنا الى ان نصل الى القمة التي هي عليها اوروبا .

والا فاذا دامت الحال على هذا المنوال نبيت نهوي تدريجاً الى هاوية الخراب التي يعسر الصعود منها والانتفاض من اكفانها .

---

(١) تعليق على ما تقدم :

ان هذا المقال نُشر في جريدة الاهرام بالاسكندرية في ١٥ نيسان سنة ١٨٩٥ وبعد ورود نسخ الى بيروت من تلك الجريدة ، اتفق ان راحت الجرائد البيروتية والشامية والحلبية وغيرها تنشر المقالات الطويلة عن ضرورة حماية صناعة البلاد وتستلفت انظار حكومة السلطان عبد الحميد حين ذاك الى هذا الامر الجلل

ولما كان الطلب المذكور لحماية صناعة البلاد التركية مفيداً للحكومة بزيادة دخل الحكومة من رفع المكوس على البضائع الواردة للبلاد . وبالوقت نفسه مفيداً للبلاد بحماية الصناعة ، اتفق ان لهذا السبب مع غيره ان الحكومة التركية في تلك الايام حاولت جدّياً مخابرة الدول لزيادة اسعار تعرفة الجمارك العثمانية . وكانت التعرفة الجمركية وقتئذ على الواردات من الخارج ثمانية في المئة

الا انه لم تسمح لها الدول الاجنبية الا بزيادة ثلاثة في المئة فقط

وصارت التعرفة الجمركية من ذلك الوقت ١١ في المئة مما لم يكفل معه حماية مصنوعات البلاد ومن راجع التاريخ يتحقق ذلك .

ولو كانت الحكومة التركية وقتئذ قوية لنالت غايتها بسهولة من الدول في حماية مصنوعات بلادها بزيادة اسعار تعرفة جمارکها على الواردات مما يصنع في بلادها زيادة تكفل تلك الحماية ولربحت الحكومة التركية وربحت رعيتها من وراء استتمام ذلك المسعى .. ولصارت البلاد وقتئذ بلاداً زاهرة غنية ممتدة تجارتها ، نامية صناعتها والدولة قوية ومتمتعة بمركز منيع يحاكي مراكز الدول العظمى ثروةً وقوةً ... والمغزى ان الضعيف هو لقمة سائغة للقوي

واتفق ان اميركا في ذلك الزمن او بعده بقليل شعرت بضرورة حماية مصنوعاتها لانمائها

وكانت صنائعها وقتئذ لا تزال في مهدها وبدايتها . وكانت من قبل تستجلب معظم حاجاتها من خارج بلادها . فنهض ماكنلي رئيس حكومتها يومئذ وضرب بجرأة ضرائب فاحشة على الواردات الاجنبية واقام بوجهها السدود الجمركية العالية

ومذ ذاك الزمن أخذت صناعة اميركا تنمو وتزدهر وتقوى . ثم امتدت تجارتها وصادراتها الى اسواق المعمور

واعترضت وقتئذ الدول ذوات المصلحة على اميركا لرفعها على الواردات تعرفة جمارکها التي أضرّت بتلك الدول ضرراً بليغاً

ومع هذا فلم تعبأ اميركا باحتجاج الدول واعتراضها وتهديدها ومضت في عملها ونفذت غايتها . ولم تجرأ الدول على محاربة اميركا يومئذ لعلمها حق العلم ان اميركا قوية فخافت بأسها ...

*****

ومما أحبّ ان استلفت نظر القارىء اليه هو اعتباره لما قرأ في المقال

السابق عن المناظرة التجارية والنظر فيها وردّها الى نظيرها مما يشاهده اليوم في اعمالها . فيحكم عندئذ ان حوادث التاريخ تعيد نفسها سواء أكان في المناظرات التجارية او في غير ذلك من المناظرات مما من شأنه حفظ الكيان والتنازع للبقاء

وفوق ذلك فانه يعتبر ويؤكد صحة ما قيل في المقال السابق ان المناظرات التجارية كانت وقتئذ من جملة اسباب كساد الاسواق في البلاد السورية وانها كما تكهّنا في المقال المذكور متى تعاظمت تلك المناظرات بتعاظم مصالح الدول ومطالبها ستؤدي حتماً الى ما نراه اليوم من اشتداد وطيسها بين الامم وتفاقم ضررها حتى باتت كل امة لا تشتري من امة اخرى الا بقدر ما تشتري الثانية من الاولى مما لا يتفق بالطبع مع مصلحة الامم الطماحة والغنية بمنتوجاتها الصناعية ومحصولاتها الزراعية الزائدة كميتها عن الحاجة الخاصة منها لتلك الامم ..

وعدا ذلك فقد بلغت في هذه الايام تلك المناظرات الامم الى التضييق على بعضها بعض في المعاملات التجارية وغيرها ايقاقاً لحدّة المزاحمات المضرة وتخفيفاً من ثقل وطأتها على كساد الاسواق عندها

مما حمل الدول في مختلف تدابيرها بهذا الخصوص على حجز الذهب الذي عندها وابقائه في بلادها منعاً لتسرّبه الى الخارج . وانتفاعاً به لنفسها دون سواها

والذهب كما لا يخفى هو اداة المعاملة بل اساسها بين معظم الامم

لذلك باتت بعض الامم مضطرة احياناً والحالة هذه ان تقايض امة غيرها عيناً بعين الكمية الباقية من منتوجاتها ومحصولاتها بعد استهلاك ما استُهلك منها في داخل بلادها . باسعار واثمان قد تدنّت الى ما دون التكاليف الاولية لزيادة كمية المنتوج عن كمية الشراء ولقلة النقد وكساد الاسواق . — كل ذلك تجريه الامم قصد ابعاد وقوف حركة الاسواق وانتشار البطالة بين العمال

وعليه نرى ان من آفات شدة المناظرة التجارية ما ادّى الى وقوع المقايضة مما لم يكن بالحسبان في البيع والشراء منذ عهد غير بعيد عيناً بعين بين اميركا بمحصول قمحها وبين البرازيل بمحصول بنّها . وذلك في سنة ١٩٠١ و ١٩٣٢ ايام شتداد الازمة العالمية

وبعد ان باعت الدولتان المذكورتان قسماً وافراً من ذينك المحصولين الكبيرين واتلفتا منهما بالنار قسماً آخر من المخزون عندهما دفعاً لتدني اسعارهما اكثر مما تدنت بكثرة الباقي الموجود ، فقد الجأت الحال في آخر الامر الى ان تقايضت الدولتان عيناً بعين ، وبُناً بقمح ، كما كانت تتقايض الامم في فجر التاريخ لفقدان الدراهم والنقد

وهكذا انفرجت الدولتان قليلاً من كربة تحمّلها في ذينك المحصولين بتخفيف بعض الشيء من ثقل وطأة الضائقة على الفلاح بعد ان تكبدتا خسائر فادحة

وقس على ذلك في غيره مما يبرهن على ان الدنيا لا تتغير بتصاريفها سواء أكانت المناظرات في التسلح او التجارة او حب التوسع او المجاراة لتنازع البقاء او في غير ذلك ، بل انها تعيد ذات الشيء اوتوماتيكياً في كل مرحلة من الزمن لا تجاوز مدتها غالباً الخمس عشرة ام العشرين سنة . ولهذا نرى الانقلابات الهامة والتغير الكبير يحدث في كل مرحلة من تلك المراحل في وضعية مراكز الامم تجارياً وجغرافياً ومالياً وسياسياً واخلاقياً ـــ . وبالجملة فالتاريخ يعيد نفسه بحوادثه وماجرياته وقد يُعرف ما سيكون بما قد كان

وعليه فلا يعجب المتأخرون بمشاهدة تقلبات حوادث الدهر بهم فقد مرّ مثلها بالمتقدمين من قبلهم وسيمر مثلها بغيرهم في المستقبل وان اختلفت اشكال تصاريف تلك الحوادث لوناً وشكلاً فالمادة واحدة لا تتغير

ان اقبالاً كانت او ادباراً وان خيراً ام شراً

والدنيا تهتز ولا تقع ...

السوريون (١)

سوريا التي لعبت بها يد الغير وفجعتها طوارق الحدثان بعد العين بالاثر هي القطر الذي كسته الطبيعة حلة الجمال فمزقتها يد الانسان وخصته بمزايا تفرد بها عن المثال فعادت عليه بالخسران وتباب (٢) السكان جو صافي الاديم لا يكفهر الا لتجود السحاب بالقطر ويترقرق ماء العيون على حصباء كالدر فتتبسم الرياض فيه عن ثغور الزهر وهواء لا يهب الا عبقت اردانه بشذا العطر فيبعث الحياة هبوبه ويمازج الارواح طيبه وسهول فسيحة الاطراف خصيبة الاكناف تتدفق في جوانبها الجداول والانهار وتنمي في مناكبها الحدائق المنتفة الاشجار الطيبة الثمار وجبال احتبكت شعابها وتناوحت هضابها ونشزت صخورها واكامها وكللت بالثلج هامها واخضرت سفوحها واخضلت آجامها فكانت معقلاً للشريد ومعتصماً للطريد

هذه هي سوريا التي سبقت الى المدنية والحضارة واكتظت بالسكان والعمارة وانما بلغت هذا الشأن العظيم بالزراعة والصناعة والتجارة وهي تمتد من البحر المتوسط غرباً الى الفرات والبادية شرقاً ومن آسيا الصغرى شمالاً الى حدود مصر جنوباً فتشتمل على القطر المعروف من قديم الزمان بارض الموعد والارض المقدسة

وقاعدتها دمشق العريقة في الحضارة المتقادمة العهد في المدنية جنة الارض المنقطعة النظير في جمال غوطتها وحسن موقعها وصفاء ماءها واعتدال هوائها وطيب ثمارها وكثرة حدائقها ومع انها انحطت عن حالة مدنيتها

---

(١) كتبت هذه المقالة قبل الحرب . وقبل تجزئة البلاد السورية الى مناطق مستقلة ادارياً عن بعضها بعض بعد الحرب (٢) هلاك

القديمة فقد لبثت غير متغيرة الا قليلاً في خططها وترتيب مساكنها وعوائد اهلها واخلاقهم ومعايشهم وملابسهم لانهم لا يميلون الى الاحداث

وما عداها من مدن سوريا القديمة قد عفاها تقلُّب الاحوال فلم يبق منها الا رسوم واطلال وقامت على انقاضها الآن قُرًى حقيرة منتشرة في هاتيك الربوع الدائرة يأوي اليها شراذم من بقايا الامم الغابرة كانها لم تبقَ الا لتشهد بما تجنيه الحروب من الدمار وما يُحدثه تفريق الكلمة والشقاق من التباب والبوار او تستوفي ما أرصد لها من الذلة وانحطاط المقدار بل لتكون عبرةً لذوي الابصار

ألا وهي البلاد التي ليس لها مثيل في العالم كله في تباين سكانها واختلاف نِحَلهم وعقائدهم على قلة عددهم فهم لا يزيدون الآن عن ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ نفس متشتتين في بقاع تبلغ مساحتها نحو ٣٧٥ ميلاً طولاً من الجنوب الى الشمال في نحو ١٧٥ ميلاً عرضاً من الشرق الى الغرب وهم أخلاط من الاراميين وكثير من الاجيال التي اجتاحتهم من قديم الازمان حتى الآن وكانوا يؤلفون مملكةً عظيمة قاعدتها دمشق التي ذكرت في التورات باسم ارام وكانت في زمن ابرهيم الخليل عريقة في الحضارة على حين لم يكن غيرها شيئاً مذكوراً

ومما ذُكر فيها ان الاسرائيليين قتلوا من عسكر ملكها بنهدد الثاني ١٠٠٫٠٠٠ رجل في يوم واحد وذلك دليل على كثرة سكانها حينئذ على انهم لا يزيدون الآن على ١٥٠٫٠٠٠

ولا يخفى ان اليهود امتزجوا بالاراميين في حروبهم معهم منذ عهد داود الملك ثم سقطت المملكتان الارامية واليهودية بتغلب الاشوريين والبابليين والفرس شمالاً والمصريين جنوباً فاستبدَّ الاشوريون والفرس بالاراميين واجلوهم عن بلادهم وشتتوهم في الامصار والمدائن واسترقوهم واغتصبوا املاكهم ففقدت سوريا استقلالها منذ ذلك العهد، ثم غلب الاسكندر الفرس

وثل عرشهم وتملك اليونان سوريا حيناً من الدهر فتخلق اهلها باخلاقهم وكثرت عمارتها في ايام تملك السلوقيين فصارت مملكة عظيمة كانت قاعدتها انطاكية ثم قامت عليها ملوك الطوائف من جهة الشمال والبطالسة ملوك مصر من جهة الجنوب واستقلت اليهودية في ايام المكابيين وانقسمت دولة السلوقيين على نفسها فتهيأ للرومان الاستيلاء على هذه المملكة سنة ٦٤ ق.م. وقد عظم شأنها حينئذ حتى نازعت رومة سلطتها فتبوأ ملوكها كرسي القياصرة من سنة ١٩٣ الى سنة ٢٤٩ ب.م. ونشروا عوائد السوريين ومبادئ دينهم في اوروبا، وكانت سوريا اول قطر انتشرت فيه النصرانية بعد ظهورها في اليهودية فازهر فيه نبراسها حتى عصفت ريح الشقاق والمماحكات الدينية بين ابنائها من دولة الروم، وتقوّى الفرس عليهم وكان عرب الحيرة يشنّون الغارة على اطراف المملكة السورية فغنموا في غزوهم لضواحي انطاكية غنائم بعثت فيهم النخوة العربية على اعادة الكرة، والسوريون لاهون بالمماحكات على العقائد كارهون ظلم حكامهم والروم متشاغلون بملذاتهم واستبدادهم حتى قويت شوكة العرب، ثم ظهر الدين الاسلامي فجمع كلمتهم وكانوا اشتاتاً فاندفعوا على سوريا كالسيل الجارف فملكوها وطردوا الروم منها الا الذين اسلموا او الذين استأمنوا ودفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون واعتصم بعضهم في الجبال فحافظوا على استقلالهم في الاحكام والعقائد

وكانت دمشق كرسي الخلافة في الدولة الاموية حتى نقلها العباسيون الى بغداد

وبعد انقراض الدولة العباسية، ملك الطولونيون سوريا ثم خلفهم الفاطميون ثم السلجوقيون واستولى على بعض انحائها الصليبيون ثم اجلاهم عنها الايوبيون واجتاحها تيمورلنك سنة ١٤٠١ ثم افتتحها السلطان سليم الاول سنة ١٥١٧ وكانت تابعة لمصر منذ الدولة الطولونية

وما زالت الحروب تنتاب ديارها والفتن الاهلية تثور فيها فتعجل

دمارها حتى صارت رسوماً دائرة وبقاعاً بائرة خاوية على عروشها خالية من سكانها وانيسها

وليس القصد مما سبق ايراده بيان تاريخ سوريا فانه مما يطول الكلام فيه ولا تفي ببيانه المجلدات الضخمة وانما قصدنا التوطئة لأوجه تباين سكانها في الاخلاق واختلافهم في السحنات والعوائد والمنازع والعقائد بما طرأ عليهم من الاختلاط ليمكن رد كل فرع منهم الى اصله على ما هو مقتضى البحث في الطبائع ، اذ تُنتزَع من التاريخ والجغرافية والسياسة وعلم اللغات والتشريح ومنافع الاعضاء ، القواعد التي يُرجع اليها في انتساب الشعوب وما تتميز به الامم من الخصائص الحسية والمعنوية

وقد علمت ان السوريين اخلاط من اجيال مختلفة وأمم كثيرة تغلبت على سوريا منذ الازمنة القديمة ولذلك لم يبقَ من السوريين الخُلَّص الا بقيةٌ يمثلها السريان في دمشق وقراها واليعاقبة في الموصل وديار بكر والنساطرة في الموصل والعجم وبعض جهات الهند والموارنة في جبل لبنان وهم الذين اعتصموا بالجبال وامتنعوا عن الفاتحين او الذين استأمنوا وسكنوا المدن مغلوبين على امرهم اذلاء في اوطانهم وباقي السوريين اخلاط من الروم والفرس والعرب والكرد والفرنجة والترك وغيرهم من الامم احتلت سوريا فتركت كل امةٍ منها بقيةً اخصّ ما تمتاز به نحلتها الدينية

واذا نظرت الى السوريين من حيث النحل والملل تبينت من المذاهب في القطر الذي انتشروا فيه ما لا وجود له في قطر آخر وعرفت من العقائد ما لا يتصور ان العقل البشري ينحطُّ الى التسليم به ، فترى ثمت فِرقاً تمزج حقائق التوحيد بأضاليل الشرك كالصابئة واليزيدية والنصيرية وترى اليهود والنصارى والمسلمين منقسمين الى طوائف كلٌّ منها تدعي العصمة وصحة العقيدة وتنسب الى غيرها الغواية والضلال!

فمن طوائف اليهود السامريون وهم في جبل نابلس لا يوجد منهم في

غيره ولا يزيدون عن ثلاث مئة نفس

ومن طوائف النصارى النساطرة المعروفون الآن بنصارى مار توما وهم مشتتون في الموصل وديار بكر والعجم وبعض انحاء الهند وقد نبغ فيهم الحكماء والمترجمون الذين نقلوا حكمة اليونان وعلم الطب الى اللغة العربية في الدولة العباسية . ومنهم السريان والكلدان والارمن وكلهم يعاقبة يعتقدون كالقبط بطبيعة واحدة في المسيح . وقد اتحد بعض ابناء هذه الطوائف بالكنيسة الرومانية وسلموا بالقضايا المختلف عليها مع المحافظة على عوائدهم وتقاليدهم القديمة

ومنهم الموارنة وهم من السريان تمسكوا من زمن قديم بالمعتقد الروماني ولبثوا حتى الآن محافظين على استقلالهم الديني في جبل لبنان

والروم وهم بقية الامة التي دحرتها العرب عن سوريا في القرن الاول من الهجرة ومنهم الروم الكاثوليك الذين اتحدوا بالكنيسة الرومانية

ومن الطوائف النصرانية في سوريا اللاتين والبروتستنت على اختلاف مذاهبهم وغيرهم

ومن طوائف الاسلام الاسماعيلية والشيعية والدروز والمتاولة في جبل لبنان وغيرهم وكلهم يذودون عن حوض مذاهبهم ويعتصمون بها ويتهالكون في الخصام بعضهم مع بعض لاجلها ، وهم اخوان في الوطنية وجيران في المسكن وشركاء في المصلحة العامة

ومن الغريب ان ترى في البلدة الواحدة فرقاً تجمعها قواعد الدين الكلية ولا تختلف الا في بعض مسائل فرعية وكل فريق يدعي العصمة لنفسه ويشاق غيره فينفر منه ويجتنب مخالطته .. وربما انقسمت العشيرة الواحدة او الأسرة الواحدة على نفسها فثارت ثائرة التعصب بين افرادها واشتد الخصام والنزاع وليس ثمت اسباب تدعو الى ذلك الا ترهات وسفاسف يعتدّون بها ويماحكون عليها عناداً

ولذلك فان هذه البلاد لا يمكن ان تقوم فيها جامعة وطنية لما يحول دونها من اختلاف المذاهب وتباين الآراء فلا ترتقي الى رتبة المدنية ولو توفرت لها اسباب الارتقاء

على ان اختلاط السوريين بغيرهم من الاجيال والامم منذ الازمنة القديمة حتى الآن لم يؤثر في سحناتهم وبناء اجسادهم تأثيره في تفريق كلمتهم وفصم عرى رابطتهم لان الذين اختلطوا بهم كانوا في الغالب من اطيب العناصر محتداً ومن ارقى الشعوب نسباً وسؤدداً فضلاً عن تأثير اقليمهم النقي الهواء الخصيب التربة في اعتدال امزجتهم وصفاء الوانهم وحسن تقويمهم وجمال هيآتهم وتناسب ملامحهم وثقوب آذانهم ونماء قوائم العقلية واستكمال خصائصهم الادبية فهم من حيث الاستعداد الطبيعي للارتقاء في مقدمة السلائل البشرية لا يفوتهم الا الاتحاد في الكلمة والثبات في التحصيل

*****

الموازنة — وقد اجملنا الكلام فيما تقدم على السوريين واشرنا الى اوجه اختلاطهم بالاجيال التي تغلبت عليهم وافتراقهم فرقاً اخص ما تتميز به كل فرقة منها منزعها الديني فوجب الآن ان نوفي هذا البحث المهم حقه بتفصيل ما اجملناه وبسط ما اوجزناه فنصفهم فرقةً فرقةً على نحو ما آثرناه مما لا يخرج عن دائرة علم الطبائع والاخلاق لا نتعرض في شيء من ذلك للمسائل الخلافية في العقائد الدينية مما يبعث على تفريق الكلمة والشقاق . على اننا لا نقول الا الصدق في وصف الخصائص الادبية رجاء ان يتقوم منآدها ولا نصدع إلا بالحق حثاً على الالفة وتوثيق الجامعة الوطنية عسى ان تورق بعد الجفاف اعوادها ونحن احوج الامم اليها وسيلةً الى الاصلاح وذريعةً الى الارتقاء في معارج الفلاح

ومعلومٌ ان الطائفة المارونية لهذا العهد في مقدمة الطوائف القريبة

النشأ من الجرثومة الأرامية واثبتها على حفظ خصائصها الاصلية لانها اعتصمت منذ الازمنة القديمة في جبل لبنان وامتنعت فيهِ مستقلةً بالمحافظة على آدابها وعقائدها ومنازعها وعوائدها يطرّس الخلف على آثار السلف وينشأ الابناء على آسال الآباء فلبثت غير متغيرة الا في اشياء اقتضاها تغير احوال المعاش وتغلب الذوق العصري مجاراةً للاوربيين في ازيائهم وعوائدهم لذلك قدّمنا ذكرها على سائر الطوائف السورية محافظةً على الترتيب الذي جرينا عليهِ

ولا مراء في ان البيئة التي تخيّرها الموارنة منذ القدم قد أثرت تأثيراً قوياً في ثبوت صفاتهم الطبيعية وتهيئة امزجتهم للاعتدال لما توفر فيها من الاسباب الكافلة بتقوية الاجسام

ومن تأمل في موقع لبنان البهيج وما قام في سفوحه من المدن والقرى والدساكر والمزارع من حضيضه الى علو خمسة آلاف قدم بين رواب وهضاب قد كستها الطبيعة حلة الجمال السندسية وقد رقّ هواؤها وعذب ماؤها فلا يخشى ثمّ من لفح الهجير في الصيف ولا من زمهرير البرد في الشتاء لقرب المواقع الساحلية من الجبلية عرف بداهةً ان سكان هذا الجبل أقوياء البنية صحاح الابدان ميالون الى الحرث والزراعة ذوو نشاط وجلد على مزاولة الاعمال الشاقة

وهذه الروابي والهضاب القائمة عليها القرى الآهلة بالسكان متوعرة المسالك لا تُطرَق الا بجهدٍ وعناء وما فوقها قلل شامخة لا يفارقها الثلج فهي غير مأهولة لشدة البرد وغير مطروقة لكثرة الثلج وقد اشار الى ذلك ابو الطيب المتنبي حيث قال :

وعقاب لبنان وكيف بقطعها وهو الشتاء وصيفهنّ شتاء

لذلك كان هذا الجبل حصناً منيعاً لجأ اليه السوريون منذ الازمنة القديمه هرباً من جيوش الفاتحين الذين اجتاحوا سوريا في اطوار متعددة

ولا يخفى ان مدن سوريا القديمة كدمشق وانطاكية وحماة وغيرها كانت آهلة من قبل بالسريان فلما ظهرت النصرانية وانتشرت بينهم قام فيهم رجال أشربت قلوبهم حبّ الرئاسة فتوسلوا بالمشاحات على العقائد الى بلوغ ما طمحت اليه نفوسهم فحدث الخصام والشقاق بين رؤساء الاحزاب وتبعهم كثير من السذّج منقادين الى اهوائهم وكان القياصرة يتداخلون في امور الدين وقد عظم استبدادهم واشتدّ عسفهم فثقلت وطأتهم على الذين توهموا فيهم مخالفة آرائهم ومبادئهم ولم يكن لهؤلاء المضطهدين ما يمنع عنهم الظلم ويعصمهم من الاستبداد الا الهرب الى الجبال

ولما دحر العرب الروم عن مدن سوريا في صدر الاسلام لجأ النصارى واكثرهم من السريان الى جبل لبنان فاعتصموا فيه وقويت شوكتهم حتى صدّوا جيوش معاوية مراراً عن المسير لنجدة المسلمين الذين تقدموا لفتح القسطنطينية حينئذ وقد حاصروها وضيّقوا عليها مدة سبع سنين متوالية

ثم لما حوّل عبد الملك بن مروان الحج الى بيت المقدس حذراً من فتنة ابن الزبير في مكة خاف على الحجاج من نصارى الجبل فتواطأ مع يستنيان بن قسطنطين ملك الروم على اخراجهم منه فكتب يستنيان الى اميرهم يوحنا ينهاه عن مناوأة المسلمين ويأمره بالشخوص اليه فامتنع من اجابته فاغتاظ الملك ونسب اللبنانيين الى العصيان والتمرد فلذلك سموا بالمَرَدة ثم سيّر اليهم جيشاً كثيفاً وتظاهر بانه انما سيّره لقتال العرب فبلغ غايته من التنكيل بهم

ويدلّ على ان الجبال كانت ملجأ بعد ذلك للنصارى قول ابي الطيب :

وما الجبال لنصران بحامية ولو تنصّر فيها الاعصمُ الصدَعُ

وقد استعان الصليبيون بنصارى جبل لبنان في حروبهم الدينية لتملك بيت المقدس ولم يكن الموارنة طائفةً مستقلةً عن السريان قبل ان تعين البار يوحنا مارون بطريركاً عليهم بدليل ما ذكره جبرائيل بن القلاعي

على ما اثبته البطريرك اسطفان الدويهي في تاريخه المطبوع حديثاً . واذا اعتبرت بما كان عليه اهل الجبل من العصبية وما كان بين رؤساء قبائلهم من الغيرة والمنافسة فضلاً عما كان بينهم وبين اهل المدن من العداوة لاختلاف المنازع وتباين الاهواء مع سهولة حدوث الفتن وكثرة الاحن تبيّنت ان الموارنة قوم اشدّاء ذوو بأس ونجدة وأنفة

واذا نظرت الى خصائص التكوين في هذه الطائفة تبينت اختلافاً في هيئة القحف والوجه يُستدَلّ به على مرتبتها بين الاجيال البشرية ونسبتها الى غيرها من الطوائف

فالقحف اقرب الى الشكل المستدير الذي هو من خصائص الفصيلة السامية ولا سيما جيل العرب فهو ليس بيضيًّا كقحوف الاوربيين ولا مفلطحاً كقحوف المغول على انه اكثر تحدُّباً في جهة الجداريين

والجبهة عريضة مائلة الى الامام الا انها غير بارزة كثيراً كجباه الاوربيين ولا مسطحة مائلة الى الوراء كجباه المغول والزنج

والبروز الوجهي غير شاخص كثيراً فالزاوية الوجهية يمكن تعيينها بين ٧٠° و٧٥° فهي فيهم اقرب الى الاوربيين وذلك دليل على كبر حجم الدماغ وقبوله للنشوء والنماء لدى توفر اسباب العلم والتهذيب

والوقبان كبيران متآزيان والوجنتان غير شاخصتين وعظم الانف مستقيم الوضع كل ذلك دليل على تناسب الهيئة وحسن التكوين

واذا نظرت الى سحنات ابناء هذه الطائفة وجدت ثم من المحاسن ما يميزهم عن كثير من الاجيال فهم في الغالب حسان الوجوه تبدو على ملامحهم امائر الذكاء والنجابة وشعرهم سبط فاحم طويل وعيونهم نجل سود او شهل طويلة الهدب وسنى الاجفان لا خَوَص فيها ولا حَزَر وانوفهم مستقيمة الارنبة لا فَطَس فيها ولا خَنَس وشفاههم رقيقة غير غليظة ولا هدلاء واسنانهم صلبة متناسقة ناصعة البياض وقدودهم في الغالب ربعة

وابدانهم عضلية قوية البنية ، والغالب على لونهم البياض المشوب بالحمرة ، على انه قد يسمرُّ من طول التعرض لاشعة الشمس

وكلما تقدمت الى الشمال وجدت لونهم اكثر اشراقاً وسمات الجمال اكثر وضوحاً ورأيت النساء أبعد عن الحضريات وأقرب الى البدويات من حيث شظف المعيشة وبساطة الزي وعدم التبرج وقد أصاب ابو الطيب حيث قال :

حسن الحضارة مجلوبٌ بتطرية وفي البداوة حسنٌ غير مجلوبِ

وقد تحدّى سكان المدن منَ الموارنة عوائد الافرنج وازياءهم اما القرويون فلم يزالوا على ما كان آباؤهم يألفون من المسكن والمطعم والملبس وما درجوا عليه في مجالسهم وافراحهم وولائمهم ومآتمهم الا ما كان منها مخالفاً للتهذيب او بعيداً عن الذوق السليم لان رؤساءهم الروحيين اجتهدوا كثيراً بتهذيب عوائدهم وحثهم على ترك ما يمجّه الذوق منها كالتزين بالطرطور وكانت النساء يتنافسنَ به فحرّم الكهنة لبسه بعد حادثة ١٨٤١ و١٨٤٥

ولقد بالغ الباحثون من الافرنج في استغرابه واستهجانه وزعم اكثرهم ان استعماله كان مألوفاً عند العبرانيين منذ خروجهم من مصر وانه هو القرن الذي ورد ذكره في التوراة والزبور على انه ليس باكثر غرابةً من القبّعات التي صُنعت في هذه الايام رياضاً تنبت فيها الازهار وتتغنى على أفنانها الاطيار وما هو الا اداة من ادوات الزينة كانت توضع على الرأس لايعاد النقاب عن الوجه وكان في بدء امره قصيراً بسيطاً يصنع من الآنك الا ان التنافس في الزيّ جعلهنّ يتأنقنَ فيه فابدلنه باسطوانة من الفضة منقوشة او من الذهب قد يبلغ طولها ١٨ قيراطاً يوضع النقاب عليها

ومما امتاز به الموارنة في هذه الايام انصبابهم على طلب العلم واجتهادهم في تحصيله فلا تكاد ترى فيهم الآن من لا يحسن القراءة والكتابة وكانوا قبل منتصف هذا القرن أميين الا نفراً قليلاً من رجال الدين

وقد انشأ بعض بطاركتهم مدرسة عين ورقة لتهذيب الكهنة وتعليمهم العلوم الدينية فنبغ فيها رجال اشتهروا ثم كثر بناء المدارس في جبل لبنان وبيروت ، وازداد عدد الطلبة وازهر نبراس العلوم بينهم ونبغ فيهم من العلماء والادباء والخطباء والمؤلفين والكتبة رجال يُستغنى عن ذكرهم بما لهم من الشهرة

والموارنة اشدّ الطوائف الكاثوليكية استمساكاً بتعليم الكنيسة الرومانية واكثر الطوائف النصرانية حرصاً على حفظ العقائد الدينية من حيث الايمان والتسليم المطلق بصحة ما يعتقد به احبارهم وكهنتهم ورهبانهم والاذعان لما يأمرون به وينهون عنه ، وهم ليسوا بالعدد القليل وتبلغ اوقاف اديارهم نحو ثُلث املاك العوام

ولبطريركهم سلطة ادبية ما عدا السلطة الروحية ، ويلقب بالبطريرك الانطاكي وكرسيُّه دير قنّوبين وهو دير قديم بناه القيصر ثاودوسيوس الكبير منذ اكثر من الف وخمس مئة سنة على نشزٍ في سفح جبل يشرف على واد جميل تتفجر في مناكبه عيون الماء فتجري في عقيقه كاللُجين الذائب وتنبت في جوانبه الرياض الناضرة والرياحين العطرة

اما موقع الدير فمتوسط بين عقيق الوادي وقمة الجبل اسفله غارٌ واسعٌ بُنيت عليه الكنيسة والصوامع والمناسك التي كان الرهبان يتوحدون فيها

وارز لبنان الشهير لا يبعد كثيراً عن دير قنوبين وهو غاية غبيةٍ يقصدها السياح من اقاصي الارض لمشاهدة اشجارها الباقية على رغم الدهر اثراً حياً ذكر في اقدم الكتب المنزلة . وقد وجدت قطعة منه في انقاض نينوى حفظت في دار التحف البريطانية وثبت بالتحليل المجهري انها من ارز لبنان ، وهي تُردّ الى ثلاثة آلاف سنة فما فوق . ومن نظر فيما كتب في التوراة عن الارز لم يسعه ان ينكر امتداد غاباته في هذا الجبل وما بقي منه الآن ليس الا اثراً بعد عين للدلالة على عظمة لبنان ومجده

للعلامة الشيخ ابرهيم اليازجي

نقلاً عن مجلة البيان الصادرة سنة ١٨٩٧

نبذة عن تاريخ مملكة السويس

وغليوم تل محررها

ان منشأ السويسيين جماعة من برابرة شمال اوروبا بنت بهم اوطانهم فنزحوا منها الى بقعة من الارض تحدها شمالاً امارة بادن وشرقاً اوستريا وجنوباً ايطاليا وغرباً فرنسا يبلغ عدد سكانها الآن ما فوق الاربعة ملايين وهي التي دعاها الرومانيون هلوجيا عندما استولوا عليها من سنة ٥٨ قبل المسيح الى ان تقلص ظل سلطتهم في الغرب فانضمت عامئذ الى جرمانيا ما خلا ولايات منها ومن ذلك الحين عبثت بها ايدي الفرنسيس والالمان الى عهد الالتزامات او الاقطاع في اوروبا حين فاز بزمامها بعض العشائر ولا سيما عشيرة هابسبورج التي نشأ منها رودولف ملك جرمانيا فاحسن الى البلاد وطأطأت له كتف الطاعة والخضوع وبعد وفاته تسلق العرش ابنه البرت سنة ١٢٥٨ اذ انه جار على الشعب ونصّب عليهم عمالاً ركبوا فيهم من العنف والجور ما لم يسعهم معه الصبر فتألبوا يداً واحدة وهبّوا في ظل استقلالهم والملك وقتئذ رجل يقال له جلسر نصب ذات يوم عموداً في رحواء من المدينة واقام عليه قبعته ونودي بالناس ان يخضعوا لها اجلالاً وتكرمةً

فاخذوا يسجدون لها تفادياً من سخطه المنذر بعذاب اليم الا رجلاً مقداماً يدعى وليم تل رأى ما حل بقومه من الهلع والخوف فعمل على خلع الملك وأبى وحده ان يسجد للقبعة فاشتد على الملك ذلك ودعا به وأدّبه فلما حضر قال له اني جاعل على رأس ابنك تفاحة ترميها بقوسك فان أصبتها نجوت والا فالهلكة

وكان هذا الرجل ارمى أهل زمانه بالنبال فلم يخطىء برميه التفاحة ونال النقة فبينا الملك يصعّد النظر فيه ويصوّب اذ وقعت عينه على حربة

اخفاها تحت ردائه ، فسأله عنها فقال له اني خبأتها لاكفي الناس شرّك فاكبر جلسر خطابه وامر بايثاقه واجلائه ، فطرحه في احدى الزوارق وانحدر به الى منفى يناوح العدوة الثانية من مستنقع لوسورن واذ بلغوا حومة الماء هبت الرياح وهاجت الامواج وركب الزورق جناح التيارات فدبّ الرعب في قلب جلسر وكاد يخلع فرقاً فاستجار بالملاحين فقالوا له ما للتخلص من سبيل ان انت لم تطلق القيد عن اسيرك فهو نوتيّ ماهر يعيننا على نجاتك ، ففعل وساعدهم تلّ مساعدة القوي والخبير في مسالك تلك البحيرة بحيث لم يمض زهاء ساعة من الزمن حتى قاربوا الشاطئ فقفز تلّ امام الجميع وانزوى الى صخرة وتماوت ، واذ وطىء الملك الساحل عاجله بنبلة القته صريعاً وهام لا يلوي على احد حتى اتى المدينة وقصّ عليهم الواقعة فاجازوه وتمالأوا من ثمّ فولّوا امرهم رجلاً منهم واخذوا في الاهبة وحشد الجيوش لمناوءة الجرمانيين فنشبت بين الفريقين معارك اجلت العاقبة فيها عن اجلاء الجرمان من تخوم السويس وذلك سنة ١٣١٠ بل ما فتئت ملوك جرمانيا تكثر الغزوات والغارات وتصبو الى استرجاع البلاد رغبةً في رجالها الاشداء اكثر منها في ثروة الارض واتساعها ، ودامت الحرب بينهما على قدم وساق حتى سنة ١٤٤٨ ، اذ عُقدت عهدة عامة تعرف بصلح وستفاليا أعترف فيها باستقلال السويس . وفي تضاعيف ذلك استولت عليها الجمهورية الفرنساوية وسنّت لها شرائع وتنظيمات وبقيت في حوزتها الى سقوط نابليون الاول سنة ١٨١٥ فاستؤنف الهرج بينهم وتمادوا في نكث العهود المبرمة الى ان تسنّى لهم ذلك ، فاستوثق لهم الملك واستتبت الراحة فيما بينهم فصرفوا الاهتمام في احوال البلاد واقبلوا على جمع ما تفرّق من امرهم بان اصلحوا التنظيمات ومدّوا العمارة ووسّعوا موارد الرزق وقسّموا البلاد الى ٢٢ مقاطعة يدير كلاً منها رئيس جمهورية مردود بطاعته الى إمرة رئيس الجمهورية في ذوريخ العاصمة

اما ارضهم فارض ربع وهناء نقية الهواء كثيرة الماء يستخرجون منها كل ما يعوزهم وشأنهم من مأكل وملبس وهم ابداً في نعيم دائم ...
للكاتب نجيب الشوشاني

تهنئة بعيد احد الاصدقاء

صفاتك تعجز الشعراء نظماً فما يقضي ثناءك غير نثر

من الواجب عليّ وعلى كل من قدّر الرجال قدرها أن يقف بهذا الموقف الحافل باهل واصدقاء أصفياء، لتهنئتك بهذا العيد الشريف خالص التهنئة ويثني عليك حق الثناء

وما صيغ الثناء لكل شخص ولكن صيغ للرجل الكريم

وان كنت انا لست اهلاً لافيك حقك منه الا أن لي بعض المعذرة عندما ارى فضائلك كبحر واسع وشمائلك كروضة غناء زاهرة بانواع الزهور الطيبة العرف فاغترف من ذلك البحر الزاخر واقطف من تلك الازهار الذكية ما استطعت، واظن اني بقدر ما انال من ذلك وان يكن يعدّ قليلاً بجانب مصدره أدلّ دليلاً واضحاً على صفاتك اذ أن بذكر القليل اشارة الى الكثير .

فليس ينكر احد ما طبعت عليه من دماثة الاخلاق وما تحليت به من عذوبة المذاق . ورقة المعاشرة . وفكاهة المحاضرة . وطلاقة الوجه . ولين العريكة . واستحكام العقل . واتساع الصدر . ومضاء العزيمة باصعب الاعمال . وجودة الرأي يوم الملمات فلأنت :

ذو حكمة بالفعل والرأي لك عند الخطوب معاقلٌ وحصونُ

ولست بمطرىء وبمبالغ بما ذكرت وانما قلت الحقيقة بعينها . ويعترف بذلك من عرفك فلا زلت سبب عقد اجتماعنا بمثل وبغير هذا اليوم السعيد وانت رافل بحلل الهناء والتوفيق الى اجل بعيد

الاحسان واستعماله

خلق الله العالم وفرق ارزاقه واخذت الناس تسعى وراءها طلباً في تحصيلها . فمنهم من يساعده الحظ فتفتح له الدنيا كنوزها فينال منها رزقاً واسعاً ومالاً طائلاً فيتمتع به بارغد عيش وانعم بال مستغنياً به عن الكدح والاشتغال . واما الآخر فقد يصيبه عكس الحال فيدبر الدهر عليه وتغلق بوجهه ابواب الرزق وتضيق عليه سبل التحصيل فلا يزال يجهد جهده ويكدّ نفسه وراء غايته وهو لا يهتدي اليها سبيلاً كأن لسان حاله يقول :

تأبى المطالبَ الا ان تكلفه للرزق سعياً ولكن ليس يجمعه

وربما بقي على مثل تلك الحال سحابة عمره يقاسي من العذاب الواناً ويتحمل من ضروب مذلة الفقر اشكالاً وقد تزداد حالته ضنكاً اذا اثقل كاهله وقر العيال واصابه بلاء يقعد به عن تحصيل القوت فيمكث في مكانه بعيداً عن يد المساعدة ينتظر الموت الى ان يوافيه فيشرب كأسه ويجدها حلوة المذاق لذيذة الطعم بعد ان يكون قد تجرّع من مرارة المصائب ما هوّن عليه اشد النكبات

فهل يا ترى من العدل ان يموت هذا المسكين على مثل هذا الحال وعياله تتضور جوعا في حين ان الغنيّ المشحّ عليه بفضلات ماله يرتع في بحابح الصفاء ، يبعث بدينارٍه رسولاً بين يديه فيأتيه بما يشتمّ منه رائحة الترف والهناء ، فهل ترضى بذلك النفوس الابية وتسلم به حقوق الانسانية انه وايم الله امر مخالف سنّته سنة العدل والانصاف

وقد شوهد من امثال هذه الامور ما ندر في خلال كل قرن لاسباب لم يتغلب عليها الانسان لاسعاف ابناء جنسه . وقد كنا نشاهد مثلها كل يوم بما لا يدخل نطاق حصر لو لم تقم قائمة الاحسان في كل عصر فحالت

دون اتساع هذا الخرق باعمالها التي خفّفت من مصائب الفقير بما لا يحتاج الى بيان . وهي كحلي يتحلّى به صدر كل زمان

وبديهي ان الاحسان ضروري للحضارة والعمران ضرورة الغذاء للجسم . فكلما توفر الغذاء للجسم قوي ونشط وهكذا الاحسان كلما ازداد استعماله قوي المجتمع الانساني بمن ينقذه من مخالب الفقر والضنك بل بمن ينتشلهم من مهاوي الجهل بمدارسه مما لا نرى منه غير قليل في بلادنا وهو كثير في اوروبا وخصوصاً في اميركا . وبمنافع الاحسان المتعددة تُنظم احوال اولئك الفقراء ويُرسلون من درجة الخمول الى ميدان العمل اعواناً عاملين يضمّون مساعيهم الى مساعي اخوانهم السائرين في سبيل تعزيز المدنية ورفع شأن العلوم والمعارف مما يضمن بمساعدتهم الفلاح السريع للانسانية كلها

ولو فرضنا أن قد بطل استعمال الاحسان ، فتفقد الانسانية من الايدي العاملة على تشييد معالم العمران ما يُثقل قدمها في شوط عملها فضلاً عما نرى امامنا كل يوم من النكبات المتواصلة مما تنقبض له النفوس وتضيق عن احتماله الصدور . لهذا فُرضت الزكاة على المسلمين رحمةً بالعوزين ..

وبالجملة فان الاحسان ضروري لمنفعة الانسان وكيان الكون وترقيته في معارج الحضارة والتمدن . ومع انتشار المعارف والمدنية يعم انتشار الاحسان كما ترى ذلك في اوروبا حيث قدم التمدن راسخة مما يدلك على ادراك اهميته من المجتمع الانساني . الا ان البعض يسيئون استعماله في بعض الاحوال . فاننا نرى كثيراً من الناس يحسنون الى اي فقير طرق باب منزلهم ام مدّ اليهم يده في الطريق وغيره من الاماكن العمومية فيعطونه العطاء الذي تسمح به انفسهم غير ناظرين الى حالته فيما لو كان شاباً قوياً صحيح الجسم او طاعناً بالسن مهزولاً اعمى كسيحاً او غير ذلك من الحالات التي يجب النظر فيها للتفريق بين حالة الفقير القادر على العمل والارتزاق

منه وعكسها .

وقد يُلام من لم يهتم بهذا الامر الاهتمام الواجب اذ انه باحسانه الى الفقراء على السواء لا يصطنع خيراً ولا يأتي بمنفعة عمومية وانما يضرّ ببعضهم ممن هم قادرون على تحصيل قوتهم بالاشغال والاعمال وان يكن قد نفع القسم الآخر ممن ليس هو باهل للعمل . وذلك باقعاد اولئك عن السعي والجد في طلب الرزق لاستنادهم على تحصيله بالشعوذة التي يفضلونها لكسلهم على غيرها لسهولة استعمالها وقرب متناول تحصيل القوت منها . وغالباً تراهم يبذّرون ما قد ادّخروه من الصدقات وينفقونه بدون رحمة في المسكرات وخلافها من المنكرات مما ينفر منه الطبع كل النفور .

فهل من العدل ان يحسن لقوم كسالى مفسدين او ليس يعدّ غبياً مَن يتصدّق عليهم او ليس هم الذين يضحكون منه لغباوته واغتراره بفقرهم .

الا انه لا يجب ان يحملنا ذلك على الامتناع عن عمل الاحسان وانما ذكرنا ما ذكرنا ارادة ان ننبه البعض لاصطناع احسانهم بموضعه وحلوله بمحله .. والفقر منتشر لا يكاد يخلو منه مكان وحياة الفقير متوقفة على حسنات المحسنين ، ولهذا نرى انه من الواجب على كل امرىء غنياً كان ام بحالة وسطى من الغنى ان يخصّص شيئاً من ماله بقدر ما يحتمله دخله فيُحيي به مَن عرفه من جيران ام اقرباء ام من كان بعيداً منه ووقف على حالتهم حتى الوقوف ممن ضربت المسكنة عليهم يدها .

وهذا الامر سهل الاستعمال في القرى والاماكن القليلة السكان حيث لا يتعذر على اهل كل قرية من معرفة حالة بعضهم بعض .

فاذا اتفق ان احدهم وقع بشدة تألب الجميع يداً واحدة لعضده بمالهم وافراج الضيق عنه . واما في المدن لا سيما الكبيرة فحدّث ولا تسلْ عن جهل اهاليها بعضهم لبعض وان تقاربت وتلاصقت منازلهم .

بناء عليه قد يحول هذا الامر والحالة هذه دون عامل الخير من انفاذ

مرغوبه وربما حمله على العدول عنه مخافة ان يغترّ بالفقراء الذين يحسن اليهم بنفسه . فالاجدر به اذاً ان يعطي الصدقة التي خصصها للجمعيات الخيرية التي من شأنها البحث المدقق عن احوال الفقراء والتوزيع عليهم حسنات المتصدقين .

والجمعيات الخيرية كثيرة في بلادنا منها لدفن الموتى ومعالجة المرضى وما شاكلهما . فليتخير المحسن من هذه الجمعيات التي يجب منحها صدقته فايّة اعطى فقد عمل خيراً والله لا يضيع للمحسنين اجراً .

١٨٩٨

حالة البلاد السورية اللبنانية الاقتصادية (١) .

تضجّ البلاد السورية اللبنانية لسوء حالة التجارة وقصر اليد عن تحصيل المعاش ولم تصل البلاد قبل الحرب الى ما وصلت اليه في هذه الايام من سوء حال الاسواق .. والسبب في ذلك ان بعد الاحتلال قد تجزأت البلاد السورية التي كانت من قبل ممتدة تجارتها جنوباً الى البلاد العربية حتى اليمن فمكة «ام القرى» وما بعدها وشرقاً الى الموصل والعراق وشمالاً الى الاناضول فالاستانة

فأقام عندنا الفرنسويون واحتلّ فلسطين والعراق والموصل الانكليز وعادت فتكوّنت تركيا الجديدة شمالاً بعد ان اقتطعت من سوريا كيليكيا التي كانت من املاك سوريا حسب المعاهدات الدولية المعقودة ابّان الحرب

---

(١) نُشر هذا المقال في جريدة مرآة الغرب النيويركية في شهر اب ١٩٢٩ ايام كنت في نيويورك احرر فيها .. ويتلو هذا المقال عدة مقالات نشرتها ايامئذٍ في تلك الجريدة وغيرها في مواضيع شتى لا تخلو من الفكاهة والفائدة لا سيما اذا اعتبرتَ بمقارنة احوال الماضي والحاضر

ـــ وباتت سوريا مؤلفة من ثلاث مدن كبرى وهي الشام وبيروت وحلب ولم يبقَ لسوريا باب تجارة مفتوح غير باب البحر وهو للواردات لا للصادرات

ولما أُوصدت كل تلك الابواب بوجه التاجر السوري الجريءُ بسبب ما اقيم بوجهه من الحواجز الجمركية انحى كأنه في بيت ليس له غير نافذة واحدة وهي البحر . وعلى شواطئ هذا البحر دول كبرى وشعوب عظمى ذوي صناعات وتجارات واسعة وحول وطول لا يمكن بالطبع للتاجر السوري ان يزاحمها بتجارته ام يبيعها الا ما حبته الطبيعة به من بعض البالات الحريرية والصوفية وقليل من زيت الزيتون وغيره مما صادراته لا تسدّ رمقاً ولا تُغني فتيلا

****

ولا يخفى ان غلاء المعيشة الذي سار بعد الحرب سيراً سريعاً فدخل البلدان كلها قد عرّج على سوريا وضرب أطنابه فيها فأصبح معه الدخل أقل من الخرج . وقد تعوّد السوري على كثرة الخرج ثم أصيب بقلة الدخل لكساد السوق مما ادى بالطبع الى افلاس كثيرين من التجار الكبار والصغار . ومن يقرأ في جريدة « الراصد » البيروتية عدد ٢٠٥٤ بتاريخ ٣١ تموز الماضي مقالة عنوانها « لماذا شنق تمر الاقرع نفسه ؟ » يفهم من ذلك ان حالة اسواق بيروت وهي محطّ تجارة سوريا وميزانها سائرة الى وهدة وربما يصعب الانتفاض من اكفانها

وترى في بيروت والشام وحلب في هذه الايام ان التاجر الكبير البائع بالجملة الذي كان عدده كبيراً قبل الحرب قد تلاشى وغاب شخصه عن الابصار ولم يبقَ غير التاجر الصغير البائع بالمفرّق وهذا ! اليوم هو على شفير الزوال ، فترى وجوه هؤلاء التجار الباقين عابسة حزينة شاكية سوء الحال خائفة عقبى مصير الامور . تراهم خائفين على مراكزهم وذوبان رؤوس

أموالهم رويداً رويداً اذ ان نتيجة تجارتهم كانت كمن يلحس المبرد .. ولا تزال آمالهم ضئيلة برواج الاسواق في المستقبل

والتاجر السوري شريف المبادىء صبور يهتم بالمحافظة على اسمه وامضائه يبيع ما فوقه وتحته ليدفع بميعاده ما استحق عليه من الكمبيالات . فهو كالضائع — . لا يرى متسعاً لآماله بتحسين الحال . وهو بحالة يأس بل كأسير لا يعلم أي متى يُفك من اسره ، تراه قلقاً كالريشة الطائرة في الهواء

يلتفت الى فلسطين وقد كانت قبل الحرب منفذاً لتجارته فيرى ان قد ابتُني فيها بعض المعامل التي تصنع الجلد والاحذية والشوكالاته والكلسات والجزادين وبعض الاقمشة مما صَنْعُه يُحاكي صنع اوروبا وغيره كالسيمنتو والجوخ وما اشبه .

وأخذت هذه المصانع تصدّر ما فاض عن احتياج فلسطين من منتوجاتها الى سوريا والعراق والموصل وغيرها من البلدان المجاورة وتبيعها بارخص مما تبيعها اوروبا . يرى ذلك التاجر السوري فيتحسّر . ترى عينه بصيرة ويده قصيرة — ويلتفت الى العراق والموصل ، وهذه كانت منفذاً لتجارته فيرى اعمال الريّ والزراعة ومنابع البترول آخذة في النموّ — ثم يلتفت الى تركيا والى الاناضول وما فيها ويرى ان الحواجز الجمركية عالية لا يقدر ان يتسلقها ، يرى كل تلك البلاد الواسعة كانت من منافذ تجارته — يُلقي نظرهُ على تلك البلاد التي افلتت من قبضة يده — فيرى ان حكوماتها تنفق الملايين لتعليم شبيبتها لاجل تحسين صناعتها وامتداد تجارتها — يراها تحمي صناعتها وتجارتها برفع تعريفتها الجمركية

يرى كل ذلك التاجر السوري فيوجم وينكس بنظره الى الارض قائلاً ما العمل ؟ يقول بصوت خافت « بعدما كنت سيّدها صرت اطبل بعرسها »

ومن أسباب شلل التجارة في سوريا خصوصاً في بيروت عاصمة لبنان العملة السورية وارتباطها بالفرنك — . وكلنا يعلم بقصة الفرنك فقد كان

ارجوحة الليرة السورية .

ابتدأ التعامل بالعملة السورية سنة ١٩٢٠ — ٢١ وكان سعر الليرة الانكليزية اذ ذاك خمسون فرنكاً ورقاً ام ٤٥ غرشاً عثمانياً ذهباً ، ثم أخذت منذ ذاك الوقت تهبط الليرة السورية حتى وصل سعرها الى تسعة غروش ذهباً ، وذلك سنة ١٩٢٥ — ٩٢٦ وبعد ذلك صعدت الليرة السورية حتى وقفت ، واستمرّ وقوفها على سعر ١٨ غرشاً ذهباً ولا تزال حتى الآن على هذا السعر ، سعر الليرة السورية . وكان الفرنك في هذه السنين يتراوح سعره بين الصعود والهبوط مما كان سبباً في تردد التاجر السوري عن بيع العملة السورية املاً بتعويض خسارته في صعودها ، فما كانت العقبى الاّ ان اغنية هنالك راجت بين الشعب وسموّها — « حاسب يا فرنك »

***

تكبّد التاجر البيروتي خسائر فادحة بسبب عدم استقرار سعر الفرنك واما التاجر الدمشقي والحلبي وغيره في داخلية البلاد فكانت خسائرهم فيه لا تذكر بجانب خسارة التاجر البيروتي لان هؤلاء وهم اكثر تمسكاً بتقاليدهم عن أخيهم التاجر البيروتي في المعاملة بالعملة الذهبية كما كانوا يتعاملون في ايام الدولة التركية لم يعيروا التفاتهم الى المعاملة بالعملة السورية خصوصاً في حوران ، وكان الحوراني يقول اعطني من الرنّان — يعني الذهب — فهذا الورق هو « كالمرقوق » يؤكل بل يحترق واذا تبلّل خسرت قيمته

ومن الخسائر التي ألمّت بالتاجر السوري خصوصاً البيروتي حريقة الجمرك سنة ١٩٢٧ ، فقد كانت البضائع متكدسة في مستودعات الجمرك بعضها فوق بعض بسبب كساد السوق وقلة النقْدية بايدي التجار . وكان قد مضى على معظمها مدة وجودها في تلك المستودعات ما يزيد عن ستة اشهر ومنها اكثر من ذلك وقد فاتت عنها مدة الضمان البحري ضد كل الاخطار التي لا تتجاوز على الغالب خمسة عشر ام ثلاثين يوماً ، واذا زادت مدة

الضمان المذكور فتكون لستين يوماً من قبل وصول البضاعة الى ارض الجمرك .

ولم يكن غير بضعة تجار يعدون على الاصابع ضامنين بضائعهم على مدة سنة كاملة ضد الحريق — وقد قُدرت البضائع التي احترقت بقيمة ستمائة الف ليرة انكليزية

ثم ارتفاع التعريفة الجمركية حينئذ الى ٢٥ في المئة بعد ان كانت ١١ في المئة لذاك الوقت — ثم ان حاصل المجموع من هذه التعريفة تستلمه الحكومة المنتدبة وتنفقه على الجيش وعلى تسديد دين البلاد وتعطي منه واحداً في المئة الى دوائر البلديات لاجل تحسين الطرق وغيره من الشؤون

ولما كانت تجارة سوريا كلها واردات فبأربع سنوات يصبح مال التاجر في قبضة الحكومة وليس في البلاد من موارد الرزق ما يعيد المال بعد ذهابه

وقد مضى على وضع تلك التعريفة نحو من اربع سنوات ونيف

وان يكن في ذلك بعض الحماية للصناعة والمنتوجات الوطنية ولكن اني ذلك للبلاد السورية والصناعة لا تزال في مهدها؟

واذا اهتم بعض المتمولين ذوي الهمة والنهضة في اقامة مصانع للجوخ ونسج الحرير وغير ذلك مما تحتاجه البلاد ويزيد في ثروتها فلا تخفيض في التعريفة الجمركية عن المواد الاولية التي تحتاجها تلك المصانع

فهنالك سر سيظهر نوره مع الايام يوم تموت التجارة فيقبراً في وسيئتها

كل هذه الاسباب ادت الى الحالة الاقتصادية السورية الحاضرة التي لم اذكر غير القليل منها واترك لغيري المطلع اكثر مني فيشرح مفصلاً لابناء سوريا المقيمين في هذه البلاد احوال بلادهم مدققاً في البحث لعل في تشخيص الداء نهتدي الى ايجاد الدواء

هذا اذا كنا من الذين آمنوا بان دوام الحال من المحال

التجارة . الزراعة . الصناعة . الاصطياف
تأليف الشركات الاستثمارية . الثقة

التاجر السوري معروف باجتهاده وحنكته في ميدان التجارة خصوصاً البيروتي وقد بلغ منها مبلغاً مشهوداً و كيفما قلبته في ميادين الاشغال وتنازع البقاء تراه يقع على رجليه منتصباً في ارض النجارة . ويرجع الفضل في ذلك الى المحيط المكتنف به ، فهو في بلاد متوسطة واقعة بين بلدان كبيرة كالعراق والموصل والاناضول ومصر والبلاد العربية فضلاً عن ان ليس في بلاده من المواد الاولية كمنتوجات المعادن من زيوت وحديد وفحم حجري واحراج وما اشبه مما هو مورد ثروة طبيعي لبلاده فلم يكن له والحالة هذه غير التشمير عن ساعد الجد والكدح للارتزاق بمعاطاته اساليب التجارة حتى صيّر بلاده محجة تؤمها البلدان القريبة والبعيدة منها لاجل مسواق حاجاتها المتوفرة عنده . فاثرى ومشى حيناً من الدهر في طريق الرقي والعمران بخطى واسعة ثم انقلبت الايام كما تقدم ذكره . فوقف دولاب تجارته بما سُدّ عليها من المنافذ . فهو الآن كالعصفور في قفص من حديد فاذا تكسر القفص يطير العصفور صادحاً ويعود الى الحدائق يتنقل فيها من غصن الى غصن مصفقاً بجناحيه

قلت ان هذا العصفور محبوس في قفص حديدي والحديد يفل الحديد فيجب ان نستعمل الوسائط الفعالة القوية كالحديد لتقدّم البلاد السورية . يجب ان نحسّن الزراعة ونجعلها تنمو وان نشيّد المصانع وندفعها الى الامام وان نمهد الطرق في لبنان ونصلحها ونبني الفنادق الكبيرة لاجل جلب المصطافين

وان نؤلف الشركات التجارية والصناعية والاستثمارية كما نراها بهذه البلاد وان نشد ربطها بحبال الثقة ببعضنا بعض . يجب ان نتعلم كيف ان نثق ببعضنا بعض قبل تأسيس الشركات على انواعها ...

ما هي الثقة ؟ — جاء في قاموس محيط المحيط — وثق به يثق ثقة ووثوقاً وموثوقاً ائتمنه فهو واثق وذاك موثوق به . ووائق موائقة ووثاقاً عاهده . واستوثق منه استيثاقاً أخذ منه الوثيقة . الوثاق والوثاق ما يُشد به من قيد ام حبل ونحوه ، الثقة كعِدَة مصدر ويوصف به ، فيقال شاهد وراوٍ ثقة اي موثوق به ، يستوي فيه الواحد والمثنى والجمع مذكراً ومؤنثاً ادرجنا كل ذلك تفكهةً . ويقولون الثقة بالغير تجلب الثقة بك ، كل هذا لا يجهله احد من الناس . ولولا الثقة لما قامت الاشغال الكبيرة والانشاآت العظيمة التي نراها في هذه البلاد ، وعلى هذا الطريق هي سائرة سيراً حثيثاً وقد لا يمضي بضع سنين حتى تصير معظم الاشغال بيد الشركات الكبيرة يربح المساهمون فيها من فوائد اسهمهم وينامون على فرائش من حرير

على اني لا احبذ كل التحبيذ شركات الاحتكار لان ضررها بان تحصر الرساميل بفئة قليلة من الناس بينا ٩٠ في المئة منهم يكونون بدون رأس مال

وانما اردت من تأليف الشركات في البلاد السورية لان الرساميل فيها قلّت اكثر مما تتصور . وبغير المال لا يقدر الانسان ان يعمل عملاً ، فلو تألفت شركة كبيرة من السوريين لاعمال الريّ مثلاً — فالريّ في سوريا ضروري والبلاد مفتقرة اليه وعليه مدار تحسين الزراعة . وفي سوريا اراض واسعة مخصبة يلزمها مياه لتنتج اضعاف ما تنتجه اراضي اريزونا وتكساس وغيرها في الولايات الاميركية الملآنة باعمال الريّ . وقد قال لي مرة احد السياح الاميركان الذي مرّ بالسهول التي هي ممتدة ما بين حمص وحلب حتى حدود العراق — هذه الارض معدن ذهب اذا عرفتم كيف تستخرجونه . والبلاد السورية كان يسكنها في القرون الماضية ما ينيف على ١٦ مليوناً من الناس وكانت قائمة بسدّ حاجاتهم .

ثم اردف بقوله لماذا يذهب السوريون الى بلادنا ، وبلادكم فيها معادن

الذهب ويعني بذلك اراضيها المخصبة والمملوءة بالخيرات

***

فلو قُدّر ان احد اغنياء السوريين اراد ان يعمل الريّ في بلاده فكيف يعدّ عدّته لذلك . فاول كل شيء يحسب قدر التكاليف ويستشير المهندسين السوريين الخبراء واذا لم يكن المال لذلك كافياً بين يديه يؤلف شركة ويصدر اسهماً ليتكوّن منها رأس المال ويجتهد ان يكون غالب حَمَلَتها من السوريين ، وينتخب لادارة هذه الشركة ثقاة السوريين وغيرهم من الثقاة مما هو مجلبة للثقة وهنا تلعب الثقة الدور الاول لنجاح المشروع . فالثقة الثقة يا اخوان

واذا لم يكن المهندسون السوريون للريّ متوفرون لديه فليهيئهم وليفتش عنهم فاذا لم يجدهم حاضرين فليختر بعض الشبان الاذكياء ذوي المروءة ويشجعهم على درس فن هندسة اعمال الريّ وليساعدهم بماله على ذلك

فلا بأس اذا مضى خمس او ست سنوات قبل ان يبدأ بمشروعه المذكور . فكل من يتأنى ينال ما يتمنى . اتقان العمل يجلب ثقة الناس وثقة الانسان بنفسه .

ولا تتم الامور الكبيرة بوقت قصير انما يلزمها درس طويل وعمل متواصل وهذا يلزمه صبر فهل عندنا صبر ؟ . الصبر عند السوريين موجود

ومما يؤكد ذلك صبرهم على حكم الاتراك نحواً من ستمئة سنة الى ان قضت الايام بتقلص ظل ذلك الحكم الجائر . فقد صبروا مسيَّرين منقادين لان النفوس كانت خاملة ضعيفة جاهلة لقلة انتشار العلم . فالعلم الصحيح مصدر النشاط والعمل والاقدام

ومنذ ابتدأ العلم يضيء في البلاد السورية اصبحت طرق النجاح في تنازع البقاء ظاهرة امام ابصار السوريين ، تراهم يبحثون عن انجع الوسائل لاجل تحسين احوال بلادهم

فالصبر ومبادئ العلوم الصحيحة موجودة عندنا ، انما الثقة نادر وجودها وستكثر الثقة هنالك متى اتقن العمل لان اتقان العمل يساعد على نجاح المشاريع العمرانية ، وفي نجاح تلك المشاريع اقبال الناس عليها . ثم بعده جمع المال والغنى لاجل المعيشة الكمالية وذلك ما ينشده كلٌ منا ويتمنى الحصول عليه ، فهل يا ترى نجد من يبتدئ بمشروع الريّ واذا لم يكن به فبخلافه كبناء المعامل وتأليف الشركات التجارية والصناعية والزراعية وغيرها مما يكون عمله ركناً لعمران وازدهار البلاد السورية ومثالاً بل مدرجة لغير مشاريع عمرانية . ولكني اخال اننا كلنا واقفون صفاً واحداً وكل منا يتحفّز للوثوب الى ميدان الابداع في تلك الحياة العمرانية والانشائية فلا يجرأ ، نراه خائفاً وجلاً ان يكون البادئ ، ينتظر رفيقه ان يخوض المعمعة قبله حتى اذا رآه قد عاد فائزاً غانماً يثب بعده مقتفياً اثره ، والفضل اذن للاول السابق لا للثاني اللاحق — فلا بأس فالتشبّه مباح حسَنٌ بمثل تلك الاحوال

ومن الوثابين الاولين مثلاً في ذلك الميدان السادات روميه واخوانه وعمري فهؤلاء هم من دمشق الشام واحد مسيحي والآخر مسلم فقد ربطتهم الثقة ربطاً وثيقاً فانشأوا معملاً لدباغة الجلد على انواعه في دمشق منذ ثلاث سنوات . والاولون جمعوا ثروه طائلة في كولومبيا من اواسط اميركا الجنوبية .

وقد أخذ ذلك المصنع يتقدم الى الامام بالنظر لاتقانه دباغة الجلد على الطراز الحديث ، واقبل على مشترى منتوجاته الدمشقيون المشهورون بغيرتهم على تعزيز الصناعات الوطنية وميلهم الى الابتكار في وضع المشاريع العمرانية وحرصهم الشديد على تنفيذها

وقد تحسنت احوال ذلك المصنع وتراه ساهراً على اتقان دباغة الجلد حتى باتت غالب منتوجاته تضارع من صنفها منتوجات اوروبا . ومنذ ستة

توجه احد الشركاء السيد روميه الى المانيا فدرس صناعة دبغ وصنع الجلد اللمّاع .

وقبل مجيئي الى هذه البلاد بلغني ان قد صُنع ذلك النوع من الجلد في معمل رومية وعمري وكان على جانب عظيم من الاتقان فكثر مشترونه وفضلوه على غيره من صنفه في اوروبا

فلا تعجب اذا رأيت هذا المصنع بعد مضي بضع سنوات يضاهي اعظم مصنع من نوعه

اوجّه كلامي الى ابناء سوريا في المهجر واقول لهم قول محب بان مستقبل ترقي سوريا العمراني متوقف على عزائمهم وهممهم الشمّاء . وعلى تعليم ابنائهم العلوم والفنون والزراعة وخلاف ذلك ، فبلادنا بحاجة الى ميكانيكيين ومهندسين على انواعهم وزراعيين وكيماويين وغيرهم مما يكون مجموعه مورداً لاثراء البلاد السورية . ولم اقل تعلموا التجارة لان السوريين كلهم تجار والتجارة في بلادهم كما تقدم ذكره بحالة النزع « وكثرة الطباخين تحرق الطبخة »

انظروا الى فلسطين واعمال اليهود العظيمة فيها ، فقد جاءها منهم الصانع والتاجر والمتموّل والزارع والمهندس والميكانيكي والمتعلمون العلوم العالية ومن مجموع هؤلاء انقلبت حالة اسواق وعمران فلسطين من جمود الى حركة — وبشّر تلك البلاد بمستقبل زاهر وتقدم سريع في سبل العمران بينما البلاد السورية المفتقرة الى ما عند اليهود من صناعة ومال واجتهاد تتراجع الى الوراء — فليتشبهوا بهم من هذا القبيل والتشبه فلاح في مثل تلك الاحوال . فالسوريون واليهود على قول بعض الرواة متحدّرون من نسل واحد وهو نسل سام ، وعليه قد يمكن لكل فريق منهما ان يعمل ما يعمله الآخر في سبيل الترقي والعمران . ومتى اجتمع الفريقان على صفاء النيات وتوحيد هدف الغايات كان العمل في ذلك اوسع مدى وابعد مرمى .

(١) تعليق على المقال المتقدم ذكره :

لاجل مساعدة القارئ على مقارنة احوال الماضي بالحاضر ، ولاستنتاج الفائدة المرغوبة اقول :

انه كُتب هذا المقال منذ عشر سنوات ونُشر وقتئذ في الجرائد كما تقدم بيانه

وتبين فيه بعض الاسباب الرئيسية التي ادّت وقتئذ الى كساد الاسواق في البلاد السورية

منها : تجزئة البلاد وغلاء المعيشة وعدم استقرار النقد : «اي العملة السورية على سعر ثابت» . وارتفاع التعرفة الجمركية على الواردات من ١١ في المئة الى ٢٥ في المئة . واستعمال الدولة المنتدبة لنفسها حاصل تلك الرسوم الجمركية واهمال العناية لامتداد التجارة . وتحسين الزراعة . والصناعة . والاصطياف . وتأليف الشركات الاستثمارية العمرانية كالري وغيره

ذُكر كل ذلك وحُرّض على معالجته ومداواته وتنفيذه واستعماله ثم أُشير الى فلسطين واعمال اليهود العمرانية فيها

وتبين في آخر المقال المشار اليه رغبة في تكوين رأس مال لترقية البلاد وعمرانها اذا تعذّر تكوينه كاملاً من غير وجوه كالمال وغيره ان يتعلم النشؤ الجديد من ابناء البلاد العلوم الفنية من زراعية وكيماوية وميكانيكية وغير ذلك مما لا يستغنى عنه لعمران البلاد . وان يتقن اولئك تلك العلوم غاية الاتقان وهم ذوو الافئدة الذكيّة ويتخصّصوا بها قصد الميزة والتفوق على الغير . اذ ان من مجموع ذلك كله يحصل تكوين رأس مال قوي علمي ، يُستثمر قسم منه في بلادهم الصغيرة والضيقة به ثم القسم الباقي في غيرها من البلاد المجاورة المحتاجة الى مثل رأس مال كهذا اذ يكون ذلك معواناً لتلك الفئة المتعلمة ذات رأس المال العلمي على جلب الثروة الى بلادها من الخارج كما كانت ولا تزال تنتفع هذه البلاد

من مهاجريها في اقطار المعمور بما يرسلونه اليها سنوياً من الاموال التي لا يستهان بمقدارها

— المقارنة —

على انه اذا نظر بما أوصي لعمله واعتبرنا ما عمل منه بعدئذ وحتى الآن وجدنا ان قد داوينا ضرر تجزئة البلاد بالمعاهدات التجارية المعقودة بين البلاد التي انسلخت عن بعضها بعض وذلك برفع الرسوم والحواجز الجمركية عن البضائع المتبادلة صادراتها بين تلك البلاد المتجزأة مما هو من منتجاتها وعن غير بضاعة هي نتاج غيرها مستوردة من الخارج

اما غلاء المعيشة فقد زال ابان استقرار سعر الفرنك على سعر ثابت الى ان هبط سعره في اواخر عام ١٩٣١ . فعاد حينئذ غلاء المعيشة وعذابه

ثم في مدة استقرار سعر الفرنك راجت الاسواق وتحسنت احوالها بعض الشيء الى ان هبط سعره عام ١٩٣٦ كما تقدم .

اما ارتفاع التعرفة الجمركية فقد زيد ثانيةً ارتفاعها على بعض الاصناف المستوردة بعد ارتفاعها الاول وربما كان حمايةً لصناعة البلاد وقد افاد ذلك البلاد بالاجمال اكثر مما اضرها

ومنذ عهد قريب خفضت التعرفة الجمركية على الواردات من بعض اصناف البضائع بالنظر لالحاح التجار المستوردين على الحكومة المنتدبة وتقديم الاسباب والبراهين الموجبة لذلك التخفيض

وهي وان ظهرت نتيجة ذلك مفيدة لمصلحة اولئك التجار من جهة فقد كانت مضرة من الجهة الاخرى . وكانوا بما عملوا كمن يمزق الكم ليرقع البنطلون اذا نظرنا الى المستقبل البعيد من وجهة مصلحة صناعة البلاد

اما استئثار الدولة المنتدبة في استعمال حاصل الرسوم الجمركية لنفسها حتى الآن فسيزول ذلك عن قريب عند بلوغ اجل استقلال البلاد

اما العناية لامتداد التجارة فلم تنل البلاد منها غير تلك الاتفاقات التجارية المبرمة بين الدول المجاورة المجزأة بشأن رفع الحواجز الجمركية

عن صادراتها مما يصنع عندها كما تقدم . — اما تحسين الزراعة فلم نرَ منه شيئاً بل يتكلمون عن استعمال الريّ وتعميم منافعه ولا يفعلون ، وجلّ ما استفادت الزراعة كان من اعفاء صادرات محاصيلها ومنتوجاتها من الرسوم الجمركية في البلاد المجاورة المعقودة معها المعاهدات المشار اليها

اما الصناعة فلم تتقدم ولم تتسع كما يلزم بل انهم حموا الموجود منها بعض الحماية برفع التعرفة الجمركية على الوارد من مثلها من الخارج ..

اما تحسين الاصطياف لزيادة موارده فقد جرى تحسينٌ فيه على جانب من الاهمية : بتمهيد وفتح الطرق ، وبناء الفنادق الكبيرة ، وكانت مساعدة الحكومة على ذلك محمودة . اذ الاصطياف هو من اهم الموارد الحيوية لهذه البلاد

وقد ساعد هبوط الليرة السورية وغلاء الليرة الانكليزية وبقاء اسعار الحاجيات والاجور في البلاد على سعرها السابق اي قبل نزول سعر الليرة السورية . على انه امّ البلاد مصطافون في عام ١٩٣٧ اكثر من مثله في الاعوام السابقة

وبعد ان عمل مصطاف من فلسطين حساب مصروف شهرين قضاهما في ربوع لبنان وقابل مجموع ما صرفه في لبنان بمدة الشهرين المذكورين وبين مصروف شهرين في فلسطين وجد ان قد نقص معه مصروفه في لبنان ما يزيد عن خمسين ليرة سورية . فيكون قد اصطاف واترف وتنزه وكسب صحةً وقوةً وفوق ذلك ربح خمسين ليرة سورية

اما الشركات الاستثمارية الوطنية على انواعها التي يمكنها اقامة مختلف المصانع وتحسين الاراضي والزراعة وبناء الفنادق الكبيرة لاجل الاصطياف فلم تعمل من ذلك شيئاً يذكر بالنسبة لحاجة البلاد وفي ذكر كل ذلك افادة واعتبار بمقارنة احوال الماضي بالحاضر

اذ باعادة النظر في الشيء المفيد زيادة في الاستفادة

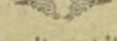

ولنا كلام آخر في وضعية البلاد العمرانية نرجئه الى وقت آخر ...

حائط المبكى (١)

تنازع ملكيته بين اليهود والمسلمين منذ قرون

ترى ان اليهود في انحاء العالم كلهم حزينين نائحين خائفين من الموت والتحقير لما سيداهمهم وما داهمهم في القدس بسبب حائط المبكى . وليس ذلك من المستغرب حدوثه ولا من الحوادث الجديدة ، انما هو منتظر وقوعه في اي ساعة ام اي يوم . والشاهد على ذلك ما حدث في الايام الاخيرة من القلاقل والاضطرابات وما سفك بسببها من الدماء . حتى ان الحالة تحرجت وتفاقمت الى حد ما وصلت لمثله من بعد الحرب ولا من قبلها ، ولهذا فان الحكومة الانكليزية استقدمت الجيوش والمدرعات الى الاراضي الفلسطينية

اما المبكى بنظر المسيحي فهو حائط رمادي اللون مبني من حجارة ضخمة يعلو عن الارض خمسين قدماً ، قائم على جانب ممرّ ضيّق يأتي اليه اليهود — الكهول على الغالب — من رجال ونساء على مختلف بيئاتهم لاجل فرك ومسح جبهاتهم على اسفله ، ويتلون صلاة بالعبرية واليهودية غير مفهومة بالطبع من سواهم

اما المبكى بنظر اليهودي فهو بقية من بقايا هيكل سليمان الحكيم والملك العظيم فهو يجلّها ويعتبرها بقية مقدسة تذكره بمجده القديم ومجد صهيون ومُلكه ، فيقف عندها باكياً نادباً فقدان أبّهة صولته الغابرة مبتهلاً الى الله ليعيد ذلك المجد والمُلك اليه

اما المسلم فينظر الى المبكى (ويدعوه البراق المقدس) مشتملاً على

---

(١) معربة عن « جريدة الصن » النيويوركية ونشرت في ٣٠-٨-٣٠

الحائط المحيط بمعظم الارض المبني عليها الجامع الكبير لعمرو بن الخطاب وهو يقدسه

اما بنظر الانكليز المنتدبين على فلسطين ، فالمبكى هو علة للخلافات الدائمة بين اليهود والمسلمين في فلسطين — . وقد حاول الانكليز وبذلوا الجهد ليحلوا هذا المشكل حتى انهم ارادوا ان يبقوا الحالة على ما كانت عليه قديماً اي يحافظوا على « الستاتيكو » فذهبت مساعيهم ادراج الرياح

وحلّ هذا الامر عند الانكليز من الاهمية بمكان بالنظر لامتداد ملكهم وتسلطهم على الهند وخلافها التي فيها من المسلمين عدد لا يستهان به كذلك من اليهود ، فضلاً عن ان عدم حلّ هذا المشكل الديني مما يؤثر اثراً غير مستحب في مستعمراتها المأهولة بمختلف الشعوب من جميع الاديان

****

ويروى مؤرخو اليهود ان حائط المبكى كان في الاصل قسماً من الحائط المحيط بهيكل سليمان الذي تصفه التوراة وتغالي في وصفه انه كان على جانب عظيم من الزخرفة والعظمة

وان ذلك الهيكل كان مبنياً على اكمة منبسطة اسمها جبل موريا حيث ابرهيم الخليل اعدّ عدّته على صخرة هنالك مسطحة لتقديم ابنه اسحق ذبيحة لله ، وصارت تلك الصخرة فيما بعد عتبة بيت اورنان الجبذي

وتلك الصخرة اشتراها داود الملك لتقدمة الذبائح الى الله . وعليها بنى سليمان الملك هيكله العظيم المشهور الذي هدمه نبوخذ نصر ملك اشور واجلى ابناء الاسرائيليين ونفاهم الى بابل . وبعد مضيّ قرن على ذلك ، اعاد بناء الهيكل عزرا وناحوم وهما من ملوك الاسرائيليين — على رابية قريبة من حائط المبكى ودعياه ثانية قدس الاقداس

ثم ان هيرودس الملك وسّع هذا الهيكل واعلى بناءه . وفي هذا الهيكل خاطب المسيح علماء اليهود — لما كان صبياً . وفيما بعد طرد منه الصيارفة والباعة . ولما جاء الرومان لفلسطين هدم ذلك الهيكل امبراطورهم تيطوس

وذلك سنة ٦٣ قبل المسيح

ثم بعد ستة قرون من ذلك الزمن فتح العرب القدس عن يد الخليفة عمر بن الخطاب واقام عمر جامعاً في نفس المكان الذي كان مبنياً عليه الهيكل ثم جاء عبد الملك بن مروان في سنة ٦٨٥ - ٧٠٥م ووسّع في الجامع المذكور وبنى قبة عالية له حتى انه اقام على بعض اسس الهيكل المذكور قسماً من جدران المسجد المشار اليه . ولا يزال ذلك الجامع قائماً حتى الان بعد ان وُسّع ورمم بناؤه عالياً — وتعلو قبته على اعلى البنايات الحديثة في القدس . وهو من اكبر الجوامع الاسلامية واقدمها ويعتبره المسلمون من اقدسها لان بين جدرانه الصخرة التي كما يروون ان محمداً صعد منها الى السماء على متن البراق . واعتقاد المسلمين بهذا المغالين باسلامهم كاعتقاد المسيحيين بصعود المسيح الى السماء من مكان لا يبعد غير قليل عن تلك الصخرة المقدسة

ومن ذلك يتبين سبب ذلك النزاع الحاد القائم على ساق وقدم بين اليهود والمسلمين فان المسلمين وهم اصحاب السلطة منعوا اليهود عن دخول جامعهم الاقدس ولم يسمحوا لهم ان يقتربوا الا من قطعة صغيرة من الحائط الخارجي لذلك الجامع المعروفة الآن بحائط المبكى الذي يحج اليه اليهود من اطراف الارض متبركين باكين على مجدهم السالف مجد اسرائيل متضرعين الى الله تعالى ان يعيده اليهم

***

ويروي اليهود ان ذلك الحائط قد فقد وضاع ثم وجد . وذلك ان بعد خراب اورشليم وهدم الهيكل بقرون عديدة ، أخذ الناس من مختلف الاديان يرمون الاقذار والاوساخ فوق الحائط المذكور حتى طمروه بها فاتفق ان السلطان سليم الاول ابصر يوماً امرأة تلقي اقذاراً على الحائط المشار اليه وبلغه ان رجالاً ونساء من جميع انحاء فلسطين يأتون الحائط المذكور ويرمونه بالاقذار تبركاً (والعهدة على الراوي) فبعث واستحضر

عشرة آلاف عامل وأخذ يحفر بنفسه معهم لرفع تلك الاقذار عن الحائط وبمدة ثلاثين يوماً رُفعت الاقذار كلها وظهر الحائط كما تراه اليوم

وفي القرن الثامن عشر قوي ايمان اليهود في قداسة حائط المبكى حتى اصبح موضوع عبادتهم يذكرونه في صلاتهم اليومية ويزيّنون برسمه كُنُسهم وكُتب صلواتهم ومعابدهم وبيوتهم

اما الآن فقد عبثت به ايدي البلى وعلتهُ الاوساخ الدهنية من كثرة تقبيلهم له . وهو منذ القرون القديمة محجّ لعبادتهم وعنوان على سالف مجدهم . وكهنتهم يقولون ان العزّة الالهية موجودة دائماً في الحائط الغربي من الهيكل لا تفارقهُ ...

وزوّار ذلك الحائط كثيرون في هذه الايام ، يزورونه في كل يوم جمعة مساء وفي يوم السبت ويوم الغفران . — وفي يوم التكفير ترى خلقاً كثيراً من اليهود امام ذلك الحائط .. حتى في كل يوم وبأي ساعة من النهار ترى امام ذلك الحائط نساء يهوديات على اكتافهنّ الخرامات الملونة ورجالاً مرتدين الالبسة العربية والافرنجية . وبعضهم معمّمين . وشعرهم طويل منسدل على اكتافهم . ولحاهم مدلوسة بالزيت ، وثيابهم رثّة ، وبالعكس ترى منظر الزوّار اليهود الاوروبيين والاميركان ، والفرق بين المنظرين بعيد

ويقولون ان اليهود الاغنياء البعيدين عن اورشليم الذين لا يتسنى لهم زيارة المبكى ، يرسلون المال الى اليهود القريبين منه لينوبوا عنهم في زيارته ، حتى ان البعض من هؤلاء اخذوا يتعاطون مهنة جمع المال من زوّار اليهود الغرباء البعيدين

وعندما يقبّل الزائر حائط المبكى ، يضغط شفتيه عليه . فصار على ممر الازمان أملس ، تعلوهُ مادةٌ دهنية . وفي شقوق جدرانه نبتت بعض الشجيرات كالعوسج وحلافه مما يلطّف من منظره البالي القديم

يقبّل الزائر النائح جدار حائط المبكى ويتلو الطلبات الآتية فيردّدها

الحاضرون المصلون :

من اجل الهيكل المتهدم !
نجلس وحيدين باكين ناحبين :
من اجل الجدران الساقطة المتهدمة !
نجلس وحيدين باكين ناحبين !
نجلس وحيدين باكين ناحبين !
من اجل مجدنا الزائل !
نجلس وحيدين باكين ناحبين !
من اجل رجالنا العظام الراقدين !
نجلس وحيدين باكين ناحبين !
من اجل الحجارة الثمينة التي احترقت !
نجلس وحيدين باكين ناحبين !
من اجل كهنتنا الذين ماتوا !
نجلس وحيدين باكين ناحبين !
من اجل ملوكنا الذين عصوا ارادة الرب !
نجلس وحيدين باكين ناحبين !

***

فلتعد الينا صهيون قريباً
وليُعزَّ الناحبون على اورشليم !

تناقض مصالح الدول الخمس في المؤتمر البحري[1]

المعقود في لندن في شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٠

اجتماع الدول الخمس فيه لتقرير حاجاتها من السلاح البحري — وبيان
الاسباب الرئيسية الداعية لذلك مع مقابلتها بعضها على بعض
لايجاد القدر الكافي من السلاح البحري
لكل واحدة منها

مقال لريمون لسلي بويل رئيس غرفة البحث
في جمعية السياسة الخارجية الاميركية[2]

مضى على المؤتمر البحري بضعة اسابيع منذ انعقاده وكان بيد كل وفد فيه من وفود الدول العظمى ذراع ام يرد يقيس به ثوب الاساطيل الذي يكفي بلاده ويسد حاجتها منهُ فيُلبسها اياه

وهناك من مريديّ السلم الخياليين مَن يبغون انقاص السلاح الى الحد الادنى حسماً للحرب ، الا ان الحكومة الانكليزية تدّعي ان ليس من الضرورة التطرّف في خفض السلاح الى الغاية القصوى وترك الدول مجرّدة منه كل ذلك التجريد اذ لا بد في هذا العصر من ان تخترق يوماً ما دولة من الدول المعاهدة السلمية وتقطع حبالها ، فيجب عندئذ على بقية تلك الدول ان تردّها عن طغيانها الى حظيرة السلام بقوة السلاح

اما الانكليز فنظريتهم في حاجتهم الى الاساطيل كأنها بارجوحة تميل

---

(١) انظر التعليق على هذا المقال في الصفحة ...

(٢) عرّبته ونُشر في جريدة النسر النيويوركية في ٥ - ٣ - ١٩٣٠

بها في جميع الجهات . فقد صرّح المستر ماكدونلد رئيس الوفد الانكليزي باول جلسة في المؤتمر المذكور بقوله : — « ان الطريق من انكلترا واليها هو في البحار ، وشعبها فوق البحار فعاقلها وحصونها هي البحور ، ومواصلاتها البعيدة كانت ولا تزال فوق المياه . فهي جزيرة صغيرة قائمة ومؤسسة فوق البحار . فاساطيلنا اذن هي الدماء الجارية في عروقنا ...

وقال غراندي رئيس الوفد الايطالي ، ان ايطاليا هي شبه جزيرة تتكل على المواصلات البحرية لاستجلاب الاقوات والمؤونة لسكانها ، فهي اذن باشد الحاجة الى الاساطيل البحرية

ولما كانت تلك النظريات في المؤتمر مدعومة بالبراهين كل ذلك الدعم ، فمن الواجب ذكر حاجات كل دولة من تلك الدول من السلاح البحري الداعية الى التمسك بها . وهذه الحاجات مبنية على المراكز الجغرافية والاقتصادية الطبيعية من حيث اتساع المناطق وعدد السكان والمستعمرات والاقطار المندسّ فيها نفوذ الدول والتي هي ضمن دائرة الانتدابات . كباناما وقناة السويس والاحواض البحرية والتجارة الخارجية والمرافق والاموال الموضوعة في خارج البلاد لاجل استثمارها والنقليات البحرية كالسفن التجارية وغير ذلك من الحاجات الماسّة للدول

— ١ — مساحات وسكان —

وأهون سبيل لمعرفة قدر حاجات الدول الى السلاح البحري هو معرفة مساحاتها وعدد سكانها وحدها دون مستعمراتها وممتلكاتها وتطبيق حاجتها الى السلاح على نسبة تلك المساحات والسكان . فلو ابتدأنا مثلاً بقياس مساحة الدول ، كل واحدة على حدة واحصاء عدد سكانها لاتّضح لك الجدول الآتي : —

	المساحة بالميل المربع	عدد السكان
الولايات المتحدة	٢٩٧٤٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠٠٠
انكلترا	٩٤٢٧٨	٤٥٦٠٠٠٠٠

	المساحة بالميل المربع	عدد السكان
اليابان	١٤٧٣٢٧	٦٣٫٨٦٠٠٠٠
ايطاليا	١١٩٧٠٠	٤١٫٨٠٠٠٠٠
فرنسا	٢١٢٧٠٠	٤٠٫٩٠٠٠٠٠

وبموجب هذه الارقام ، فالولايات المتحدة هي اوسع مساحة واكثر سكاناً من اية دولة من الدول الخمس المجتمعة الآن في مؤتمر لندن ، وعليه فالناظر الى تلك الارقام يرى لاول وهلة ان اميركا لها الحق بان يكون لديها من السلاح البحري عدد يفوق ما عند كل دولة منه بمفردها . ولكن هناك عاملين يريانك فساد معتقدك هذا — اما الاول فهو ان كل بلاد كالولايات المتحدة واسعة ممتدة الاطراف متصلة بعضها ببعض يمكنها ان تكفي نفسها بنفسها . فلاميركا جبهتان فقط طويلتان مكشوفتان من جهة الشواطئ معرّضتان للمهاجمة ابتان الحرب فهي والحالة هذه اقل استهدافاً لخطر الهجوم من جزيرة اصغر منها مساحةً كثيرة السكان ومكشوفة من جميع جهاتها التي متى هوجمت وتمكن الاعداء من تشديد الحصار عليها فلا تلبث ان تستسلم للمحاصرين

فضلاً عن ان الولايات المتحدة غنية بمواردها الطبيعية اكثر من خلافها منها ، ويمكنها بموقعها الجغرافي ان تصون تلك الموارد عند الحاجة من اعتداء خارجي عليها

اما فرنسا فهي من هذا القبيل بين الدول الاوروبية المجتمعة في مؤتمر لندن اقل استهدافاً منها لخطر الهجوم ، ومع هذا فهي تأتي بذلك بعد اميركا التي هي متاخمة لدولتين صغيرتين لا يُخشى بأسهما كالمكسيك وكندا اما فرنسا فمحاطة بانكلترا والمانيا وايطاليا وعندها جبهتان من الشواطئ ذات اهمية تلزمها المدافعة عنها ، فضلاً عن ان الاتصال بينها منفصل بمضيق جبل طارق الذي مفتاحه بيد بريطانيا

اما الدول الثلاث الباقية ، وهي انكلترا واليابان وايطاليا فكلها جزائر

ما خلا ايطاليا ، فهي شبه جزيرة . وتلك الدول بموقعها الجغرافي المذكور معرضة للسقوط اذا اسفر حصارها عن نجاح

اما كثافة سكان تلك الدول الخماسية بالميل المربع ، فاقلهن اميركا ، ثم تأتي بعدها فرنسا والثلاث الباقيات منها فسكانها مزدحمون تغصّ تلك البلاد بهم ، لا سيما انكلترا ، وغنيّ عن البيان ان كل دولة تغصّ بسكانها حتى تضيق بهم يلزمها مخرج في البحار ومنفذ فوقها الى الاستعمار بتأسيس المرافق والممالك في خارج بلادها سعياً ورآء الارتزاق سنّة الله في خلقه

وعليه ترى بالعامل الثاني فساد المعتقد بان على اساس مساحة البلاد الاصلية ، وعدد سكانها ، تبنى القياسات وتقدم البراهين الدامغة المؤيدة الى حاجة التسليح البحري اذ ليس ذلك من الدواعي الضرورية بل ما يدعو حتماً الى التسلح دفاعاً عن الحوزة هو اعتبار مساحة البلاد الفرعية كالمستعمرات والممتلكات البعيدة المؤسسة طلباً للرزق وحفظاً للكيان

— ٢ — — الممتلكات والمستعمرات —

والاستعمار اخذ دوراً هاماً في اوروبا وتسلط الشعب الابيض على ممالك الشعوب غير البيض في جميع اطراف المعمور ، وكانت الامة الانكليزية اوسع الامم القوقاسية استعماراً وملكاً . ثم تلتها فرنسا وبالحقيقة ان للدول الخماسية المجتمعة في المؤتمر مستعمرات وممتلكات لا يستهان بها . واذا اتفق ان دولة قطعت على الاخرى مواصلاتها بمستعمراتها ، فذلك يعرّضها للدمار والانحطاط . ولهذا ترى ان الدول تحافظ على ملكها خارج بلادها محافظتها على نفسها ، وكل منها يعدّ المعدات ويبني الاساطيل صيانة لذلك الملك وحباً لحفظ هيبتها وسلطتها ومركزها بين الدول ، فضلاً عن تجارتها ومواصلاتها

اما مساحة وعدد سكان ممتلكات ومستعمرات تلك الدول فهي كما يلي :

	مساحتها بالاميال المربعة	عدد سكانها
انكلترا	١٣٫٠٠٠٫٠٠٠	٤٠٠ مليون
الولايات المتحدة	١١٩٫٠٠٠	١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠
اليابان	١١٤٫٠٠٠	٢٤٫٠٠٠٫٠٠٠
فرنسا	٥٫٧٠٠٫٠٠٠	٦٠ مليوناً
ايطاليا	٥٩١٫٠٠٠	٢٫٠٠٠٫٠٠٠

واذا اضفت الى ممتلكات انكلترا عدد سكان بلادها فيبلغ المجموع ٤٥٠ مليون نفس وهو يقارب ربع سكان العالم

ومساحة امبراطورية انكلترا هي اربع مرات اوسع من مساحة اراضي اميركا بما فيه مستعمراتها ويزيد عدد سكان الاولى عن الثانية ثلاث مرات

اما ممالك انكلترا فهي مشتتة الاطراف في المعمور ، فلها اوستراليا ونيوزيلندة وكندا ونيوفوندلاند وافريقيا الجنوبية ، ولها روديزيا الجنوبية والستر وارلندا ولهذه الثلاث ممالك حكم مستقل بنفسه . ولانكلترا ايضاً ٢٥ مستعمرة واملاك مشمولة بالانتدابات والحمايات عدا امبراطورية الهند الضخمة

وكانت تلك الممتلكات «اي الدومنيون» في الماضي محكومة بقوة الاساطيل الانكليزية والسيطرة المباشرة واما الآن فيحكم بعضها حسن الادارة والسياسة الرشيدة بل حكم غير مباشر قريب من الاستقلال الكامل

واذا نظرت الى غنى المستعمرات ، فتجد ان مستعمرات انكلترا هي اغنى واوسع ثروة وموارد من مثلها لفرنسا التي يبلغ عدد سكانها وسكان مستعمراتها ما يزيد عن مئة مليون نفس مما يجعل فرنسا معها اوسع الممالك الاوروبية ما خلا روسيا . اما فرنسا بذاتها اي مجردة عن املاكها فهي اقل سكاناً من المانيا ولكنها تعتمد في حشد جيوشها على مستعمراتها . وعندها من الجيوش في زمن السلم نحو ٦٥٤ الف عسكري ، ثلثهم مؤلف من جنود المستعمرات التي وُضع فيها قانون الخدمة العسكرية الاجبارية

ومدة الخدمة العسكرية في فرنسا لسنة واحدة بخلاف المستعمرات ، فهي لثلاث سنوات . وبعبارة ثانية ان الامم غير القوقاسية هي المستعمَرة او المستعبَدة تخدم العسكرية ثلاث مرات اكثر مما تخدمها الامم القوقاسية المسيطرة عليها

ومن مصلحة فرنسا المدافعة عن هذا المورد العسكري بقوة اساطيلها لهذا ترى ان فرنسا لا يمكنها احتمال تفوق سلاح ايطاليا البحري على سلاحها منه في البحر المتوسط . واذا نظرت الى تجارة فرنسا وانكلترا في ممتلكاتها فقط وجدت ارقامها تجمع ثلث مجموع التجارة الخاصة لكل واحدة من هاتين الدولتين في خارج تلك الممتلكات

— ٣ — مناطق النفوذ —

ثم ان هنالك بلاداً واسعة في المعمور مشمولة بنفوذ وحماية الدول ، وكل دولة من الدول الخماسية لها في تلك البلاد مناطق نفوذ هامة ، تستلزم الحاجة الى السلاح البحري لحمايتها

وهذه انكلترا لها مناطق في الشرق الادنى مشمولة بعنايتها ونفوذها وحمايتها كل الشمول او بعضه كمصر ، وبعض مناطق واقعة في البحر الاحمر ، وفي خليج عدن والخليج العجمي فضلاً عن ان لها اراضي مستأجرة في الصين لزمن طويل عدا الامتيازات ... ولليابان منطقة نفوذ في جنوبي منشوريا التي تورّدُ لليابان الفاصوليا ، وهذا النوع من الحبوب هو معظم قوت اليابانيين ، وبالطبع يهمهم الامر الى حدّ انهم لا يسمحون لاحد بان يمنع عنهم استيراده لبلادهم بقطعه مواصلاتهم عن منشوريا

وتأتي الولايات المتحدة الثالثة بين الدول العظمى في ميدان مناطق النفوذ التي اهمها موجودة في بحر خربين واميركا الوسطى حيث اظهرت اميركا هناك عدة مرات عنايتها في حماية تلك الاقطار من الاعتداء عليها واهم شيء لدى اميركا في البحر الخربيني هو ان لا ترى فيه يداً غريبة

غير يدها ـ ولاميركا ايضاً بقعة ارض اسمها ليبيريا في غربي افريقيا تتعهدها بين حين وآخر بزيارة طراداتها لها ثم تعطف من هنالك لزيارة حكومة موزوفيا في افريقيا ايضاً

ـ ٤ ـ ـ باناما . قناة السويس ـ

قلنا ان البحر الخريبني له اهمية بنظر اميركا لاجل حماية ترعة باناما الواقعة على شطوطه . وقد دخل في تلك الترعة سنة ١٩٢٩ من السفن الحاملة ما يزيد عن ثلاثين مليون طن من البضائع على اختلافها

فلو خرّب يوماً ما عدو تلك الترعة وهدّمها فان تجارة العالم لا سيما تجارة اقسام البلاد الاميركية الداخلية قد يصيبها من الشلل ويلحقها من المضرة شيء كثير

وهكذا حال انكلترا بقناة السويس التي قرّبت المسافة بين انكلترا وبمباي في الهند نحواً من ٤٥٠٠ ميل مما كان من شأنه زيادة العلاقات التجارية بين الشرق والغرب بعشرات الاضعاف

واذا فرضنا ان ترعة باناما تهدّمت فاميركا تستعيض عنها فتنقل حاجاتها وبضائعها على سككها الحديدية بخلاف فيما لو تخربت قناة السويس

ومع هذا فلو قدّرنا ان انكلترا اتمّت بناء خطها الحديدي الممتد من رأس الرجاء الصالح ووصلت لوبيتو بتنغانيكا باتفاقها مع بلجكا والبورتغال لمرور ذلك الخط باراضيهما هنالك ، فقد يمكنها عندئذ من اكمال المواصلات في انحاء افريقيا كما انه يمكنها ايضاً انماء المواصلات الجوّية بين الشرق الادنى والهند

ومع هذا كله واهمية هاتين الترعتين في المواصلات التجارية العالمية فقد طُلب عدة مرات وضعهما تحت كفالة وحماية عصبة الامم

— ٥ — الاحواض والقواعد البحرية —

وطرق مواصلات الممالك مبنية على حماية الاساطيل التي لا يمكنها السفر في البحار بدون تموين . واعظم مدرعة اميركية من ذوات مؤونة الزيت لمحركاتها تقطع ٤٥٠٠ ميل بدون تموين ، اما بعد ذلك فيلزمها التموين ولسلامة المواصلات يجب اقامة محطات للتموين على الطرقات البحرية ، وبالوقت نفسه يجب حمايتها ، حتى ان السفن الماخرة تقف عندها فتأخذ مؤونتها منها واذا لزمها اصلاح تصلحه ام زاد فتصحبه معها في سفراتها

ولما كانت الامبراطورية الانكليزية كما قدمنا متفرقة الاجزاء ، فهي من اصعب الممالك حمايةً ، وقد عرف ذلك الانكليز بحسن فطنتهم وتدابيرهم ، فاحتاطوا للامر باقامة الاحواض والقواعد البحرية على طريقهم الى الشرق الاقصى . واهمّ هذه ، جبل طارق ومالطة وقناة السويس . اما في الشرق الاقصى فاهمها قاعدة سنغابور ولكنها غير كاملة البنيان والعدّة(١)

وللانكليز عدة قواعد بحرية في البحر الخريبني ، ولكنها غير محصَّنة تحصيناً منيعاً يردّ عنها الغارة في حرب تقع مع الولايات المتحدة التي لها في هذا البحر كثير من القواعد التي يركن اليها ابّان الحروب للدفاع عنها ، واهم تلك القواعد قاعدة غوانتانامو في كوبا ، ولاميركا على ضفاف ترعة باناما حصون منيعة كما ان لها في الباسفيك عدة قواعد حصينة ، واشدّها مناعةً قاعدة مرفأ برل هربور في جزيرة هاواي ، وقاعدة ثانية في كافيتسه بجزائر فيليبين

وفي معاهدة واشنطون البحرية سنة ١٩٢٢ اتفقت اميركا وقتئذٍ مع الدول على ان لا تُنشئ التحصين في الباسفيك ولا تزيد فيه في المستقبل بل يُترك القديم على قدمه

---

(١) عادت بريطانيا فاتمت في هذه الايام تحصين سنغابور بعد ان خرقت اليابان معاهدة واشنطون المذكورة اعلاه

ولما أبرمت تلك المعاهدة لم يكن لدى اميركا تحصينات كافية جديرة بان تقوم على حماية جزائر الفيليبين . ولم يعد والحالة هذه بامكانها بعدئذ من بنائها . ولهذا اذا نشبت حرب في مستقبل الزمن فقد يهون على اليابان بمثل تلك الحال انتزاع تلك الجزائر من يد اميركا حتى لو كانت اساطيل اميركا متفوقة بأساً على اساطيل اليابان اذ لا يمكنها الذود عن الفيليبين بالنظر لعدم وجود القواعد البحرية المحصنة والمنيعة في تلك الجزائر . وما زالت معاهدة واشنطن بالوجود ومعمولاً بها فلا تستطيع اميركا بموجبها التحصين في تلك الاقطار

ولفرنسا في جزيرة المارتينيك قاعدة بحرية ، ولها عدة قواعد في دكر وفي غيرها من الشواطئ الافريقية الغربية على الباسفيك : ولها في الاندوشين قاعدة . كذلك في سيغون . وفي جزيرة مداغسكر وفي كاليدونيا الجديدة لها قواعد حصينة

— ٦ — — الثروات —

اما ثروات الدول الخماسية مع ممتلكاتها فلم تحصَ تمام الاحصاء ولكننا نأتي بها كما يلي بالتقريب :

الولايات المتحدة	ثلاث مئة وعشرون الف مليون دولار
الامبراطورية الانكليزية	مائتين وعشرون الف مليون دولار
فرنسا	ستين مليون الف دولار
اليابان	واحد وخمسين مليون الف دولار
ايطاليا	خمسة وعشرين مليون الف دولار

فاذا كانت هذه الارقام تُقدَّر تمام التقدير ثروات الدول المذكورة ، فقد يحق اذن لاميركا ان تبني اكثر الاساطيل البحرية . ثم تأتي ايطاليا في آخر الصف

وليس لثروات الدول ادنى دخل في حاجاتها الى السلاح البحري ،

وفوق هذا فان ثروة اميركا هي مجموعة الى بعضها بعض خلافاً لثروة انكلترا المتفرقة والمتشتتة

وعليه فلنبحث الآن فيما اذا كانت التجارة الخارجية تستدعي الدول للتسلح البحري

— ٧ — التجارة الخارجية —

التجارة الخارجية على نوعين تجارة داخلية وهي التي تسير سلعها في داخلية البلاد وتنقل على اليابسة من بلاد الى اخرى على السكك الحديدية وغيرها من وسائل النقل ، ولا دخل للتسليح البحري بشأنها كتجارة الولايات المتحدة مع كندا ، وتجارة فرنسا مع الدول الاوروبية

ما الثانية فهي التجارة البحرية التي تنقلها السفن على متونها في البحار وهذه مستهدفة لمهاجمة واعتداء الاساطيل ايام الحرب

واليك جدول بتجارة الدول البحرية الخارجية :

تجارة انكلترا وممتلكاتها مجموعتان	١٥ الف مليون دولار
تجارة انكلترا وحدها	١٠ الاف مليون دولار
تجارة اميركا	٩ الاف ومائتين مليون دلاور
تجارة فرنسا	٤ 〃 ومئة 〃 〃
تجارة اليابان	الف وتسعمئة مليون 〃
تجارة ايطاليا	〃 〃 〃 〃

وبديهي ان هذه الارقام لا تمثل تمام التمثيل قضية التسليح البحري النسبي دفاعاً عن التجارة الخارجية لكونها ناقصة من ارقام تجارة اميركا بين شواطئها البالغة ستة الاف مليون دولار وتجارتها مع كندا البالغة الف واربعمئة مليون دولار وهذه التجارة بالطبع هي في داخل البلاد وغير معرضة لاخطار الاعتداء عليها ايام الحرب بما يبلغ مجموعه نحو ٧٤٠٠ مليون دولار كذلك يقابله مبلغ تجارة اوستراليا سبعة الاف وخمسمئة مليون دولار

بين شواطئها، وهذا المبلغ لم نضفه الى مجموع تجارة الامبراطورية الانكليزية لكونه غير مستهدف لاخطار الحروب

ومن كل ذلك فقد يظهر بان تجارة انكلترا هي اوسع من تجارة اميركا وعليه فقد رأى فريق من الخبيرين في ضرورة تفوق انكلترا على اميركا في معدات التسليح البحري

وقد رأى الفريق الآخر انه وان كانت تجارة اميركا الخارجية واسعة فهي بحد ذاتها ليست بحيوية لحياة اميركا بمقدار ما هي من حياة الامة الانكليزية التجارة الخارجية — وقد وصفها الاميرال جاليكو الانكليزي وصفاً دقيقاً بقوله : — ان حياة انكلترا هي متوقفة على مواصلاتها البحرية لنقل الاقوات والمواد الاولية اليها بالنسبة الآتي بيانها :

فبريطانيا تستجلب كل الشاي من الخارج والقهوة والكوكو والسكر والارز و٥٠ بالمئة من اللحم الذي تستهلكه، كذلك ٦٥ بالمئة من الجبن والسمن و٧٠ بالمئة من الحبوب . وتستجلب من المواد الاولية لصناعتها، القطن والحرير والنحاس وتبره والقنّب والشعر والنيكل و٩٣ بالمئة من الصوف و٩٨ بالمئة من التوتيا، والتنك، و٩٤ بالمئة من الرصاص، و٣٣ بالمئة من الحديد و ٩٦ بالمئة من الزيوت للمحروقات ولمحركات ماكنات النقل والطيارات . هذه واردات انكلترا تأتيها بطرق البحار التي يجب ان تبقى مفتوحة بوجهها وبوجه صادرات نتاج معاملها ومعادنها من الفحم الحجري وغير ذلك من مستنتجاتها

ومثلها جزيرة اليابان، فحياتها متوقفة على ما تستورده بطرق البحار كالارز والقمح لاجل قوتها فضلاً عما تستجلبه من الخارج كالقطن والفحم والكاوتشوك والزيت .

وايطاليا تحتاج الاسواق الخارجية لمشترى المواد الخامية والغذائية وهي اشد حاجة الى الواردات الخارجية من مثله لانكلترا كون لهذه الدولة

مستعمرات وممتلكات تلجأ اليها عند مس الحاجة في حين ان ايطاليا خلو من ذلك .

وتجارة اميركا الخارجية هي بنسبة ١٠ في المئة الى تجارتها الداخلية . وصادراتها الخارجية بالنسبة الى منتوجاتها الحالية هي انقص اليوم ٣ في المئة عن مثلها بالنسبة لمنتوجاتها في عام ١٨٩٩

ولا تحتاج اميركا لشراء مأكولاتها من الخارج ما خلا السكر . فهي بالعكس عن بقية الدول فيمكنها ان تصدر الفائض عن حاجتها الخاصة من القمح والذرة والخنازير والارز والقطن والتبغ ، واذا كانت تحتاج نصف حاجتها الى السكر لاستيراده من كوبا ، فهذه البلاد قريبة من بلادها ومن السهل عليها حمايتها

وقد جاء في كتاب التجارة السنوي لسنة ١٩٢٩ ما مفاده : ان الولايات المتحدة هي غنية ومستقلة بذاتها الى درجة ان لا يلزمها معها ان تستورد من الحاجات الضرورية التي تستهلكها غير القسم القليل منها ، خلافاً لبقية الدول ، مع التسليم بان معيشتها هي على غاية من التأنق تستلزم مشترى حاجات يستدل منها على بسطة شاريها في العيش وسعة في الثروة وتطلب الكماليات في الترفه

ولهذا فان اميركا ستقاسي العذاب والعناء فيما اذا وقفت تجارتها الخارجية اذ ان بيوعاتها الى الخارج تعد الفارق بين ارباحها وخسائرها وبكلمة ثانية ان بيعها للخارج يشد التلمة فيما اذا كانت خسارة في بقية متاجراتها

زد على ذلك ، ان اميركا تتوكل على الاسواق الخارجية لاستيراد النحاس وتبر التوتيا والبلاتنيوم والانتينوم للصباغ والاسبتور « وهو الحرير الناري الذي يغزل ولا يحترق » والماغنسيا والكروم لتطرئة الجلود والحرير والمطاط . فاذا حدث ما قطع هذه الواردات عنها فقد ينزل

بصناعتها الدمار والخراب مما يجعل الوفا من العمال هم عاطلين من الاشغال ولذلك فقد اعلن البرلمان الاميركي عزمه على حفظ اسطول كاف لرد الحصار البحري عن اميركا ايام الحروب

وفوق ذلك فان لاميركا خمسة عشر الف مليون دولار مستثمرة في الخارج واربعمئة الف اميركي ساكنون في البلاد الاجنبية . وتلك الاموال المستثمرة واولئك الرجال من ارباب الاشغال والاعمال في الخارج يكونون مملكة في خارج اميركا غير منظورة التي يعتقد كثير من الاميركان بضرورة ابقاء اسطول منيع لحمايتها . ولاميركا ما عدا انكلترا اموال كثيرة مستثمرة في خارج بلادها تفوق اموال اية دولة من الدول

— ٨ — السفن التجارية —

والتجارة البحرية تحمل بالطبع سلعها على متون السفن واذا شبت الحرب تستهدف تلك السفن للمصادرة والاعتداء واليك جدول بحمولة سفن الدول الخماسية :

الامبراطورية الانكليزية	٢٠٫١٦٦٣٢١ طناً
الولايات المتحدة	١٤٫٣٧٧١١٤ »
اليابان	٤٫١٨٦٢٥٢ »
فرنسا	٣٣٫٧٨٦٦٣ »
ايطاليا	٣٢٫٨٤٦٦٠ »

هذا وقد زادت حمولة سفن اميركا سبع مرات عن مثلها في عام ١٩١٤ ومع ذلك فلا تزال اقل من حمولة سفن انكلترا . ويرتأون انه كلما كثرت السفن التجارية كلما كثرت خطوطها وباتت معرضة للاعتداء عليها ابان الحرب ، اذن وجب بناء عدد مناسب من البوارج الحربية دفاعاً عنها

وفي مؤتمر جنيف لسنة ١٩٢٧ اعلن احد مندوبي انكلترا انه لا يمضي عام من ذلك الوقت حتى يصبح لدى انكلترا من السفن التجارية التي تزيد

حمولتها عن ٣ الاف طن ما محموله يكون تسعة ملايين وخمس مئة الف طن ، وستمخر تلك السفن في طريق مواصلات التي سيكون عدد اميال خطوطها ٨٠ الف ميل

وحتى الآن ترى ، ان كثيراً من الاميركان يأبون التسليم لانكلترا بحاجتها الى التفوق في سلاحها البحري على مثله لاميركا بسبب ضخامة عدد سفن انكلترا التجارية . وحجة اولئك الاولى ان ثلث تجارة اميركا الخارجية الآن تحمل على سفن اميركية ، وانه لدى نشوب الحرب وحتى لو كانت اميركا متحايدة عنها ، فان تجارة اميركا الخارجية تعرّض للاذى اكثر مما تتعرّض له تجارة انكلترا الخارجية المحمولة كلها على سفن انكليزية

اما الحجة الثانية ، ان بين السفن التجارية الانكليزية ما حمولته ٨٨٨ الف طن وكلها سريعة في جريها في حين ان لاميركا منها ما حمولته ١٨٨ الف طن فقط ، فاذا وقعت الحرب سلّحت انكلترا تلك السفن بمدافع من عيار ست بوصات او ١٥ سنتيمتراً وباتت تجارة اميركا بمثل تلك الحال وليس عند اميركا من القواعد البحرية شيئاً يذكر مستهدفة للخطر الكبير لهذا رأت اميركا تلافياً لذلك النقص عندها ان تطلب التفوق لنفسها في عدد الطرادات من ذوات حمولة العشرة الاف طن على مثلها من طرادات انكلترا .

ومع ذلك فان الخبراء الانكليز قد اسقطوا مزايا سفنهم التجارية وعدوها كلا شيء بدعوى ان كل باخرة تجارية تكون سرعتها اقل من ٣٠ عقدة هي غير نافعة لتحويلها ابّان الحرب لطراد حربي حتى ان الباخرتين موروتانيا والماجستك اللتين سرعتها ٢٦ عقدة لا تغنيان عن شيء من هذا القبيل .

— خطوط الشواطئ —

بقيت خطوط شواطئ البلاد ذاتها والخطوط الممتدة ما بين البلاد

الرئيسية وتوابعها من مستعمرات وممتلكات وغيرها ، تلك الشواطئ كلها كما لا يخفى يلزمها الدفاع عنها في زمن الحروب . واليك جدول يبيّن طول خطوط الشواطئ الرئيسية لكل دولة من الدول الخماسية وطول الخطوط من تلك الشواطئ الى هدفها

	طول الشواطئ بالميل البحري	طول خطوط المواصلات
بريطانيا العظمى	٦٥٥٠٠	٦٧٠٠٠
فرنسا	١٥٥٠٠	٣٤٠٠٠
الولايات المتحدة بما فيه الاسكا	٢٥٥٠٠	١٧٠٠٠
اليابان	٩٦٠٠	٥٠٠٠
ايطاليا	٣٨٠٠	٥٣٠٠

وعلى تقدير الخبيرين الفرنساويين وبناء على اعتبار تعديل السكان والتجارة الخارجية والسفن التجارية وطول الشواطئ وغير ذلك لكل دولة من الدول الخماسية فان حصة كل دولة منها من الاساطيل تكون بالنسبة الى تلك العوامل هكذا :

لانكلترا ١٠ والولايات المتحدة ٤ وجزئين وفرنسا ٣ واليابان ١ وستة اجزاء وايطاليا ١

وهذه هي الدواعي النسبية لتقدير حاجة كل دولة من الدول الخماسية الى السلاح البحري

فالامبراطورية الانكليزية هي اوسع منطقة واكثر سكانا وتجارة خارجية وسفنا تجارية من اميركا . اما انكلترا وايطاليا واليابان فهي اكثر توكلا على التجارة البحرية الخارجية من اميركا التي باتت اغنى من اية امة في المعمور ، وان عرقلة تجارتها الخارجية ابان الحروب يؤذيها الى حد انه يهدم صناعتها ويضنك شعبها

وبالنظر الى غنى اميركا وضخامة ثروتها فقد عزمت هذه الدولة على

حماية مصالحها في الخارج ببناء اسطول منيع يضاهي امنع اسطول لاية دولة من الدول ، وبعبارة ثانية تريد اميركا المساواة بانكلترا حفظاً لسلامتها وانكلترا سلمت بمطلب اميركا هذا بشرط ان تحتفظ لنفسها باسطول كاف يقي مصالحها من اعتداء فرنسا وايطاليا واليابان عليها

واذا نظرنا نظرة فنية حربية فالمساواة في عدد الاساطيل البحرية لا تغني شيئاً لحماية التجارة الخارجية والمستعمرات الاميركية ، هذا مع قطع النظر عن المعاهدات المبرمة بهذا الخصوص . فلو فرضنا ان انكلترا واليابان اتفقتا وحاربتا معاً اميركا فماذا تعمل هذه الدولة لوقاية بلادها من الهجوم عليها ؟

فالشيء الذي تفكر فيه اميركا هو بناء اسطول ضخم يرد عنها هجوم اسطول الدولتين المتحدتين عليها . وهذا امر شاق تحبط دونه عزائم اكبر الغاوين في التسليح البحري ويدعو الى التأمل والتفكر في نتائجه : بيد انه اذا لم تكن المساواة تلك كافية بمرغوب اميركا لحماية مصالحها فما الذي تصنعه ...؟

ان المطلعين على الاحوال والعارفين بالامور يقولون لك : ان اساس حماية المصالح قائم على انماء وتأييد القوانين العالمية ــ الدولية مما يكفل معه حرية البحار بما يختص بحماية ملك الافراد سواء أكانوا من المحاربين او المتحايدين .

وقد اشارت الولايات المتحدة مرتين الى هذا الامر . وقد اضاف مجلس الشيوخ الاميركي في سنة ١٩٢٩ الى لائحة الطرادات تعديلا من شأنه عقد مؤتمر بحري يُنظر فيه الى مبدأ مناعة ملك الفرد وعصمته ضد الاعتداء عليه في البحور ايام الحروب . ثم يوم عيد الشكر اعلن الرئيس هوفر فكرته باطلاق حرية المواد الغذائية في زمن الحرب ومنع الاعتداء عليها ومصادرتها واتلافها .

اما الدول فقد نظرت الى تلك الفكرة نظرة الاشمئزاز وعدتها داخلة

عليها من غير بابها . ورأي الاميركان بهـا مبنيّ على ان الحروب جائزة قانونياً عنـد الحاجة اليها : اما الدول فكان رأيها انه يجب ان يُنَظم العالم تنظيماً ملائماً لمنع الحروب ، وان من خالف ذلك التنظيم وخرق معاهداته يعد معتدياً وتقوم عندئذ اساطيل الدول الداخلة بعصبة الامم لتأديبه ورده الى الصواب ، مما في ذلـك من التهجم على حقوق المتحايدين وتصبح والحالة هذه اعمال اساطيل الدول مقتصرة على رقابة المعتدي وتاديبه مما يدعو الى تخفيض عدد تلك الاساطيل الى ادنى ما يمكن تخفيضه . الا ان تلك النظرية لم يُعمل بها لاسباب : منها عدم الوقوف على تمام الحقيقة في موقف اميركا حيالها ... واذا تساءلنا هل يمكن للولايات المتحدة ان تستعمل اسطولها لخرق حصار بحري تقيمه دول عصبة الامم على المعتدي ؟! وهل انهـا تُقدم على استشارة الدول لايقاف اشهار الحروب ؟ وهذان السؤالان ربما وجهتهما اليهـا الدول في المؤتمر البحري قبل اقفاله لتأدية الجواب عليهما .

تعليق على ما تقدم في المقال السابق :

عرف القارئ تمام المعرفة من المقال السابق المفصل تفصيلاً وافياً ان حاجة الدول الى السلاح البحري تقاس على قدر الاسباب الرئيسية والداعية لزوماً لدفع الاعتداء عليها وحماية مصالحها المنتشرة في المعمور وصيانة كيانها

وقد استنتج القـارئ واتضح لديه ايضاً ان الدولة التي تتسلح بذلك السلاح اكثر مما يلزم لحاجتها منه كبناء الاساطيل والطيارات وما اشبه بحجة الدفاع عن حوزتها قد تبعث الريب بعملها هذا في نفوس بقية الدول المترصدة بعضها بعضاً فتعدّ ذلك العمل المريب خطراً على سلامتهـا وتنشط حينئذ كي تزيد في تسليحها دفعاً لذلك الخطر عنها مما يؤدي بها بالطبع في آخر الامر الى التنافس في التسليح الى ما لا نهاية له مما تكون تكاليفه عبئاً ثقيلاً ترزح تحته تلك الدول ويضايقها الى حد انه يقود بها الى حالة

من الضنك الشديد بل اليأس لا يمكن احتمالها بحيث انها تجد غالباً معها المغامرة في نشوب الحرب وخوضها فرجاً لها

لماذا تعقد المؤتمرات ؟

لذلك تعقد الدول المؤتمرات لاجل ان تضع حداً الى تلك المنافسات المرهقة في التسليح رحمةً بالشعوب واجتناباً للحروب. وذلك بان تحدد الدول وتقرر بطرق الاقناع والمنطق الحاجة الكافية من التسليح لكل واحدة منها مجتمعة في المؤتمر، متخذةً كقاعدة اساسية قياس قدر التسليح على قدر حاجة مصالح الدولة منه ثم تعقد بين الدول الاتفاقات الرسمية على ما تقرر بالاجماع في تلك المؤتمرات.

وقد تفشل غالب المؤتمرات الدولية بمختلف مراميها واهدافها ... ودليلنا مؤتمر جنيف لتوحيد الجمارك الاوروبية سنة ١٩٣٠ ومن بعده مؤتمر الهاغ للتحكيم في المنازعات الدولية وغيرها من المؤتمرات التي شاهدناها وذلك لتناقض مصالح الدول المختلفة الالوان. واهمها المطامع في الفتح والتوسع: ام لاسترداد ممتلكات قد خسرتها الدول في الحروب او غير ذلك مما من شأنه الاول طلب الارتزاق والبسطة في العيش. والترقي في العمران والتأمين على اسبابه وبالجملة حفظ الكيان.

وقد تخرج تلك المطامع الى حيز العمل متى وجدت الدول الى ذلك سبيلاً في تقلبات حوادث الدهر وتغير اطوار الامم اذ لا بد في تعاقب ذلك من ان تضعف دولة وتقصر في الدفاع عن نفسها، وتقوى الثانية بنماء سكانها وثروتها وقوة سلاحها وجيوشها، حتى اذا وثقت بتفوقها في كل ذلك على غيرها وسنحت لها الفرصة اغتنمتها ناقضة بحيلة عهودها المقطوعة لتبطش في الدولة المستضعفة وتأكلها لقمة سائغة وتبتلعها كما يبتلع السمك الكبير السمك الصغير. او كما يفترس الذئب الغنم تبعاً لسُنَّة الله

في خلقه وجرياً مع حكم تنازع البقاء

تمزيق المعاهدات

وفي مثل تلك الحال تمزّق المعاهدات الدولية الرسمية وتنكث العهود وتنقلب المودّات الى عداوات

وفي ايامنا نرى انه قد أبرمت عدة معاهدات بعد الحرب العالمية منها معاهدة الصلح في فرسايل سنة ١٩١٨ ثم معاهدة واشنطون سنة ١٩٢٢ لاجل تحديد السلاح البحري في بحر الباسفيك بين انكلترا واميركا واليابان وفرنسا وايطاليا

وفي سنة ١٩٣٠ عقدت معاهدة لندن على اثر انعقاد مؤتمر السلاح البحري بالدول الخمس في لندن . وبعد ان تناقضت فيه مصالح تلك الدول فقد سوّيَ بينها الخلاف على تحديد السلاح البحري بمقياس الحاجة منه على قدر المصلحة كما تقدم ... ولم تشترك اذ ذاك المانيا وروسيا في المؤتمر المذكور ولا في المعاهدة . ومما قاله وقتئذ هربو رئيس وزارة فرنسا السابق عن المؤتمر المذكور دلّ على عبقرية في التكهن : فقد قال : وما الفائدة من اتفاق الدول الخماسية في مؤتمر لندن دون المانيا وروسيا .؟

على انه قد عادت هاتان الدولتان سنة ١٩٣٦ وابرمتا اتفاقاً كلٌ منهما على حدة مع انكلترا وبقية الدول على تحديد السلاح البحري خلا اليابان التي اعتذرت وقتئذ عن عدم تمكنها من الدخول في تينك المعاهدتين

وبالجملة فان مطامع الدول وتغير احوال الزمن وتطوراته بما يوافق مصالحها او بالعكس قد يقودها متى سنحت الفرص في كل زمن من الازمان الى نكث العهود وتحطيم قيود المعاهدات المقيدة بها اطلاقاً ليدها في عمل الشيء الذي يوافق مصلحتها ويهون حيالها غير مبالية بشرف العهود ولا مراعية الذمة ، مرضيةً وجدانها الحيّ على حد ما قيل : « ان الغاية تبرّر الواسطة » . — يشهد على ذلك ما رأيتَ في ايامنا ان المانيا مزّقت

معاهدة فرسايل تدريجاً وهكذا ايطاليا نكثت عهودها لجمعية الامم باكتساح الحبشة . ثم مزقت اليابان معاهدة واشنطون المعقودة سنة ١٩٢٢ بان أخذت تبني اليوم السفن البحرية التي تزيد حمولتها عن القدر منها المحدّد لها في المعاهدة المشار اليها فضلاً عن انها حصّنت عدّة موانىء في المياه الصينية لا تسوّغ تحصينها نصوص المعاهدة المذكورة مما حمل معه بقية الدول المتعاقدة على اطلاق الحرية لنفسها بتحطيم قيود تلك المعاهدة

ومن ثم اخذت الدول تتسابق بنشاط وانكماش في التسلح البحري والتنافس فيه الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً ..

صيانة الكيان غريزة في الانسان

وقد يدلنا كل ذلك على ان اهمية الاهتمام بمصلحة صيانة الكيان عند الفرد والمجموع هي بالمقام الاول وفوق كل شيء وتستسهل كل المصاعب وتفدّى الارواح في سبيل المحافظة عليه ، وذلك غريزة في الانسان منذ بدء الخلق مطبوعة في نفسه لا تفارقه ، وتلازمه ملازمة ظله ، تراها في حركاته وسكناته حتى انك تراها في ذلك الطفل الصغير ابن سنة الذي يطلّ برأسه من مكان عالٍ سحيق الى الارض حيث يرى الالعاب وما يدهشه فيها ومع رغبته في الحصول عليها فلا يجرأ ان يهوي بنفسه من ذلك المكان الى الارض للوصول اليها لان غريزة حفظ الكيان تمنعه عن ذلك دون ان يدري واذا كان ذلك حال الطفل في حفظ كيانه وهو لا يميز بين الموت والحياة فما الظنّ بحال الرجل العاقل المجرب ذي الذهن الثاقب بل الشعوب الحيّة الذين يرغبون في حفظ كيانهم والعيش في ظل حياة حرة رغدة وهي بعيدة منهم او ممنوعة عنهم ، بحواجز محصنة ، فانهم يسلكون طريقها البعيد ويهدّمون تلك الحواجز مهما كلفهم الامر توصلاً الى ذلك الغرض المغروز في طبائعهم والعزيز الكريم عليهم ...

لهذا ترى الفرد والشعوب يسعون ويحتالون بانواع الحيلة للتوصل الى

حفظ كيانهم مستصغرين الكبائر ومستسهلين المصاعب ، مسترخصين كل غال ومفادين بالارواح في سبيل ذلك

••••

اذن لا تعجب مما تراه في تقلبات حادثات الدهر واحتيال الدول والامم معها بانواع الحيل ومختلف التدابير للمحافظة على كيانها وتوفر عمرانها . فقد جرى مثلما ترى اليوم منذ فجر التاريخ الى هذا الزمن الحاضر وسيجري مثله في مستقبل الزمن

وبالاختصار فقد يغلب الطبع الغريزي التطبع في استعمال اساليب المحافظة على الكيان .. وان النتيجة هي هي في كل زمان ومكان وان ما قد كان هو كائن وسيكون

نبذة من تاريخ الهند

وكيف امتلكها الانكليز

منذ زمن متوغل في القدم كانت قبائل الارياس تسكن في جبال البامير على اطراف بلاد الهند الشرقية فنزحت عنها اذ ذاك وتوجهت نحو الغرب وسكن فريق منها ارض ايران وسموهم الايرانيين ، والفريق الاخر نزل في وادي نهر الهندوس حيث تغلبوا على قبائل الديسوس

ومذ ذاك الزمن ابتدأ اول قسم من تاريخ الهند المعروف بتاريخ الفيديك المنتسبة اخباره الى اناشيد الشاعر المشهور ريغ فيدا . ومن بعده خلفه عصر البراهمة الذين ما لبثوا زمناً حتى انقشع ظلّهم لتعصبهم الشديد في احكامهم وتمسكهم في تقاليدهم وخلفهم البوذيّون وذلك في القرن الرابع ق. م.

على ان داريوس ملك ايران اقتطع يومئذ من الهند مملكة ما بين نهر الباروباميس ونهر الهندوس واقام فيها حكومة مطلقة مستبدة ...

ثم جاء اليونان على عهد الاسكندر وامتلكوا الهند . وبعد موت الاسكندر خلفه في الملك سلوكس ملك سوريا الذي اعترف الى سندراكوتوس (او تشاندرا جوبيا) بتملكه على الهند

وفي اول القرن الاخير قبل المسيح غزا الهند قبائل متباينة المشارب مختلفة العناصر قدمت اليها من جهة شمال اسيا واستولت عليها وتقسمت الهند حينئذ الى ممالك متعددة ثم اكتسحتها قبائل الهون في القرن الرابع ب. م.

ثم في القرن السابع بعد المسيح استولى عليها العرب وجاء بعدهم الافغان في نحو القرن الثاني عشر ب. م. ثم خلفهم المغول تحت قيادة تيمورلنك في القرن الرابع عشر ب. م. وقويت شوكة الموغول ودام ملكهم في الهند مدة ثلاثة قرون . وفي اثناء القرن الخامس عشر استولى البرتغاليون على قسم من الهند ثم تبعهم الهولانديون والفرنساويون والانكليز

على ان الانكليز بالرغم من مقاومة ديبلاكس دي لابوردونه ودي لالي تولندال القائدين الفرنساويين تمكنوا في آخر الامر من الاستيلاء على معظم مملكة الهند واجلوا الفرنساويين عنها واضطروا في سنة ١٨٥٧ ان يخمدوا بعد جهد عنيف ثورة قبائل السيبس الهندية

وفي سنة ١٨٨٦ ضمت مقاطعة برمانيا الى مملكة الهند

ثم منذ سنة ١٩١٥ - ١٩١٨ حاربت جيوش امبراطورية الهند في الحرب العالمية بجانب الجيوش الانكليزية في جبهات عديدة منها جبهة الدردنيل واسيا الصغرى وما بين النهرين اي بغداد وفي الجبهة الغربية من اوروبا

ومن بعد تلك الحرب أخذت تطالب الهند في نيل الاستقلال الذاتي بهمة لا تعرف الملل ...

كيف امتلك الانكليز بلاد الهند وما هنالك ؟
كلمة عن بعض حكامها .. اللورد اروِن وما تيه

تعين اللورد ارون حاكماً للهند ونائب ملكها في سنة ١٩٢٦ ، وهو لا يزال في تلك الوظيفة السامية . ومنهاج سياسته في تلك البلاد ان تنال على يده استقلالها وتفوز بهدفها ، هذا الذي طالما تاقت اليه نفوس اهليها واختلفت من اجله الاحزاب الانكليزية وانقسمت بالحاضر الى شطرين قسم محبذ الاستقلال والآخر نابذه

واذا كان ذلك ممكن الوقوع فبواحد من امرين . هذا اذا قدرنا ان كل امرين مجتمعان يفترقان في غالب الاحيان

اما الاول فيكون بسقوط حكومة المستر ماكدونلد وتأليف سواها مع استبدال نائب ملك آخر بدلاً من اللورد ارون الحاكم الحالي . واذا تم هذا فلا يغيّر شيئاً من تصريح ارون الاخير الذي وعد به الهند ان يمنحها استقلالها الاداري على شكل حكم المتلكات الانكليزية المستقلة

اما الثاني فانه اذا لم تُمنح الهند الاستقلال المنشود فانها تبقى الى ما شاء الله من الزمن مجدّة وراءه بسلوكها جميع الطرق المؤدية الى خروجها عن ربقة السيطرة الانكليزية التي اثقلت كواهلها الى حد لا يطاق

وليس من غرضنا التكهن عن مقادير مستقبل الزمن وما تخبئه الايام في زواياها .. فكل ما يهمنا معرفته هو ان حاكم الهند بمنزلته اشبه برأس آلة منفّذة قد استمرت سحابة قرن ونصف عاملة على تنفيذ الاحكام في الهند بما اسفر عن نجاح باهر . وان ارون حاكم الهند الحالي ينظر الى حكومة تلك البلاد ومكانتها بالنسبة الى فخامة الهند وترامي اطرافها وكثرة سكانها بمختلف مشاربهم ومصالحهم كنقطة ماء في حوض كبير او كحبة قمح في بيدر من القمح . وانه يسعى جهده باداء الواجب لعمران الهند وازدهارها وتحسين احكامها بما يرضي سكانها مع ابقاءها في حظيرة المملكة

الانكليزية وامبراطوريتها الضخمة . وانه على تلك المساعي والاعمال يتوقف بناء الاساس الذي تبنى عليه مختلف المواصلات والعلاقات في مستقبل الزمن فيراها الاولاد والاحفاد ويشدون ربطاً حبال الاخاء بين التمدن الغربي والشرقي

تلك آمال اللورد ارون حاكم الهند الحالي . بيد انه لا يشاركه فيها اي كان من جماعة الانكليز . فهي آمال واسعة بعيدة المرمى كامنة في صدر رحب ممتلىء بالاعتماد على النفس مما يدعو الى الاعتقاد بانها مزايا سامية متصف بها هذا الرجل الطويل القامة ، النحيل الجسم ، الهادئ ، ذو الوجه الطويل الشاحب اللون ، المنقبض النفس الذي اختارته حاكماً على الهند الحكومة الامبراطورية وعلى رأسها يومئذ اللورد روشر روثمور والارل بركنهد عن رضى وطيبة خاطر .

وبركنهد معروف بسرعة تأثره وعلو خياله وميله للتعاليم الاشتراكية

وما صرّح ارون بفكرته تلك حتى قام ونستون تشرشل المتمسك بالقديم ، يشدد النكير عليه ويلومه اشد اللوم على تلك الاهداف الخيالية التي اعلنها في الهند ، فزعزت حكومة ماكدونلد من اساسها وشطرت المحافظين الى قسمين ، فضلاً عن انها هزّت اعصاب سياسة الهند من اقصاها الى اقصاها وربما استحالت في الزمن المقبل الى زلزال شديد يقلب تلك البلاد رأساً على عقب

ومن تصفحنا التاريخ واطلاعنا على الحوادث الجارية اليوم في الهند ، يمكننا ان نعرف شيئاً محسوساً عن فكرة ارون حاكم الهند المذكور وعن حالة حكام الهند السابقين وواجباتهم والقضايا التي يواجهونها ويعالجونها

كيف امتلك الانكليز الهند

وقبل سنة ١٧٧٣ اقامت الشركة الانكليزية الشرقية التجارية وكالة لها في الهند وكانت قد ارسلت مندوبيها اليها في ١٦٩٨ بموجب قرار من الحكومة الانكليزية لذلك العهد . وكانت تلك الشركة تعين يومئذٍ الحاكم العام

عليها في تلك الاقطار . ولما امتدت تجارة تلك الشركة واتسع نطاقها وتفرقت شُعَبها في اطراف تلك البلاد تعذر على الشركة المذكورة القيام بحماية وكالاتها هنالك فلجأت الى الحكومة الانكليزية التي عيّنت من قبلها مجلساً مخوّلاً بالسلطة لعزل حاكم الهند العام مع الاحتفاظ بالحق للشركة بتعيينه .

وبقي ذلك الحكم المشترك في الهند زهاء ثمانين سنة وحاكم الهند يتلقى لسوء حظه الاوامر من سلطتين وهما الشركة والحكومة . ويضطر الى مداراة الاثنين اللذين كانا في مصالحهما على قاب قوسين الى ان شبت الثورة بسبب تمرد خمسين جندياً سنة ١٨٥٧ . فاخمدتها الحكومة الانكليزية واستولت بنفسها يومئذٍ على الاحكام في الهند وعينت حاكماً عليها من قبلها ، ولقّبته بالحاكم ونائب الملك في الهند . والفرق بين الاثنين ان الحاكم هو حاكم الهند العام وان نائب الملك يمثل جلالة ملك بريطانيا العظمى . والوظيفتان يشغلهما شخص واحد ..

وينتخبون نواب الملك في الهند من افضل رجال الانكليز ممن يشار اليهم بالبنان في السياسة والمقدرة الادارية ، ومن رجال الحرب المشهورين والوزراء الاقدمين ، والاغنياء العظام . وقد اهتموا بالغنى في هذه الايام اذ ان مرتّب نائب الملك الذي بات الآن يبلغ نحو ١٧٥ الف دولار سنوياً او اكثر لا يكاد يكفي لاقامة الحفلات الرسمية والدعوات الخصوصية التي يضطر رئيس امبراطورية الهند ان يقيمها مهما كان مقتراً في النفقة ومتجنباً عنها . فللضرورة احكام !

ولا بدّ من ذكر شيء من هذا القبيل عن السنين الماضية القديمة . فقد بدأ حاكم الهند العام يأخذ بذلك الوقت نحواً من ١٢٥ الف دولار مرتباً سنوياً مضافاً اليه مخصصات استثنائية وما يمكن الحاكم تحصيله في وظيفته من حواشي الاموال كبعض الرسوم والضرائب المخصصة لتلك الوظيفة . حتى اذا كان من اهل هذا المضمار خاضه فجمع من الاموال شيئاً كثيراً

ويقال ان قد جمع منها احد حكام الهند مبلغاً لا يقل سنوياً عن ٢٠٠ الف دولار زمن حكمه في تلك البلاد . ولما سئل عن الثروة التي جمعها اجاب ان قناعته منعته عن جمع اكثر منها . وقد كان مرتب ٥٠ الف دولار كافياً لاي حاكم كان في تلك الايام ولم يكن الحكام ينظرون الى مبلغ المرتّب بل كانوا يزدرون به ويأعلى منه فانه لم يكن ليقوم بنفقات حفلة من الحفلات الرسمية التي كان يقيمها بعض اولئك الحكام جريا على تقاليد منزلة الحكومة وابّهتها . ومع ذلك فقد جمع بعضهم ابّان الوظيفة مبالغ تتراوح بين مليون الى ١٠ ملايين دولار ، وعادوا بها الى انكلترا بعد تركهم الوظيفة فاشتروا الاملاك والعقار وصاروا من اصحاب الثروة وتمتعوا بخيرات العيش وبحابحه

* * * *

وغنيّ عن البيان ان مرتبة حاكم الهند في الحكومة الانكليزية هي من سمى المراتب جاهاً وشأناً ولكنها كانت ولن تزل ليست بالسهلة . فعلى عاتق الحاكم وحده من مختلف المشاغل والمهام الصعبة ما تنسّي مشقة القيام باعبائها في تلك البلاد الممتدة الاطراف حلاوة مجدها وعظمتها حتى انها تقضي بذلك الحاكم ان يذوق الامرّين وربما كان منهما الموت الزؤام في بعض الاحيان

وقد حكى مرة اللورد ليتون الذي عيّنه اللورد دزرائيلي منذ ٥٠ سنة حاكماً على الهند انه استنفد جهده في تدبير امور الهند ومع هذا فقد انكروا عليه ذلك وانتقدوه . قال «وقد كنت سفيراً من قبل لدولتي في باريس اوما كنت اعمل شيئاً بالنسبة الى ما عملته في الهند وقد كانوا يومئذ يمدحون عمالي في باريس ويقدمون لي بخور الاطراء والثناء العاطر حتى كادوا يرفعونني الى السماء»

* * * *

ومن حكام الهند اللورد كرزون وهو من اشراف الانكليز المبرزين

وقد شغل في الهند وظيفة الحاكم مرتين في ابتداء هذا القرن . وقد كان مفتوناً ومغرماً بتكلف البهرج والكبر وكان له في الوزارة الخارجية الانكليزية ابان كان وزيرها خادم خاص وكان اذا امره ليصلي النار في مكتبه يقول له « يا واقف اشعل النار » فلا يناديه باسمه احتقاراً . ولا بد من ان هذا اللورد قد تمتع بابهة وفخفخة الملك الى اقصى مراميها . ولكنه ذكر عن نفسه انه اضطر يوماً ان يلزم مكتبه من الساعة العاشرة صباحاً الى الساعة الثانية ليلاً دون انقطاع ولم يبرحه الا عند تغديته ام لامر استدعته اليه الوظيفة قال : « وعلى كرسي الملك المزخرفة والمفروشة بالاطالس الناعمة اشواك تدمي الجالس عليها فتبكيه وتفرط عبراته فدىً عن خدمة الواجب والانسانية »

على ان كليف حاكم الهند وهو اول من ابتدأ بافتتاح تلك البلاد قد اضطهدته حكومته وقفل الى بلاده راجعاً يائساً وقضى نحبه منتحراً . اما وارن هستن فكان من اعظم حكام الهند مقاماً فقد دوّخ الاقطار الهندية الشمالية والوسطى وادخلها بطاعة الانكليز واسّس مملكة الهند وعاد الى بلاده منحلّ القوى مضنكاً مريضاً بعد ان قضى ثلاثة عشر عاماً هنالك مكافحاً محارباً في سبيل خدمة وطنه الذي لم يكد يصله حتى اتهمه خصومه السياسيون بالخيانة واقاموا عليه الدعوى وحاكموه

ومن حكام الهند اللورد دلهوزي الذي كان ضعيف البنية معتل الصحة ومع هذا فقد كافح في خدمة بلاده بادارة احكام الهند زهاء سبع سنوات وفجع باثنائها بموت امرأته المحبوبة والعزيزة عليه . ومن اعماله انه اخضع اربع ولايات هندية اضافها الى مملكة الهند وزاد في دخل حكومة بلاده نحو ١٠ ملايين دولار استوفاها من ربع ايجار الشركة الهندية الشرقية . ووطّد اركان هيبة السلطة هنالك التي كان شرع بتأسيسها سلفه الحاكم هستن . ومع كل تلك الاعمال المجيدة رجع الى بلاده منحط القوى خائر العزم

فقيراً ومات بسن الخامسة والاربعين

وخلف اللورد دلهوزي غيره من الحكام على الهند وكان نصيبهم في حكم تلك البلاد الممتدة الاطراف الواسعة الاكناف نظير غيرهم ممن سبقهم في احكام تلك البلاد

نشرت في ٣ ـ ٢ ـ ٣٠

الضائقة المالية في اميركا سنة ١٩٣٠ ـ ١٩٣١ (١)

وطلائع انتعاش حال الاسواق ...

كل يعلم باشتداد ازمة الضائقة في هذه البلاد وفي غيرها وقد تبين انها وصلت في اوروبا الى حيث يخشى معه من البوار وخنق كلما قيل عنه تجارة ام صناعة . وبدت طلائع الخراب تبدو في المانيا المثقلة بديون الحرب فوق طاقتها وقد شكت تلك الدولة للدول عجزها . فزار انكلترا في هذا الشهر اي حزيران ١٩٣١ كرتيوس وزير خارجيتها وبرون رئيس الراشستغ واظهرا لمكدونالد عجز المانيا عن دفع الاستحقاقات المقبلة من

---

(١) نشر هذا المقال المتسلسل في جريدة النسر النيويوركية سنة ١٩٣١ ايام اشتداد الضائقة المالية في اميركا والعالم وذكرت به بعض اسباب تلك الضائقة الشديدة الوطأة على اميركا والعالم اجمع منوّهاً ببعض الوسائل التي اتخذتها حينئذ حكومة اميركا لاجل تخفيف وطأة تلك الضائقة ومعالجتها بقدر الامكان . فخففت تلك الوسائل شيئاً من ثقل تلك الضائقة وبقيت اشياء مستعصية ومزمنة لا علاج لها الا بتغيّر حوادث الزمن ونسف الاوضاع الاقتصادية الحاضرة من أُسُسها ... كما سيأتي شرحه في التعليق المدرج في آخر هذا المقال ...

الديون التي عليها واخبراه انه اذا احرجت الدول المانيا فهي غير قادرة على دفع استحقاقاتها وانه قد يثور شعبها ويقضي على صناعتها وتجارتها، وعرفت انكلترا بالامر فاشعرت اميركا وجرت مخابرات بين بقية الدول الدائنة لالمانيا فاظهرت تلك الدول قبولها بالمساهلة على شرط ان اميركا التي هي دائنة بقية الدول تمهلها في دفع ديونها لها، اما قيمة الاستحقاقات التي على المانيا لتلك الدول في السنة القادمة فيبلغ ٤٢٥ مليون ريال تدفع اقساطاً واولها يستحق في ١٥ كانون الاول المقبل اما ديون اميركا الحربية على الدول فى السنة المذكورة فيبلغ ٢٤٥ مليون ريال

واحسّت اميركا بحراجة الموقف وعرفت انها اذا اصرّت على احراج الدول لا سيما المانيا على دفع ديونها لها تفلس المانيا وتمتنع الدول عندئذ عن دفع الديون المتوجب دفعها لاميركا لان الدنيا سلسلة فاذا فكّت حلقة منها تقطعت بقية الحلقات

فاختارت اميركا اهون الامرين واعلن الرئيس هوفر عزم الولايات المتحدة على امهال المانيا مدة سنة عن الدفع في اعطاءها الموراتوريم كل تلك المدة بشرط ان تلك الدول تنقص عِددها الحربية من عساكر وانواع التسليح وبعد ذلك تصغى اميركا لمطالب الدول لخفض ديونها عليها اذا رأت منها قبولاً في وضع ذلك الشرط موضع التنفيذ

ضاقت ولما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرج

والمثل العامي يقول : بعد الضيق الفرج

ان احوال الضائقة الآخذة بخناق العالم هي احوال لم يشهد مثلها في زمن من الازمنة . فهي خارجة عن حدود الطبيعة وما هو خارج عن حدود الطبيعة فمن المستحيل دوامه

فمهما طال امده فالى اجل محدود معروف يراه من تدبر وتأمل واستعمل فكرته

وقد صعدت اسعار البورصة في المانيا واميركا على اثر اعلان ذلك الخبر الهام مما هو دليل حسن على انتعاش حالة الاسواق ونهوضها من كبوتها رويداً رويداً . على ان هذا لا يكفي وحده لعودة الاسواق الى حالتها السابقة العادية بل هناك امور هامة من جملتها مشروع الخمس السنوات لروسيا بل العشرة فهو مقلب رأساً على عقب اسعار منتوجات الصناعة ومحاصيل الارض من حبوب وزيوت وما اشبه . فهذا له مفعوله في سير الاشغال والاعمال ودول الارض لا سيما اميركا تفكر في معارضة روسيا بمشروعها هذا وسيتم ذلك فعلاً اذ لا مناص من تركه على حاله

قلنا ان الموراتوريوم اي ارجاء دفع الديون والتعويضات الحربية التي هي على الدول المدينة بها لاميركا الذي قررت هذه الدولة اعطاءه لتلك الدول لمدة سنة مبتدأ به من اول شهر تموز القادم سيعجل في انتعاش حالة الاسواق بعض الانتعاش وربما كان فاتحة خير لعودة الاشغال والاعمال الى مجاريها في كل اقطار الدنيا

وقلنا ان هناك لا تزال عثرات كثيرة حائلة دون الوصول الى تلك الغاية يجب تذليلها...

— مشروع الخمس سنوات لروسيا —

ومن تلك العثرات مشروع الخمس سنوات لروسيا بل العشر سنوات وهو مشروع واسع النطاق من شأنه توسيع اقتصاديات روسيا وانهاضها سواء أكان من تجارة او صناعة وزراعة شرعت به الحكومة البلشفيكية منذ سنتين واتخذت ادارته على عاتقها فسنّت نظاماته على الاصول البلشفيكية فهي تقيم المعامل على انواعها من مالها وتشارف على المزروعات وتشغّل العمّلة بدون اجرة لكنها تطعمهم وتكسوهم وتأويهم وتعالجهم وتتكفل بالقيام على كل حاجاتهم ثم هي بدورها تبيع منتوجات تلك المعامل والمحصولات بالاسعار التي تريدها وصافي الربح في آخر السنة توزعه على العمال بعد اخذ حصتها الكبيرة منه

ونرى ان تكاليف تلك المنتوجات هي قليلة بالنسبة لتكاليف مثلها في

خارج روسيا . فما يفيض عن الاستهلاك المحلي من تلك المنتوجات في بلاد البلشفيك تشحنه هذه البلاد الى الخارج باسعار غاية في الرخص من زيوت كالبترول ومن اقمشة كالاكسفورد وغيره ومن حبوب كالقمح وغير ذلك مما امتدت اليه يد الحكومة البلشفيكية منافية بذلك على خط مستقيم لاصول التجارة العالمية وقد احدث هذا الامر انقلاباً عظيماً في سير الاشغال وانزل باوباب الصنائع والتجارة والزراع خسائر فادحة ، فوقفوا حائرين منتظرين حلاً لهذه المشكلة التي وقعوا فيها

فاصناف المنتوجات من صناعة وزراعة ومعادن التي ترسلها الحكومة البلشفيكية في هذا الوقت الى الخارج وتطرحها للبيع في الاسواق العالمية باسعار لا تجارى بالرغم مما يزاد عليها من تعريفات جمارك عالية فانها تباع بتلك الاسواق بلحظة عين في حين ان سلع ومنتوجات غير الدولة البلشفكية من تلك الاصناف عينها تقف عن البيع وفي هذا من الجمود لحركة المعامل والتجارة العالمية ما لا يخفى امره على البصير

ولما كان جمود حال الاسواق يولد معضلة البطالين في كل بلاد لا سيما الصناعية منها ، وفي البطالة شقاء وتعاسة وجوع وفقر وثورة وهذا مما لا ترضاه الدول فتضطر للتفتيش عن الوسائل الناجعة لملافاته فاما بالحروب الدامية او بالحروب التجارية والاقتصادية

فالحرب العالمية الاخيرة التي سببت اعظم المصائب لعالمنا وما نحن فيه الآن من عدم التوازن الاقتصادي والسياسي كان معظم اسبابها المزاحمة التجارية الشديدة بين المانيا وانكلترا ورأت الثانية ان الاولى قد ضايقتها الى حد لا يطاق فساقتها الى الحرب باساليب سياسية انكليزية

ولربما انساقت الدول اضطراراً للقضاء على الحكومة البلشفيكية في محاربتها تخلصاً من اذاها ولكنها تعد الان العشرة قبل ان تقدم على الحرب لانها رأت رأي العين واحست ان الغالب والمغلوب كلاهما خسران في غالب الاحيان اذن فهي تفكر الان في الحروب التجارية وهي المزاحمة في الاسعار فمن

انزلت سلعها من تلك الدول الى ميدان معترك التجارة باسعار ارخص من اسعار مزاحمتها فهي الفائزة في بيع سلعها وان ذلك اسلم عاقبة من الحرب الدامية مهلكة النفوس ومجلبة الدمار ومقوضة التمدن والعمران

قامت القيامة في اميركا منذ اسبوع تفكر في تخفيف وطأة الضائقة فاجتمع دهاقنة ارباب الاعمال والصناعة والتجارة يقترحون ايجاد مخرج من تلك الضائقة : « فمنهم من اقترح وضع مشروع لعشرين سنة يشبه مشروع الخمس سنوات لحكومة روسيا تنضم اليه ارباب الاعمال والصنائع والمتمولين في هذه البلاد ويتفقون مع العمال على وضع اساس لتسيير الاشغال على محور يرضي العامل وصاحب العمل على السواء بان يكونوا كلهم كشركاء يتقاسمون الارباح ــ . كل فريق منهم على قدر نفعه بالعمل فيأخذ العامل اجرة عالية ام منخفضة تبعاً لنجاح المشروع ام خسارته »

وقد اجرى موسوليني ايطاليا بما يشبه هذا المشروع في بلاده فسنّ نظاماً لارباب الصنائع والتجارة لتسجيل متاجرهم في دائرة خاصة بهذا الامر في حكومته وبالوقت ذاته منع اعتصاب العملة وفتح لهم محكمة تنظر في شكواهم فان كانت عادلة انصفتهم المحكمة من صاحب المعمل وذلك بان تطلع تلك المحكمة على حسابات صاحب المعمل بدقة فان وجدت ارباحاً تشفع بزيادة اجور العمال اضطرته للزيادة وان رأت بالعكس ردت العمال الى العمل وقد منعتهم عن الاعتصابات . وحصة العامل بايطاليا ١٩ في المئة من صافي ارباح ٢٥ في المئة ...

وهذا عمل بولشفيكي منظم وقد نجح هذا العمل في ايطاليا نجاحاً باهراً مما يدل على ان البولشفيكية اذا تنظمت صلحت حالة العامل والفقير مع ما يرضي صاحب راس المال فيمشي الحال متى كان الرضى بين الفريقين متبادلاً

وقد غيرت اميركا طريقها عن سلوك هذا المجرى الطبيعي فلا بد من عودتها اليه ...

والمحصّل مما تقدم ان اميركا اعطت الموراتوريوم اي ارجاء دفع الديون والتعويضات الحربية لالمانيا العاجزة عن الدفع ولبقية الدول حباً في انعاش حال التجارة العالمية وانتشالها من وهدتها وانهاضها من عثرتها ...

— روسيا واقفة بالدرب وبيدها مشروع الخمس سنوات ... —

وقلنا ان ذلك لا يكفي وحده لاعادة الاشغال الى مجاريها الطبيعية بل هناك روسيا واقفة بالدرب وبيدها متريالوز مشروع الخمس السنوات الذي ابدعته واحكمت وضعه على الاصول البلشفيكية فجاء آية في نوعه مخالفاً كل المخالفة للاصول التجارية العالمية المرعية منذ ابتداء تاريخ التجارة والصناعة بعيد المرمى بالمضرة

ولما كان ذلك المشروع قاطعاً الطريق على الدول للوصول الى غايتها لاجل رفع اثقال الضائقة الآخذة بخناق العالم فلا بد من التخلص منها اما بالحروب الدموية او بالحروب التجارية وقدمنا ان الدول ستختار اهون الامرين وهو اعلان الحروب التجارية

وقد طلعت بوادرها بما قرأناه في ٢٧ الجاري في الجرائد الاميركية على الصفحات الاولى منها باحرف كبيرة بما ملخصه : ان الولايات المتحدة عقدت العزم على منع دخول كل البضائع السوفياتية الى بلادها بحجة ان تلك البضائع مصنوعة ومشغولة تسخرة اي دون دفع اجور لعالها مقابل عملهم .

وان عزم اميركا هذا يوضع موضع التنفيذ فعلاً في اول السنة القادمة وربما تحتاط اميركا للامر بسنها قانوناً جديداً تلحقه بقانون تعرفتها الجمركية بالمعروفة باسم هولي وسموت واضعي اساس هذا القانون يُمنع بموجبه منعاً باتاً دخول البضائع والسلع المصنوعة والمشغولة تسخرةً في روسيا الى هذه البلاد .

ولم يكن نص هذا القانون الجديد موجوداً في التعرفة الجمركية الاميركية من قبل لهذا كانت شركة « الامتورغ تريدن كمباني » وهي

شركة تجارية روسية وكيلة التجارة السوفياتية في هذه البلاد والمقيمة في الشارع الخامس في نيويورك تقيم الدعوى على الحكومة الاميركية كلمرة كانت الحكومة الاميركية تمانع بدخول واردات حكومة السوفياتية من الخشب لاجل صنع الورق الى الولايات المتحدة وكانت الشركة المذكورة تربح الدعوى ويدخل الخشب الى اصحابه

— العمال في روسيا يسخّرون —

فالوزارة المالية الاميركية كانت ترى بان الرجال والنساء في روسيا مسخرين في عملهم ومساقين اليه مرغمين لا سيما في تنفيذ مشروع الخمس سنوات لا يمانعون بذلك خوفاً من طائلة القصاص الذي وضعته الحكومة السوفياتية وربطته بقانون العمال واعلنته تلك الحكومة في شهر تشرين الثاني ١٩٣١ في بلادها ... وفحواه ان كل عامل روسي حاذق فني ماهر يرفض العمل المقدم اليه ليعمله يُعطى عملاً آخر ادنى منه واذا رفضه يمحى اسمه من سجل مكتب الاستخدام فيخسر حقه بمشترى حاجاته وطعامه وكسوته من المخازن ويطرد من مسكنه وهذه المخازن والمساكن هي بالطبع ملك الحكومة السوفياتية وبمشارفتها

وعليه رأى مجلس النواب الاميركي بعد المناقشة والنظر في هذا الشأن ان العامل في روسيا مرغم على العمل لا حرية له في انتقاء عمله فاقرّ عزمه على محاربة روسيا تجارياً ولو امكنه لحاربها بالمدفع وقضى عليها لانها قاطعة الطريق على من يريد انعاش التجارة العالمية بالاساليب الحرة العادية التي اعتادت شعوب الارض مراعاتها واستعمالها وروسيا الآن تعاكسهم ببيع بضاعتها المصنوعة تسخرة باسعار بخسة لا تجارى في اسواق العالم

هل تحذو الدول حذو اميركا في اشهار الحرب التجارية
على روسيا السوفياتية ؟

اذا حذت الدول حذو اميركا وكافتها في تلك الحرب التجارية خنقت

روسيا السوفياتية واماتت مشروعها المذكور . لكن المصالح تختلف بحسب مختلف حاجات الدول التجارية . فاميركا لا تحتاج الى معادن وزيوت وحبوب روسيا ، فعند اميركا ما يكفيها من ذلك واما بقية الدول فليست كذلك فايطاليا مثلا ليس عندها بترول ولا معادن فلا يمكنها معاداة روسيا لانها تشتري منها البترول وغيره باسعار ادنى بكثير مما تشتريه من اميركا . وكذلك النمسا وفرنسا وانكلترا والمانيا خلو من الحبوب وغيرها فاذا عادت تلك الدول روسيا اضطرت الى مشترى ما تحتاجه مما هو موجود عند روسيا من الخارج باسعار غالية مضاعفة عما تشتريه من روسيا ... والتجارة تقوم وسوقها تروج برخص اسعار سلعها فكيف العمل بروسيا فهي لا تنقيد الا اذا سُدّت على مشروعها جميع المنافذ

وهنا عقدة العقد فمصالح الدول متسعة الخلاف ولتقريبها يلزم حكمة مقرونة بشدة ولين وعدل ومع الوقت يزول الخلاف وكلٌ يرضى بحصته عند تتمة التسوية

وقد عرفت الدول انه لا يمكنها الوقوف لمعاداة روسيا ومنازلتها في الحرب التجارية ومجابهتها بهذا الموقف فدفعت اميركا الى ذلك وهي بالوقت ذاته تراقب هجوم اميركا هذا على روسيا علهُ يفلح في حمل الحكومة السوفياتية على تغيير خطتها المضرة في متاجراتها بتحوير قوانين مشروعها الخمس سنوات فتطلق الحرية للعمال في اختيار عملهم وقبض اجورهم متمنعة عن تسخيرهم وسوقهم مرغمين للاشتغال في مشروع الخمس سنوات

على ان موقف اميركا بوجه روسيا ذلك الموقف لا بدّ من تأثيره بعض التأثير في روسيا كون هذه الدولة تحتاج بعض مصنوعات اميركا حاجة ماسة لانجاز مشروع الخمس سنوات لا يمكنها ان تطالها من الخارج لهذا لا بدّ من ان تلين في آخر الامر بعض اللين في سوق مشروعها بطريق سويّ يرد الاذى عن التجارة العالمية فتتفاهم مع اميركا وتتساوى وتكون اميركا قد انقذت التجارة العالمية من الجمود وتنفرج الامور .

وفي نيل ذلك من الاهوال والخسائر لاميركا شيء كثير . لكنها بامكانها احتماله اكثر من غيرها ويعود الفضل لها في مساعدة العالم على النجاة من الضائقة النازلة بالمعمور هذه المرة كما انها في المرة الاولى انهت الحرب العالمية في مدة قصيرة بعد خوضها غمراتها ولولاها لكانت طالت مدتها واشتدت مصائبها

وعليه لربما تعود اميركا بالغنيمة في هذه المرة كونها غنية باموالها ومعادنها وصنائعها وهذا مما يسهل لها الطريق متى عادت الاشغال الى سابق عهدها بعودة التوازن الاقتصادي العالمي من جراء تأجيل الديون كما تقدم لسنة ثم لسنتين للدول التي تصبح طليقة باستعمال الاموال المؤجل دفعها لاميركا في توسيع مشاريعها التجارية مما يقوي قوة المشترى في العالم . ومما يساعد اميركا على توسع نطاق صادراتها لا سيما الى اميركا الجنوبية فتربح اضعاف ما خسرته في ارجاء ديونها للدول ومنع دخول بضائع روسيا الى بلادها .

بيد ان تلك المناظرات والمناورات التجارية بين اميركا وحكومة السوفيات سوف لا يطول عمرها اذ الايام حبالى

وستلد بين عشية وضحاها ولدا ذكراً مباركاً يبشر باضطراد تحسين الحال الى ان تعود مياه الاشغال والاعمال الى ما كانت عليه ايام الرخاء بفضل ربك الكريم

على انه لا بد من التوفيق في آخر الامر بين حكومة السوفيات واميركا بالرغم عن استمساك كل واحدة منهما بمبدأها ، ففي اميركا علو اسعار السلع بسبب علو اجور العمال وفي الثانية رخص اسعار السلع اذ لا اجور تدفع للعمال

اذن فالاتفاق صعب بين ضدين ولا بد من تقريب اوجه الخلاف بين الفريقين

— ما هي غاية روسيا من تنفيذها مشروع الخمس سنوات —

قلنا ان غاية روسيا من مشروعها الخمس سنوات انهاض اقتصاديات بلادها وتنفيذ مبادئها البلشفيكية على ظهره باعلانها أياه وبث الدعوة اليها

في العالم اجمع لكونها مؤمنة بصلاح تلك المبادىء لسعادة البشرية ، وهي متعصبة لها مستبدة في الدعوة اليها ثابرة بمالها وطوراً برخص اسعار منتوجاتها التي تطرحها في الاسواق العالمية فتباع بطرفة عين وفي ذلك من تطاول الاعناق الى ما يجري في روسيا ولفت الانظار اليها كانها تدعو العالم للتبصر بامرها وتسقّط اخبارها واعمالها فتريهم مشروعها المذكور واضطراد نجاحه ونفعه للعالم وكيف توصلت به الى بيع منتوجاتها من زراعية وصناعية بارخص الاسعار رحمة بالفقير فضلاً عن ان العمال في بلادها ياكلون ويشربون ويكتسون وهم راغدون في بحبوحة العيش وان لا ترى بطالين عندها اليوم بين ان عددهم في خارج بلادها يعدّ بالملايين يتضورون جوعاً فتضحك سروراً ويشتد عزمها في نشر مبادئها ودعوة الناس لاعتناق البلشفيكية

فبضائعها اليوم المصدرة للخارج اشبه برسل التبشير بالديانة البلشفيكية وذلك ما تسعى ورائه وهي مثابرة على نجاح مشروعها هذا محتالةً مستبدة في اساليب نشره فلا تنحرف قيد شعرة عما توحيه اليها خطتها الثابتة في اعلانه لقتل الاوطوقراتية وتلاشي الرأسماليين النفعيين من اقطار الدنيا لاجل راحة الفقير . وكانت الدول جمعاء خائفة منها تريد خنق مبادئها في ارضها باقامة الحصون والمتاريس بوجهها صوناً لبلادها من ان تتدخل اليها المبادئ البلشفيكية .

وكانت كلما ازدادت الدول ضغطاً عليها من هذا القبيل وجدت روسيا مخرجاً لها باساليب فنانة فيها دهاء وكياسة

اما اميركا المزمعة على اعلان الحرب التجارية عليها منذ الآن لمنع دخول بضائع روسيا الى بلادها فهي بذلك تدس دسيساً ليأتيها بالخبر اليقين عن نية روسيا فيما اذا كانت تثابر على طرح بضائعها وزيوتها ومعادنها الرخيصة الثمن في اسواق اميركا واسواق العالم ام تقلع عن ذلك برفع

اسعار سلعها الى مستوى عادل مقبول يتسع معه المجال لبقية الدول في بيع سلعها بارباح عادلة مما يساعد على اطراد تحسين الاسواق رويداً رويداً ويمهد سبيل النجاح لمشروع الرئيس هوفر المذكور

— تجارة روسيا من دواعي الدعاية للبلشفيكية —

وربما ترضى روسيا بتحسين اسعار سلعها اذا قابلتها اميركا وبقية الدول بتخفيض اسعار السلع التي تحتاجها روسيا منها وهذا ربما لا يمكن لاميركا ان تعمله بالحاضر كونها تدفع اجوراً عالية لعمالها الذين تعوّدوا على تلك الاجور والذين يمانعون في تخفيضها ويعتصبون عن العمل اذا رأوا ميلاً من حكومتهم للتدخل في ذلك الامر . وفي عدم تخفيضها وقوف المصانع والمعامل وفي وقوف المعامل بطالة وفي البطالة شقاء وتعاسة ثم ثورة على اصحاب رؤوس الاموال والمتمولين وارباب الصنائع ودكّ معالم الصناعة وهذه هي بداية البولشفيكية بعينها التي تريد الحكومة السوفياتية كما اتضح ان تراها منتشرة في كل اقطار المعمور فعملها هذا كشأن المبشّر المتجوّل يدعو الناس للدخول في ديانته . فالرأسماليون بنظرها مستبدون بالفقير والعامل ، فتريد محوهم باول الامر ثم استبدالهم بالاشتراكية المتطرفة وخلق العالم من جديد

وفي روسيا سياسيون محنكون معتقدون بصحة وسلامة المبادئ البلشفيكية سيما متى تنظمت تدريجاً ويؤمنون بنجاحها وامتدادها فهم يتخذون بمداولاتهم السياسية لنيل هذا المأرب خطة التأني المقرونة بالحزم مع استعمال الرفق بامرها املاً باستخراج الحية من وكرها

« دقة على الحافر ودقة على المسمار »

ولهذا فسيالثون اميركا على ما تريد بعد كرّ وفرّ في الميدان الذي انزلتهم اليه اميركا الى ان يتعبوها فترضى هذه حينئذ بنصف شروطها التي املتها على الحكومة السوفياتية التي لا بدّ ان تكسب شهرة لمبادئها البلشفيكية

وتقرّب الناس منها وتفهمهم غاياتها اثناء تلك المناورات الاقتصادية

وكانت البلشفيكية منذ عشر سنوات شبحاً مخيفاً والآن صرنا نراها كسائر الناس وربما بعد غد رأيناها ملاكاً طاهراً . وفي البلشفيكية ارغام على تعليم القناعة ، والقناعة كنز لا يفنى . والبرهان على ذلك ان لا بطالة الآن في روسيا ولا جوع ولا شقاء فهم مرتضون هنالك .. اما في اوروبا واميركا فترى العكس في هذه الايام

اذن فانتعاش الاسواق بعض الشيء اكيد بتسوية مشكل روسيا وازاحتها من درب مشروع الموراتوريوم المذكور اولاً وبالتالي وضع قانون عام يشتمل على تحديد كمية المنتوجات العالمية بحيث لا تزيد عن كمية الاستهلاك منه ، وهذا ما تسعى اميركا لتحقيقه وستتبعها بقية الدول فتتفق على ذلك كما اتفقت على تخفيض السلاح آجلاً او عاجلاً . وذلك من اهم الاسباب الداعية لدوام حركة الاشغال والاعمال . وفي هذه الحركة بركة . وفي تقلب الدهر مفاجئات ومن احتكاك الامور تنجلي حقائق راهنات تطبّق على الوقائع المتولدة من تطورات الازمنة ولله في خلقه آيات بيّنات ومن يعش يره

***

هل تعود اميركا بصفقة المغبون مالياً من مشروعها في انعاش الاسواق
واعادتها الى سابق عهدها ـ ما هي العثرات المعترضة في سبيل
هذا المشروع الهام ـ هل يمكن ازالتها
وكم يستلزم لذلك من الوقت ؟

ان اميركا ما اقدمت على مشروع انعاش الحال حباً بسواد عيون العالم وخصوصاً المانيا بل رغبة في انعاش غيرها وصوناً لديونها في آخر الامر فحالها مرتبطة بحال غيرها فان صلح حال هؤلاء صلح حالها والدنيا سلسلة حلقاتها مرتبطة بعضها ببعض

ثم انه لا احد يصلي حتى يطلب الغفران ولاستجابة الصلوات اصول فيلزم ان تكون حارّة خشوعية لتتصل النفس بخالقها او بمن يطلب منه الغفران او الحاجة او غيرها

فاميركا احسّت بحراجة موقفها من سوء الحال واحست بدنو المانيا من الافلاس والخراب وهذه الدولة مديونة لاميركا التي هي حاملة ايضاً اسهماً مالية المانية بما يقدر ببليوني ريال ، وقيمة دينها على المانيا بليون ريال والمجموع ثلاثة بلايين ريال . هذا فضلاً عن ان المانيا مديونة للدول . وهذه بدورها مديونة لاميركا ودفع ديون هذه الدول لاميركا متوقف على دفع ديون المانيا لتلك الدول

فان توقفت المانيا عن دفع ديونها تعذر على معظم بقية الدول المديونة لاميركا ان تدفع ما عليها من الديون لها فتزداد احوال الاسواق سوءاً ، وفي وقوف الحال بطالة ، وفي هذه شقاء وتعاسة وما وراء كل هذا الا الثورة والانتقاض على الحكومات الحالية وقلب انظمتها رأساً على عقب وتغيير تلك النظامات بوضع غيرها من النظام الجديد الموافق تحسيناً لحالة الفقير والعامل وهما حجر الزاوية للبناء القائمة عليه الممالك والشعوب

ففي انتشار العلوم بايامنا هذه انتشار واسع النطاق قد تنورت الاذهان وعرفت عامة الناس من اين تؤكل الكتف فهم يعلمون بان المال المحصور في ايدي فئة قليلة منهم ضرر عليهم ، فاعداؤهم تلك الفئة فيعملون على تفريق شملها واضمحلالها متى آن اوانها

وهذا ما تخافه الحكومات فتتقيه متى كانت عاقلة فهي على الغالب لا تقدر دفعة واحدة ان ترد اجله عنها بل رويداً تعمل على ارجاء نزوله بل ازالته . فتارةً تستعمل المخدرات وطوراً تقطع الضرر البارز من اصوله قطعاً باتاً بحيث لا يعود

اما استعمال المسكّنات لذلك فهو في ايجاد اشغال واعمال للعمال ومساعدة

الفقير والصعلوك في زمن الضائقات الخنّاقة

واما قطع دابره بالكلية فكما عملت انكلترا منذ ٢٢ سنة بوضعها مكوساً فاحشة على اراضي طبقة الاشراف المهملة والبور التي لا يزرعونها ولا يشارفون على زرعها كي يتضايقوا من تلك المكوس فيبيعونها من الاهلين اضطراراً ــ . ومعلوم ان خمس اراضي انكلترا كانت بايدي اشرافها لذلك العهد متوارثة عن السلف الى الخلف منذ قرون وكانوا متمسكين بها لا يبيعونها من الفلاح الصغير ام غيره ممن يحب ان يتملكها ويعيش من وراء استغلالها . وبعد سنّ قانون تلك المكوس وتنفيذه في انكلترا هدأ ثائر شعبها واخلد الى السكينة بنيل مبتغاه

لكل دولة مشاكل اقتصادية تخلقها لها تطورات الازمنة الدائمة الحركة وهذه التطورات تعظم وتمر غالباً بشعوب العالم كل عشر سنوات او خمسة عشر سنة وتوجب على الحكومات العاقلة ملافاتها بما حضرها من الادوية والوسائل الفعالة تسكيناً لالمها والهاءً لها باجابة بعض مطالبها في الارتزاق والبسطة في العيش ، فمن تلك الوسائل التوسع في الفتوحات والاستعمار مما يدعو الى اشهار الحروب طبقاً لدواعي الحال

اما في هذا الزمن فلا فتوحات ولا استعمار ولا حروب لانها ممنوعة بجمعية الامم منعاً باتاً . فلا استعمار ولا فتوحات اذ الارض باتت مقسّمة وكل دولة من دول الارض اخذت حصتها من ذلك

وبالاختصار ان كساد الاسواق واشتداد الضائقة وصلت الى حدّ ضايق العالم مضايقة اوجبت فكّ الامم من قيودها خوفاً من ثوراتها على حكوماتها وقلب انظمتها واتخاذ البلشفيكية او الفاشستية هدفاً جديداً لتلك الامم ظناً ان الخلاص فيها ــ فهما طريقان جديدان مطروقان سهل سلوكهما ...

تفكّر في عواقب كل ذلك الحكومات العاقلة الفطنة فتتلافاها بحكمتها وسياستها ...

وهذه الحكومة الاميركية الديموقراطية قد تدبرت الامر جلياً فاستدركت وقوعه بشتى الوسائل الممكنة مبتدأة بتنفيذ مشروع المورانتوريوم بعزم من حديد مقدمةً عليه مستبسلة ومستقتلة تريد تحقيقه، فاعترضتها فرنسا الدائنة لالمانيا، لكن اميركا ستجلبها سياسياً الى مناصرتها في تنفيذ ذلك المشروع المفيد والواقي من الانهيار الاقتصادي ثم بعده الثورات الهدّامة للانظمة الاجتماعية الناجمة عن ذلك .. ووقفت بوجهها روسيا بمشروعها الخمس السنوات بل العشرة فهددتها اميركا باشهار الحرب الاقتصادية عليها كما تقدم بيانه وهي مجدّة بان تزيحها من درب مشروع المورانتوريوم المشار اليه ...

تريد اميركا نجاح مشروعها هذا رفعاً للضائقة عن نفسها والعالم تجنباً للاسباب المتقدم بيانها .. فهي ناجحة فالحة بعملها هذا بلا مشاحّة لكونها مقتنعة بضرورة نجاحه مضحية في سبيل ذلك اعظم التضحيات فضلاً عن ان اسباب فلاحه متهيأة حاضرة . فالعالم بحاجة ماسة اليه والدول الكبرى مناصرة له

وبالتالي فاميركا غنية بمالها وصناعتها ومحصولات ارضها ومعادنها وخبرة رجالها الفنيين

على انها بمشروع المورانتوريوم المذكور كأنها ستسلف الدول رأس مال لتشغيلها وتحريك الاسواق واضطراد رواجها في العالم كله . فتزرع ذلك رأس المال باراضي الامم اليوم، وغداً تستغلُّ اضعاف ما زرعت... ولكن ما عملته اميركا بهذا الخصوص لم يتحقق كله ولم يأت بالفائدة المطلوبة بل ظلت الضائقة مقيمة في ربوعها وفي العالم وخسرت اميركا معظم ديونها مع الدول المدينة لها

على انه وان خسرت اميركا في مشروع المورانتوريوم مادياً خسارةً فادحة لكنها اكتسبت عطف العالم اجمع وانقذت المدنية الحاضرة من الحركات الهدّامة

كم يستلزم من الوقت لازالة الضائقة ؟

على ان زمن الضائقة المشار اليها قد طال امده . ومع ان تصاريف

الدهر قد علمتنا بان دوام الحال من المحال ، فقد جرى في تضاعيف ذلك الزمن بعض التخفيف من وطأة الضائقة ومن التسكين لشدة غليانها ... ويظهر انه لا يمكن التكهن عن الوقت الذي ينقشع به ظل تلك الضائقة الشديدة

اما ما بقي من العثرات المعترضة في ازالتها فقد اوضحناه بقدر الامكان في التعليق الآتي :

تعليق على ما تقدم :

قلنا في اول هذا المقال ان معالجة الضائقة الضاربة اطنابها في اميركا والعالم قد خففت شيئاً من اثقالها وبقيت اشياء مستعصية ومزمنة لا علاج لها الا بتغير حوادث الزمن ونسف الاوضاع الاقتصادية الحاضرة من أسسها

اما تلك الاشياء المستعصية فسنورد بعض ما لفت منها نظرنا اليها وثقنا في صحتها بعد البحث :

ان الزيادة في كمية مختلف المنتجات عن مثلها من الاستهلاك كساد للاسواق

جمعت اميركا في زمن الحرب وبعدها ما يقارب نصف ذهب العالم . واكثرت عقب الحرب من منتجاتها الصناعية والمعدنية ومحصولاتها الزراعية فوق ما يمكن استهلاكه لنفسها وفي خارج بلادها . كذلك حذت بقية الدول حذوها بهذا الخصوص لا سيما انكلترا . وكل ذلك طمعاً في المتاجرة والربح الوفير لخلو الاسواق العالمية آنئذ من ستوكات البضائع على انواعها بسبب الحرب الكبرى فغلطوا في الحساب ، « وما وازن حساب الحقل حساب البيدر » ، وزاد مقدار المنتجات المذكورة على انواعها على مقدار استهلاكها فضلاً عن ان النقد الذهبي وغيره من النقد كان نادر الوجود بل كان معظمه مجموعاً عند فئة قليلة من الاغنياء مقفلاً عليه لا يتداولونه . ولم تكن لدى معظم الشعب الذي تقوم عليه حركة الاسواق في البيع والشراء

غير كمية ضئيلة منه . لهذا ضعفت قوة المشترى اذ النقد هو آلة الاخذ والعطاء

وعليه فقد حدث في سنة ١٩٢٢ هبوط ٥٠ ــ ٦٠ في المئة في اسعار البضائع والسلع وغيرها وعمّ الافلاس في عالم التجارة وتناسى الناس تلك الازمة الشديد التي مرّت بهم .. وعادوا بعد ذلك الى إكثار المنتجات كالسابق الى ان اصيبت الاسواق العالمية بضائقة ثانية عظيمة في شهر تشرين اول سنة ١٩٢٩ اذ هبطت وقتئذ اسعار البورصة من اسهم وغيرها مبتدأةً من « وول ستريت » في نيويورك ثم تدنت اسعار البضائع والسلع والعقار وغيرها في اميركا ومنها امتدّ ذلك الى كل انحاء العالم . ولم تزل تلك الضائقة على حالها حتى هذا الزمن بالرغم من مداواتها بانواع الادوية ــ يعالجها اقدر الاقتصاديين في اميركا وغيرها لشفاءها دون جدوى ...

فقد استعصى مرضها وازمن فهو كالسرطان الذي لا دواء له الا باستئصاله من الجسم او كالبناء المعيب لا يسلم الساكن فيه من العطب الا بهدمه واعادة بناءه ثانيةً على قواعد متينة

وهل يمكن عمل ذلك دون معرفة اسبابه ؟

وفي البحث نرى انه من الاسباب الداعية الى زيادة كمية مختلف المنتجات من صناعية وخلافها عن كمية استهلاكها هي متأتية عن تطورات الزمن الطبيعية التي يصعب تجنبها وهي مرافقة للانسان في جميع ادوار حياته منذ بدء الخلق ــ منها التنافس والمزاحمات الاقتصادية والمطامع في كسب المال والميل الى الترفه في الحياة والمباراة للوصول الى ذلك بالاساليب الفنية الجديدة واتقان العمل ، منه ما نحن بصدده كاتقان الآلات الحديثة الصناعية والزراعية وغيرها من الآلات المنتجة لتكثير انتاجها والتقليل في تكاليفها بتقليل اليد العاملة في استعمالها ثم بيع نتاجها باسعار رخيصة لا تزاحم

— عهد الاختراعات —

ومن الاختراعات الحديثة منع المواد لتسميد الارض التي اعطت باستعمالها من المحصولات ثلاثة اضعاف عن مثلها من قبل ثم الآلات الزراعية المستحدثة التي تفلح وتزرع في اليوم الواحد اضعاف اضعاف ما كانت تفلحه وتزرعه من مثله الآلات القديمة وبالطبع فالمحصول يأتي مضاعفاً عن قبل

« عهد استبدال المواد الاولية التي تنتجها يد الانسان العاملة بغيرها من المواد الاولية التي تنتجها الارض بنفسها ... »

ومن ذلك استبدال القطن والحرير مما هو نتاج الايدي العاملة ومورد هام لارتزاق العامل بالحرير الاصطناعي المستخرج من الخشب ونبات الارض . كذلك وجدوا مادة نباتية استعاضوا بها عن الصوف الذي هو نتاج الايدي العاملة ... ويقولون ان اليابانيين وجدوا نوعاً من حشيش البحر استعملوه في حياكة الاقمشة ..

وفي هذا ايضاً شلّوا اليد العاملة عن العمل . — مما قلب رأساً على عقب والحالة هذه — النظام الاقتصادي القديم الثابت بل الاجتماعي وادّى الى البلبلة بل الفوضى في كسب المعيشة وسياق الاشغال مما لا تزال تراه حتى يومنا هذا

ترى في اميركا والعالم ملايين من العمال بطالين واسعار السلع والعقارات وغيرها متدنية واسواق التجارة كاسدة والاراضي باثرة مهجورة والفلاح مديون واراضيه مرهونة . ورؤوس الاموال ذائبة والنقد مخفي في خزائن الاغنياء والحكومات والمصارف — وهبوط وصعود انواع عملة الورق المتداولة في العالم — ترى ان الحالة الاقتصادية العامة في حالة التأخر المستديم بل في حالة النزع . كل تلك العلل والاسباب المذكورة هي عضالة واساسية لا يمكن شفائها وازالتها بالطرق العادية بل هي بالعكس تنمو

وتسري وتمتد وتجري مجراها كالماء المنحدر الكثير الجارف لا يمكن ردّهُ الى الوراء

— نظرة في تحليل ازمة الضائقة وطرق علاجها —

وبعبارة ثانية ان المبالغة في الشيء مضرّة على حدّ قول المثل « كل شيء زاد في المعنى نقص » فالمبالغة في الحضاره والعمران هو نهاية لهما . والمبالغة في اتقان الحيَل اي « الميكانيك » من صناعية وزراعية هو قطع الارزاق للقسم الاعظم من الناس ومن اسباب وقوع الضائقات المالية

وعليه فخير الامور اوسطها

ثم ان لكل شيء موازنة محدودة لتحفظ كيانه سالماً ، فكواكب السماء متوازنة في الجاذبية ، وحقوق الانسان في العدل ، والبيت في اساسه وبنيانه والبيع والشراء في الميزان والعيارات والقياسات وقس عليه ومتى تجاوزت تلك الموازنات من كلية وجزئية حدها اختلت وساءت حالها وانهار بنيانها

وقد قيل في الامثال « لا تعمر حتى تخرب وبالعكس » يعني اذا تجاوز العمران حاجة الانسان الضرورية منه خرب العمران . وبالعكس اذا قصّر الانسان عن ادراك حاجاته الضرورية من العمران سعى جهده لادراكها فنما بذلك العمران .. وبعبارة اوضح اذا لزم الانسان الحد الاوسط في شؤونه وغاياته من الحياة ومعيشته كان ذلك خيراً له وابقى .. واذا جاشت في صدره المطامع المفطور عليها في طلب المعيشة الكمالية فقد معها الراحة في الحياة بما يتأتى عن ذلك من فقدان التوازن الاقتصادي العالمي فبارت اشغاله وخنقته الضائقات !

اذ ان نتيجة مساعيه الحثيثة في طلب الكماليات في العيش تقوده الى خلق حالة اقتصادية غير طبيعية يدعوه اليها طلب تلك الكماليات وعندئذ تزيد كمية المنتجات الصناعية وغيرها عن كمية الاستهلاك القانوني . وتقوده ايضاً الى خلق غير امور هو بغنى عنها لو عدل بما مجموعه مع متفرعاته كما

فصلناه آنفاً يكون من اهم العوامل الى كساد الاسواق وجمود حركتها ووقوع الخلل في موازنة الحالة الاقتصادية العالمية لخروج هذه عن مجراها الطبيعي ونقع حينئذ الضائقات الاقتصادية والمالية التي لا تزول الا بزوال الاسباب المتأتية عنها

وذلك يتمّ بارجاع الحالة الاقتصادية العالمية الى ما كانت عليه في حالتها الطبيعية الاولى ...

وليس ذلك سهلاً اتمامه ولا يتم دفعة واحدة بل بالتدريج وبقدر مدة الوقت الذي تكوّنت فيه تلك الازمات والضائقات المشار اليها

وفي ذلك حكمة لدفع المصائب والشرور ، وقناعة في الحياة ، والرجوع في رقي الانسان والعمران الى الوراء

وأنّى للانسان ان يفعل كلّ ذلك ؟

فقد دلّ تاريخ الانسان والخبرة والتجارب انه لا يمكن للمرء ان يقنع ويرضى بالبقاء على حالة واحدة من العيش قانعاً راضياً بها سواء اكانت درجتها اولية ضرورية او قانونية معتدلة او كمالية متطرفة . ولا يمكنه من تلقاء نفسه ان يرجع القهقرى في مطالب تلك المعيشة المختلفة صيغةً ولوناً لكونه مندفعاً بمطامعه الفطرية كالسهم المنطلق الى الامام

بل كل الذي يقدر ان يفعله والحالة هذه هو ان يتصبّر ويقف متفرجاً مكتوف الايدي الى ان ترفع تلك الضائقات من نفسها اثقالها عنه ام تزيلها حوادث الزمن

وقد قال الشاعر :

فاصبر لها غير محتالٍ ولا ضجرٍ في حادث الدهر ما يغني عن الحِيَلِ

ومهما استعمل الانسان من مختلف العلاجات لزوال الضائقات عنه كالمشاريع الاقتصادية الفنية او غيرها مثل التي انشأها وينشئها روزفلت في اميركا مكافحاً شدة الضائقة هنالك فهي علاجات من نوع المسكّنات بل

المخدرات للاعصاب لا تروي غليلاً ولا تستأصل جرثومة الداء

اذن وبناء على ما تقدم فان افضل العلاجات لشفاء امراض الضائقات النازلة في العالم الاقتصادي هو ان تلقّح بجراثيم تلك الامراض نفسها المضادة لها كما تبين آنفاً ـ. على حد قول الشاعر :

ولكل شيء آفةٌ من جنسهِ حتى الحديد سطا عليه المبردُ

وللوقاية من داء الضائقات في الزمن المستقبل يلزم ان تبقى موازنة العالم الاقتصادي ضمن نطاقها الطبيعي . وهذا بعيد الوقوع كما تقدم

على انه متى زالت الضائقة العالمية الحاضرة وانقشع ظلها عادت الموازنة الاقتصادية العالمية الى حالتها الطبيعية . ويجد الانسان عندئذ تحت سمائها متسعاً ونشاطاً . ويجدّد عزيمته ويسعى كعادته الى طلب رزقه الضروري اولاً ، ثم لايلبث ان تغلب عليه مطامعه الفطرية متناسياً مصائب الضائقة الماضية فيضاعف سعيه مجدًّا وراء بلوغ كماليات العيش ويبقى على ذلك حيناً من الدهر حتى اذا بلغه عادت الضائقات فنزلت به واصابه من بلاياها مثلما اصابه في الزمن الماضي . وهكذا تاريخ حالة الحياة الاقتصادية العالمية يعيد نفسه

لذلك ترى الضائقات تتعاقب النزول في عالم الاقتصاديات بين آونة واخرى وقد يمكن ان يحدّد زمن عودتها لمن دقق في امور الدهر وتصاريفه وقارن ماضيها بحاضرها ...

اذن فالضائقات العالمية هي صنيعة الانسان الذي يحيك ثوبها بيديه ، ويفصله محكم التفصيل ليلبسه او كالبيت الذي يبنيه على آخر طراز ليسكنه

وانك ترى كثيراً من الناس تخلصاً من الضائقة المحيقة بهم يرغبون في نشوب الحروب معما فيها من المهالك والويلات لعلمهم بانها تقلّب الحالات والاوضاع الاقتصادية عليهم يجدون من وراءها فرجاً من وطأة الضائقة ...

ومن الادلة الساطعة على اجتياح مملكة الآلات مملكة الايدي العاملة اني رأيت في نيويورك مجرفةً ومعولاً ومنقلةً مجموعة في آلة واحدة يديرها

رجل واحد وتستعمل لتمهيد الارض ومساواتها على خط مستقيم لاجل البناء ، فتلك الآلة تحفر في الارض وتجرف التراب وتنقله من مكانه الى سيارة نقل واقفة بجانبها — وهي تقوم في شغلها اليومي من ذلك مقام شغل ٥٠ عاملاً يبلغ مجموع اجورهم ٢٥٠ دولاراً في اليوم الواحد .. اما النفقة اليومية لتلك الآلة مع اجرة عاملها وثمن وقودها فلا يبلغ اكثر من ١٥ دولاراً في اليوم الواحد .. وعليه ترى ان ٢٣٥ دولاراً بقيت في خزينة المتمول غير متداولة لرواج الاسواق ... اذ لو وصل ذلك المبلغ وما فوقه الى ايدي العمال لانفقوه في اليوم ذاته وقس عليه ما جرى مجراه ...

على ان موسوليني نظر في ذلك الامر نظرة صادقة فمنع في ايطاليا استعمال الآلات الحديثة في بعض الصناعات وما اشبه رحمةً بالعمال معها في ذلك من الزيادة المضرة على تكاليف المنتجات وغلاء اسعارها ..

واذكر انه بينما كانت الضائقة في معمعان شدتها في الولايات المتحدة نشر احد المفكرين الاميركان مقالاً متسلسلاً في احدى امهات الجرائد عن التطور الميكانيكي منذ ٥٠ سنة لذلك العهد وعن تطوره بعد ٢٥ سنة من ذلك الوقت نفسه ..

وكان ما ذكره واثبته بالبرهان ان التطور في اتقان الآلات الصناعية والزراعية وغيرها وتطور الكهربآء بمنافعها سيودّيان حتماً في مستقبل الزمن ليقوما بخدمة الانسان الذي يستغني بها والحالة هذه عن خدمة الانسان .

وكان لهذا المقال وقع كوقع الصاعقة في نفوس العمال وغيرهم بل كنعي لفقد عزيز . فضلاً عن انه ادّى الى قطع آمال العامل وغيره بالارتزاق وبعث اليأس في الصدور . وكان لسان حالهم يقول :

كل شيء سهلٌ ولكن عثرات الآمال ليست بسهله

ولذلك فان الحكومة الاميركية اوقفت تتمة نشر ذلك المقال وكلّفت بعض المفكرين ليعارضوا ويكذّبوا بمقالات عديدة ذلك المقال المنوّه عنه آنفاً اطمئناناً للنفوس وتهدئةً للخواطر واحياءً للآمال ...

كيف نجو الناجر من الضائقة المالية

بعض النجاة (١)

تقول الامثال العامة في الحركة بركة وحرّك بضاعتك تباع . يفهم هذه الامثال التاجر المحنّك فيستعملها فينجح او انه يقي نفسه من خسائر فادحة والوقاية من الخسائر ربح مبين لكل ذي عينين

فالذي قال تلك الامثال هو حكيم مجرب ولم يقلها عفواً بل عن اختبار وتجربة . مرت على ذلك الحكيم ايام بل سنون شبيهة بهذه الايام والسنين التي تمر علينا ... فقالها بعد ان ولّدتها بذهنه التجارب فجاءت مطابقة بدلالتها على تلك التجارب ، وعليه فقد استعمل فكرته ونحت في الصخر فابدع تمثالاً خالداً وفتح باباً واسعاً بعد ان كانت احوال الزمن قد اغلقت ابوابها عليه ، فتح باباً ونافذةً نخرج من عزلته ومن ضائقته يتنشق الهواء النقي . اذ ان في الامثال لحكمةً ورشاداً للمعتبرين

استعمل عقله والحاجة ام الاختراع فاخترع ذلك المثل : في الحركة بركة وحرّك بضاعتك تباع

يعني ان القائل في الحركة بركة ، ان لا يقف الانسان اذا عاكسته

---

(١) ذكرنا في ما تقدم بعض اسباب الضائقة المالية المنتشرة في اميركا في ذلك الزمن على قدر ما عرفناه منها وقتئذ . ثم ذكرنا بما يلي بعض الاسباب للنجاة من تلك الضائقة . وهي تدل بعض الدلالة على ما خامر حينئذ التجار السوريين في اميركا من الوهم والخوف والجمود وقت نزول تلك الضائقة بهم فاقعدهم عن العمل لصدّ ضررها عنهم ام تخفيفه بمختلف الحيل والتدابير التي يوحيها اليهم ذهنهم الثاقب او تدلهم عليها الخبرة والتجاريب التي اكتسبوها بمخالطتهم التجار الاميركان واحتكاكهم بهم زهاء نصف قرن ...

احوال الدهر مكتوف اليدين . واردفها بقوله حرّك بضاعتك تباع فانه لا يعني ان تنقل بضاعتك في مخزنك من رفّ الى رفّ وان يكن في نقلها بعض الفائدة من حيث صيانتها من العث والغبار ، ومن امعان النظر في اصنافها ومراجعة ما هو رائجة سوقه منها او غير رائجة وما هو غالي السعر ورخيصه وما قد كسدت سلعه ، او لم تكسد الى غير ذلك مما تنبّه اليه فكرة التاجر فيحتاط للامر بكل وسيلة فعّالة لبيع الكاسد منها مع الرائج . وتباع السلع الكاسدة اذا تنبه ذلك التاجر لهذا المثل القائل (لا تجد فولة مسوسة الا وجدت لها كيالاً اعمى) فاذا فكر وتأمل وسعى وكل ذلك حركة دلّه عقله ليفتش عن المشتري وعن كيفية الوصول اليه فقد يجده اذا استعمل الوسائط لذلك وهي سهلة : واهونها الاعلانات في الجرائد السيارة اليومية ثم الباعة المتجوّلة والسماسرة . وكل تاجر يعرف ذلك لكنه متوقف عن عمل ذلك بمجرّد تسلط وهم الضائقة عليه فاقعده عن الحركة . ففي الجمود موت ولا احد يريد ان يموت جباناً

الاعلانات حركة ... ومنها فائدة وفيها بركة فلمَ لا تعلن بضاعتك وتظهر مزاياها ورخص اسعارها وجديدها . ألم يقنعك ما تراه من الاعلانات لزميلك التاجر الاميركي . ألم تر اعلاناته وتفتّنه فيها

ربما اشترى ذلك التاجر الاميركي منك صدفةً صنفاً من البضاعة وما كاد يستلمه منك حتى اعلن في اليوم الثاني عنه ، فاقبلت الناس عليه واشترته وكان ذلك الصنف عندك مخزوناً ومقفلاً عليه اشهراً فلم تعلنه للناس فكيف يعرفون ما عندك ... ؟

ومن المضحك المبكي ان بعض التجار السوريين الذين كانوا يعلنون في الجرائد ونالوا شهرة بواسطة تلك الاعلانات قد قطعوا اعلاناتهم اليوم للتوفير في مالهم لظنهم ان اسواق التجارة كاسدة . فهذا غلط فاضح لأن الاعلانات عن البضائع هي بمنزلة البضاعة ورأس المال . فاذا لم يكن

عندك بضاعة ولا رأس مال فكيف تتاجر (وهل البيض يقلى بالهواء) والتجارة ميدان عراك فان لم تثبت في الميدان هُزمت . واذا ثبتَ فيه خمس دقائق اكثر من عدوك ظفرت . تلك حقائق رائعة راهنة فتحرك واستعمل فكرتك فتنجو من الضائقة ...!

الدنيا تهتز فلا تقع . فاذا كانت الاسواق كاسدة وجامدة فلا تخف فاستعمل عقلك وفكّر وكن صاحب حركة ففي الحركة الفكرية والمادية بركة

لا تكوننّ للامور هيوباً فالى خيبة يصير الهيوبُ

زرّاع البندوره

وسنحدثك الآن عن زرّاع البندوره ومن حديثنا تفهم ان بين هؤلاء مَن عوّض خسائره وعرف ان الدنيا تهتز فلا تقع وان التجارة مغامرة ومخاطرة ومزاحمة ، ومن جملة اساليبها صبر ومكر وانتهاز الفرص وتجرع الغصص واستمداد الآراء ومداهنة الاعداء ، والخلاصة ان التاجر يجب ان يستعمل فكره ليلاً ونهاراً في ادارة تجارته واذا كان ممن يحب النوم فليغمض عيناً وليفتح الاخرى فذلك اضمن له وابقى

في الحركة بركة —

حوالي بيروت مزارع صغيرة قائمة على جوانب المياه كالشياح وفرن الشباك ونهر بيروت وضبية وجل الديب وانطلياس وغيرها من المزارع والضياع حيث المياه متوفرة فكلها تزرع البندورة التي هي من المواسم الهامة لان صنف البندوره من المأكولات الطيبة والنافعة والضرورية

وبالطبع ان سوق بيروت واهاليها تستهلك البندوره وكان سعرها يصعد ويهبط بالنسبة لقلتها ام كثرتها فبيع رطلها بمتليك وبالطبع كان ذلك قبل الحرب فخسر الزرّاعون في تلك السنة واقسم معظمهم بان لا يزرعوا البندوره في العام المقبل وهكذا فعلوا ، اما القليل منهم ممن يستعملون فكرتهم فرأوا ان الفرصة سانحة ولا مغامرة فيها اذ عرفوا ان لا كساد لسوق البندوره فهي صنف

مأكول مرغوب فيه ولا غنى عنها فاغتنموا فرصة تنحّي غالب بقية الزارعين عن زرعها فزرعوا منها في ذلك العام اضعاف ما كانوا يزرعونه من قبلُ بقدر ما تسمح لهم مساحات ارضهم وباعوا رطلها باضعاف مضاعفة عما باعوها قبلاً فربحوا وعوّضوا خسائرهم الماضية

فاذا كان زرّاع البندورة استعملوا عقولهم فدلتهم على الطريق الذي يغتنمون فيه الفرص وعرفوا بان الدنيا تهتز فلا تقع وعرفوا كيف يحتلون مكان الجبان والهيوب والمتضجر فما بال بعض تجارنا في اميركا وخصوصاً في نيويورك وهم المحاطون باحذق تجار الدنيا من الاميركان يرون من اساليب هؤلاء الفنانة في بيع سلعهم وبضائعهم فيغفلون عن ان يتشبهوا بهم ويأخذوا عنهم بعض تلك الاساليب للبيع والمساعدة عليه ، يرون ان التاجر الاميركي يؤمن بان الاعلان عن سلعه وبضاعته ركن من اركان تجارته فيخصص قسماً من رأس ماله لنشر الاعلانات لبيع بضائعه

ومع ذلك فترى ان القسم الاكبر من تجارنا والبعض منهم قد افلحوا واشتهروا واغتنوا بواسطة الاعلانات في الماضي يسحبون في هذه الايام الضيقة اعلاناتهم من الجرائد وما السبب في ذلك ؟ . — لاجل تقليل النفقات . اذ الاسواق كاسدة والاحوال سيئة على زعمهم وان اسمهم قد طبّق الافاق وهم مشهورون معرفون واسمهم بات محفوراً على صفحات القلوب ، وان اصناف بضائعهم منتشرة رخيصة لا يمكن لغيرهم ان يزاحمهم بها ولكنهم تناسوا ان اسعار اصناف سلعهم تصعد وتهبط وان منها ما يتغير زيُّه ويتحسّن نقشُه وان في كل يوم شيئاً جديداً ومحلات جديدة تؤسس لا يعلمون عنها شيئاً فاذا لم يكن اسمهم بارزاً على صفحات الجرائد في اعلاناتهم المشوّقة باتوا منعزلين ومقفلاً عليهم بابواب تجّروها بايديهم وماتت تجارتهم وهم غافلون ، واذا سألتهم ما بال تجارتكم جامدة اجابوا من عطل السوق . واذا قلت لهم بان غيرهم ممن يتعاطون اصناف تجارتهم فالحون اقرّوا وقالوا ان

غيرنا وان يكن موفقاً يبيع من البضائع اكثر مما نبيعه فهو ليس باشد ذكاءً منا ولا اقدر مالياً ، لكنهم بعد اقناعهم بفلاح زملائهم يقولون ان لاولئك الزملاء باعة جوّابة تنهب الآفاق نهباً في طلب بيع البضائع وينفقون على الاعلانات في الجرائد كثيراً من المال فهم مبذّرون مغامرون ، واذا قلت لهم ان المال المنفق على الاعلانات هو عُشر ما يربحونه من ورائها بدليل اتساع شغلهم وكثرة رواج سوق سلعهم وبضائعهم ، اجابك : الله يعلم ، ولكني معاهد نفسي على ان لا اميل الى المخاطرة وكثرة النفقة ، واذا قلت له بان من اراد ان يحصل على العشرة يجب ان ينفق التسعة ، اجابك تلك مخاطرة « وليس المخاطر محموداً ولو سلما » . ومتى قلت له ان على التاجر ليبقى في الوجود في اشتداد الضائقات ان يخاطر بقسم من امواله حرصاً على مركز تجارته من الضياع وان التجارة كلها مخاطرة ومغامرة وان في تضحية قسم من رأس ماله حياة للقسم الاكبر منه سكت ووجم وربُط لسانه .

فتعرف عند ذلك ايها المحدَّث ان ذلك التاجر مضعضع العقل سائر في مركب تجارته ولا دفة له مسلّم اموره للتقادير فهو في خطر قريب اشد من الخطر الذي تصوّره

— كيف ينجو التاجر من الضائقة —

في الحركة بركة — لو شبهنا الضائقة بنهر جارف تريد عبوره فتفتش عن الجسر وان لم يكن موجوداً فتبنيه وان لم يكن في امكانك بناؤه فتقطع اشجاراً وتضم بعضها الى بعض وتعبر عليها الى الجهة الثانية حيث خلاصك والا فهلاكك ان لم تتحرك وتعمل ، وفي كل يوم مشاكل ومعاضل اذا تركتها ضيّقت عليك سبل النجاة فاذا ادمنت اعمال فكرتك على حلّها انحلت وتقطعت اوصالها فتفرج وقد قال تأبط شراً الشاعر العربي :

اذا المرء لم يحتل وقد جد جدّهُ اضاع وقاسى عمره وهو مدبرُ

ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلاً به الخطبُ الا وهو للامر مبصرُ
فذاك قريعُ الدهر ما عاش حولٌ اذا سُدّ منه منخرٌ جاش منخرُ

اي اذا أُغلق عليه باب فتح الاخر فلا ينكفّ

— استعمل عقلك — شدّد قلبك — لا تخف —

مات منذ ايام سليمان برناتو جوبل المكنّى بسولي جوبل وكان ملك الالماس والذهب والنحاس وقد وُلد في افريقيا الجنوبية من اب وضيع الاصل وكان الاب صاحب حانة لبيع المسكرات ... وما ترعرع جوبل حتى صار اغنى الاغنياء بجدّه واجتهاده هذا مع قطع النظر عن صدف النجاح والسعد التي ترافق في بعض الاحيان الفالحين المسعودين ، على ان تلك الصدف قد اغمضت عينها عن ذاك العصاميّ حين ابتدأ بنهوضه من حضيض الفقر الى اوج الغنى واليسر

وقصته : ان بعض البويريين في تلك الاصقاع كانوا يشترون حجارة الالماس من الاهالي في الارياف وكان جوبل يشتري بعضها منهم دون ان يخبروه عن مصدر مشتراها

فاعمل فكرته واستنبط حيلةً بانه بحاجة الى حصان ليركبه في بعض حاجاته واشترى حصان زعيم تجار الالماس من البويريين بعد ان غرّه لبيعه بدفعه له مبلغاً طائلاً من المال اضعاف ما يساوي . وركب جوبل الحصان ومضى الى حيث كان يذهب ذلك التاجر البويري لمسواق الالماس من الفلاحين في الارياف تاركاً للحصان العنان . فذهب به الحصان الى بيوت الفلاحين التي تعوّد ان يقف فيها صاحبه الاول بيتاً فبيتاً واكتشف جوبل مصدر مشترى الالماس باستعماله فكرته وتضحيته بالمال لنيل بغيته . ولما مات كان قابضاً على عِنان سوق الالماس

متى استعمل الانسان عقله دلّه على وقت الحلّ والربط وساعة الفرّ والكرّ فيبقى متوازناً باعماله اما اذا ادركه جمود العقل تضعضع فاختلت ميزانيته فضاع وقضى عمره متضعضعاً

ثم ان الخوف يضعضع عقل الانسان وقد خسر كثير من التجار اموالاً طائلة خوفاً من الضائقة النازلة بهذه البلاد ، ومنهم من امّحى اسمه من سجلّ التجار ، ولمه ؟ لانهم خافوا فماتوا خوفاً ولو عرفوا ان الشجاعة في الحروب والتغلّب على الشدائد مصدرهما العقل والفكرة لتدبروا وعاشوا غانمين شاكرين

ومن هذا القبيل حكاية — ان احد الاطباء الاتراك كان راكباً عربة ومتوجهاً الى اسطنبول فمر بطريقه على امرأة عجوز مترجّلة ووجهتها اسطنبول ايضاً ، فاستوقفته طالبةً الركوب فاركبها بجانبه ولما التفت اليها وحملق عينيه فيها هاله منظرها ، فسألها : مَن أنتِ ؟ قالت : انا مرض الهواء الاصفر فامرها للحال بترك عربته ولكنها اقنعته بان يتركها راكبة الى ان تصل الى اسطنبول ووعدته بانها لا تميتُ وتهلك هنالك اكثر من خمسة اشخاص لا غير واعطته عربونا على القيام بوعدها هذا خنجراً ليقتلها به اذا زاد عن الخمسة عدد الذين تميتهم بمرضها . فرضي الطبيب بشرطها وتركها راكبة حتى اذا بلغت اسطنبول مات بالهواء الاصفر ١٢٥ شخصاً . فحنق الطبيب وتميز غيظاً ... ثم عادت تلك المرأة اليه بعد مرور عشرة ايام حسب وعدها ، فاستلّ لوقته الخنجر المذكور وهمّ بطعنها قياماً بالشرط فاوقفته وقالت له :

— لم يمت بدائي غير خمسة اشخاص واما المئة والعشرون الباقون فقد ماتوا خوفاً ورعباً من دائي

وقد اماتت الضائقة وخنقت واهلكت تجاراً بشدتها عددهم يعد قليلاً بالنسبة لمن هلك وذهب ضحية الوهم والخوف

وكانت عقيدة سارية في سورية انه من يخف الامراض تصبه . والتجارب تعلمنا انه اذا لاقيت فارساً في ميدان القتال حاملاً عليك فان تخوّفت منه اشتد عزمه فاتلفك اما اذا هاجمته خاف وادبر

فما بال التجار السوريين متخوفين من الضائقة وكساد الاسواق جامدين

لا يتحركون ولا يستعملون العقل والفكرة والحركة ؟ ففي الحركة بركة

ولم لا يعلنون في الجرائد عن بضائعهم وسلعهم ويشوقون الزبائن للمشترى مفتشين عنهم باي وسيلة فعالة تدلهم عليها فكرتهم المبتكرة فيقبلون عليهم من كل صوب وحدب ومن اي جهة ومن اي حفرة ومن اي طريق ومن حيث لا يأملون

والدنيا تهتز فلا تقع . ومن لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب

جهود الرئيسين هوفر وروزفلت لمكافحة الضائقة المالية في اميركا ونتائجها منذ سنة ١٩٣٠ الى يومنا هذا

ذكرنا في ما تقدم بعض الذي فعله الرئيس هوفر لتخفيف وطأة الضائقة وذلك بان اعطى الموراتوريوم اي ارجاء دفع ديون الدول لاميركا لمدة سنة او سنتين وكان ان تلك الدول بدلاً من ان تدفع ديونها بعد انقضاء مدة ذلك الموراتوريوم تمنعت عن دفعها كلها بل البعض منها دفع قسماً قليلاً من دينها كانكلترا مثلاً ثم توقفت فيما بعد عن دفع الباقي . اما فرنسا فلم تدفع شيئاً من ديونها كذلك المانيا وحجة فرنسا كانت ان المانيا لم تدفع لها ديونها . وحجة المانيا كان افلاسها وحذت بقية الدول في دفع الباقي من ديونها لاميركا حذو المانيا وفرنسا وانكلترا ...

ولو ان الدول المديونة لاميركا دفعت حينئذ لها كل ديونها البالغة نحو ١٢ الف مليون دولار ذهباً لاجتمع في خزينة حكومة اميركا مع ما كان عندها منه ٩٠ في المئة من الذهب الموجود في العالم اجمع ولانقلب التوازن الاقتصادي العالمي واشتدت الضائقة العالمية الى حدّ لا يطاق وسهُل على الامم وقتئذ ان تثور على حكوماتها واغنيائها ومتمولها ثورة تأكل الاخضر واليابس وفطن لذلك الامر الخطير دهاة السياسة وحكومات الدول فتباحثوا فيه

وتبصروا مع اميركا في نتائجه الماثلة من وراء الستار وتناجوا فيما بينهم على تلافيه بان لا تدفع تلك الدول المبالغ الباقية من ديونها لاميركا مستعملين الاساليب والمناورات السياسية لبلوغ ذلك

وهكذا نجحت اميركا بديونها العظيمة تخفيفاً لوطأة الضائقة العالمية الخانقة ومنعاً لما من اشعال الثورات الشعبية وطغيان الفوضى في العالم

ولما تسنّم روزفلت كرسي الرئاسة في اواخر سنة ١٩٣٣ جرّب ان يخفف من وطأة الضائقة باساليب فنية أريد قبل ان اذكر بعضاً موجزاً منها ان استأذن القارئ ليسمح لي بذكر شيء عن اخلاق الامة الاميركية وما امتازت به من الصفات الطيبة والعبقرية في تصرفاتها ابّان حدوث تلك الكارثة الماثلة :

تمهيد :

دوهمت اميركا والعالم اجمع منذ اواخر سنة ١٩٣٣ بجمود حركة الاشغال ووقوف دولاب الاعمال الى درجة كان يصعب على المرء هنالك مهما كان ذا مقدرة واجتهاد ان يقوم باود عياله حتى انه كان يُعدّ سعيداً ممن تمكن وقتئذ من ان يوازن بين دخله وخرجه ..

بيد ان هؤلاء كانوا اقلية ضئيلة في تلك البلاد الطيبة بهوائها وسمائها واخلاق سكانها . تلك البلاد التي كانت من قبل محجة الفقير للارتزاق السهل الهيّن ، وقد اصبحت والحالة هذه ، خلاف ما كانت عليه في الزمن الماضي . اذ ضاقت فيها سبُلُ العيش ونضب مُعين الارتزاق عند فريق عظيم من سكانها

« لماذا احتمل الشعب الاميركي بصبر عجيب متاعب الضائقة ؟ »

واذا سألت لماذا احتمل شعب اميركا متاعب تلك الضائقة الخنّاقة والضاربة اطنابها في بلاده . — أجيبك ان شعب اميركا خليط الانساب ومعظمه اوروبي الاصل متحدّر من امم مختلفة العنصر . هاجر اجداده

طلباً للرزق في بلاد بكر . فاضطروا للكد في سبيل ذلك بهم جبارة وحاربوا الهنود سكانها الاصليين زمناً طويلاً منتزعين البلاد منهم تدريجاً مقاسين في ذلك الاهوال ...

وتعود اولئك الاجداد التعب والنصب واستسهال المصاعب والمشاق واورثوا تلك الفضائل المكتسبة والخصال الحميدة أحفادهم ابناء اليوم. — وامتزج مختلف عناصر تلك الامم بعضها ببعض وتكون منها شعب ثاقب الذهن ، جسور ، مقدام ، صبور على الشدائد والبلوى ، مطيع لزعمائه ، ليّن العريكة مخلص ، قرّاع للدهر وتصاريفه ، معالج عند الحاجة الحاضر بالحاضر ، اذا أغلق عليه باب فتح الآخر ، وهو بعيد عن الانانية والتحاسد ، ذو نوايا حسنة وورع طيب السريرة ، متكاتف سعياً ورآء غاياته السامية في حياته الاجتماعية والسياسية والقومية

— « الكويكر » وميزات الامة الاميركية —

ان فريقاً غير قليل من الامة الاميركية هو متحدر من امم مختلفة العناصر لكن معظمه من الامة الانكليزية .. نزح عن بلاده منذ ثلاثة قرون هرباً من الاضطهادات الدينية هنالك وطلباً للحصول على حرية المعتقد في اميركا البعيدة . وتمازجت تلك العناصر واورثت احفادها فضائل عبقرية ممتازة . لا سيما ذلك الفريق الذي يدعونه (الكويكر) الموصوف بطهارة النفس ومحبة الانسانية والسلم والعدالة والتقوى ومعظمه مقيم في ولاية بنسلفانيا حتى الآن

والامة الاميركية لا تزال فتية في عزيمتها ونشاطها وقوة عقولها متحفزة لشق الطرق الصعبة وخلق كل شيء جديد للوصول الى اهدافها باسرع الاساليب وابرعها . تشهد على ذلك اعمالها الضخمة التي تعجز عن ادراكها اعظم الدول

على ان تلك الامة لم تكن تهتم بالمشاريع والمعدات الحربية في الزمن الماضي لعدم الحاجة الى ذلك . لكنها عندما دعتها الضرورة في هذه

الايام العصيبة وجهت كل اهتمامها الى هذا الامر واعتنت به كل العناية وستوازن عظيم اعمالها الآتية بهذا الخصوص على قدر قوة عزائمها في اعمالها الماضية كقيامها بالمشاريع الاقتصادية والانشائية والصناعية والتجارية والعمرانية وغير ذلك ولله درّ المتنبي الذي قال :

على قدر اهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

كل ذلك قد رأيناه رأي العين ولمسناه لمس اليد مما ادهشنا الى حد انه لم يمكنا السكوت عنه وقد مال بنا عن موضوع بحثنا الذي نعود اليه

— كيف تحمّل الشعب الاميركي شدة الضائقة ؟ —

تحمّل الشعب الاميركي بصبر عجيب شدة الضائقة النازلة في بلاده بسبب مكارم اخلاقه الموروثة كما تقدم ذكره في حين انه كان قد مرّ به زمن طويل تعوّد فيه البسطة في العيش والترفّه مما كاد يكفي بنظرنا ليذهب بفضائل تلك الاخلاق الطيبة الموروثة . — وقد ساعد متموّلو ذلك الشعب الكريم بمروءة نادرة المثال جميع اخوانهم البائسين المحتاجين للقوت الضروري

كما ان الحكومة الاميركية والبلديات زادت المكوس والضرائب على العقارات والتجارة وفرضت ضرائب خاصة على المتمول . — والاموال المجموعة من كل ذلك قد انفقتها بسخاء في سبيل مساعدة العاطلين والمعوزين لايوائهم واعاشتهم مع عيالهم عيشة راضية قريبة من الترف

والاعجب من ذلك انه ما كنت تسمع تذمراً ولا شكوى من فداحة تلك الضرائب المتتابعة والثقيلة معاً مع تفاقم شدة الضائقة الخانقة .. هذا عدا الاسعافات الخيرية والمواعظ الروحية التي تبذلها الجمعيات الخيرية والدينية والادبية ، وموآساة الشعب وملاطفته بعضه لبعض في جميع معاملاته وادوار حياته بحيث لم يبقَ واحد من ذلك الشعب العظيم منسيًّا لم يصبه ذلك الاسعاف المادي والروحي . هذا فضلاً عن الاسعافات المادية الافرادية المتواترة .

اساليب مكافحة الضائقة الاقتصادية في اميركا ونتائجها

هوفر واساليبه منذ ١٩٢٩ ــ ١٩٣٤
وروزفلت واساليبه منذ ١٩٣٤ الى يومنا هذا

قلنا فيما سبق ان الضائقة الاقتصادية نزلت باميركا في اواخر سنة ١٩٢٩ وكان هوفر رئيساً على تلك البلاد في ذاك الزمن الى اواخر سنة ١٩٣٣ فجرّب ان يكافح تلك الضائقة ببعض اساليب ذكرناها مفصلة فيما تقدم : ــ

منها الموراتوريوم اي ارجاء دفع الديون التي لاميركا على الدول لمدة سنة او سنتين وهو اسلوب قد تنفّذ وقتئذ فعلاً وكانت النتيجة ان ديون تلك الدول لم تدفع لاميركا بتاتاً بعد مضيّ مدة ذلك الموراتوريوم مما خفف كثيراً من شدة الضائقة المذكورة وكان له تأثير حسن في مجرى الحالة الاقتصاديه العالمية والاجتماعية معاً ...

ومن اساليب هوفر لمكافحة تلك الضائقة مقاومة اميركا روسيا اقتصادياً منعاً للثانية من طرحها مختلف سلعها وحبوبها ومنتجاتها في الاسواق العالمية باسعار زهيدة لا تجارى احدثت في تلك الاسواق ضرراً بليغاً وزادتها كساداً وغير ذلك من الاساليب الفنية الاقتصادية التي جرّبوا في اميركا ان يكافحوا بها تلك الضائقة الشاملة دون ان يخرج حينئذ معظمها من حيز القول الى حيز العمل ...

والسبب في ذلك التردّد وقلة الخبرة والتقيُّد بل التمسمر بعادة الاستمرار على سياسة واساليب الاشغال والامور الاقتصادية السالفة التي كانت تدار حركتها حتى ذلك العهد تحت اشراف حكومة الحزب الجمهوري الاميركي نحو اربعين سنة متوالية ...

ولا يخفى ان في اميركا حزبين متناظرين احدهما جمهوري والآخر

ديموقراطيّ يتناقضان في سياسة البلاد الاقتصادية والداخلية وغيرها ...

وانتهت مدة رئاسة هوفر الذي كان من الحزب الجمهوري في اواخر سنة ١٩٣٣ وخسر ذلك الحزب من ذاك الزمن تقلد احكام البلاد . وفاز بعد ذلك بالانتخابات الحزب الديموقراطي فوزاً مبيناً فاستلم منصة الاحكام وادار بسياسته البلاد

ـــ اساليب روزفلت في مكافحة الضائقة منذ ١٩٣٤ الى يومنا هذا ـــ

وانتخب الحزب الديموقراطي في اميركا روزفلت رئيساً على البلاد في بداية سنة ١٩٣٤ ... وهو متحدّر من أسرة عريقة في الحسب والنسب اشتهرت بكرم اخلاقها وانجبت افراداً عبقريين كتيودور روزفلت الرئيس السابق لاميركا في سنة ١٩٠١ ـــ ١٩٠٨ وكان شهيراً بادارته الحازمة وجرأته النادرة ...

وسعى الرئيس الجديد منذ اعتلى منصة الرئاسة الى انعاش الاسواق التجارية الكاسدة في اميركا فاقفل في اول الامر كل المصارف الاهلية في البلاد لمدة اربعة ايام متوالية حتى اذا صفّت تلك المصارف حساباتها وابرزت للحكومة ميزانياتها امدّ وقتئذ بنك الحكومة الفيديرالية بالمال اللازم لبعض تلك المصارف التي انقصت الكارثة المالية رؤوس اموالها ، ثم سنّ لها روزفلت القوانين الجديدة منعاً لافلاسها وتأميناً لاموال الشعب المودعة فيها

ومن جملة تلك القوانين عدم السماح لتلك المصارف بان تشتري مختلف الاسهم لحسابها وان لا تتخذ الاسهم المالية تأميناً على تسليفها الاموال مما هو شبيه بقوانين مصارف كندا الاهلية التي لم تؤثر في مراكزها المالية الضائقة العالمية اقل تأثير

وكان ذلك العمل المفيد الحميد باعثاً الثقة في النفوس وهلّل الشعب الاميركي لله واكثر الدعاء لروزفلت

— جمع الذهب —

وجمع روزفلت الذهب والاوراق المالية الذهبية اينما وجدت في اميركا ووضعها في صناديق مصرف الحكومة الفيديرالية واقفل عليها واعطى لقاء كل ما جمعه من الذهب واوراق العملة الذهبية المتداولة عملة من الورق غير مكفولة الدفع بالنقد الذهبي

وبهذا العمل منع تسرّب ذهب اميركا الى الخارج اذ ان عيون الدول الاوروبية حينئذ كانت شاخصة ابتغاء الحصول عليه بعد ان كانت قد اخذت منه حتى ذلك الزمن ما يزيد عن الالف مليون دولار

— تخفيض قيمة الدولار —

ثم ان روزفلت استمدّ من مجلسي النواب والشيوخ السلطة لتخفيض قيمة الدولار الى نصف قيمته فقط ، فنالها — .والغاية من ذلك رواج تجارة البلاد الداخلية والخارجية ومكافحة المزاحمات الاجنبية وتحسين الحالة الاقتصادية عامةً ثم المحافظة على عدم ذهاب ذهب الحكومة المخزون لسدّ عجز ميزانية الحكومة ودفع ديونها الطارئة بالدولار المخفّضة قيمته

— ادارة الانعاش الاقتصادي الاهلي —

ثم من جملة مشاريع روزفلت لانعاش الاسواق الكاسدة في اميركا ومكافحة الضائقة مشروع واسع النطاق اسموه ادارة الانعاش الاقتصادي الاهلي وعليه كان متوقفاً محور تدبير وسياسة انعاش حالة الاسواق الكاسدة في اميركا وفي الخارج اذ ان الدنيا سلسلة متصلة حلقاتها بعضها ببعض لا سيما وقد اصبحت اميركا بعد الحرب العالمية ميزان التجارة والمالية في المعمور ...

وقد وضع الرئيس روزفلت على رأس ذلك المشروع الجنرال جنسون الذي تقدم الى كل ارباب مختلف الصنائع والتجارات وغيرهم من ارباب الاشغال القائمة عليها اقتصاديات اميركا بان يجتمع كل فريق منهم على حدة لسنّ الانظمة الاقتصادية ووضع برامجها على اساس خدمة المصلحة العامة

قبل المصلحة الخاصة وذلك بتسيير الاشغال على محور اقتصادي متوازن ...

— في سبيل ارضاء العامل والمتمول —

ثم تُعرض تلك الانظمة والبرامج على ادارة الانعاش الاهلي المذكورة لقبولها وتسجيلها عندها بعد النظر فيها وتعديلها على ما يوافق هدفها في انعاش حالة كساد الاسواق وصيانة ذلك التوازن الاقتصادي من الانهيار

« ومن روح تلك الانظمة والبرامج ان لا يقع بين المتعاقدين مزاحمة مضرّة وان لا تزيد كمية مختلف المنتجات على مثلها من المستهلك تلافياً لتضخم الاسواق بمختلف تلك المنتجات وما ينجم عن ذلك من تدنّي اسعار السلع ووقوف حركة دولاب الاسواق التجارية

— تقليل ساعات العمل وتحديدها —

ومن تلك الانظمة ايضاً تقليل ساعات العمل الاسبوعية للعمال وتحديدها ٣٠ الى ٣٥ ساعة في الاسبوع فقط بعد ان كانت تتراوح بين ٤٨ — ٦٠ ساعة ، فهذا الفرق من الوقت الحاصل في الاسبوع يشغله فريق من العمال العاطلين .. وعليه فقد هبط بعد اجراء هذه العملية عدد العمال العاطلين من ١٣ مليوناً الى ١٠ ملايين

— اجور العمال —

وقد بقي غالب اجور العمال العالية على حالها ، اما الاجور المتدنية من قبل فارتفعت وصار ادناها ١٢ دولاراً اسبوعياً بعد ان كان متراوحاً بين ٦ — ٧ دولارات في الاسبوع

— المساواة بين العامل والمتمول ومشاركتهما —

واقنع روزفلت ارباب الصنائع والحرف والتجار بان يقبلوا لانفسهم بارباح معتدلة او بما دونها ، وما زاد عن ربحهم هذا يوزع على العمال لتزداد اجورهم فيمكنهم حينئذ ان ينفقوا عن سعة وتزيد بذلك قوة المستهلك اذ ان العمال هم

الاكثرية الساحقة في كل امة وحجر الزاوية لتحريك دولاب الاشغال التجارية

وبذلك يعوض اصحاب رؤوس الاموال ما وزعوه من ارباحهم وهكذا دواليك — اعطني لاعطيك ...

وفي توزيع الارباح على تلك الصورة من المساواة والمشاركة بين العامل والمتمول ما يشبه المبادئ الشيوعية المنظمة او الاساليب الفاشستية الاشتراكية الجارية بهذا الخصوص . وذلك من المجاري الطبيعية للاشغال التي تحولت عنها اميركا في الماضي واضطرت كما ترى الى ان تعود اليها في زمننا الحاضر اذ ان الطبيعة ثابتة لا تتغير

— الفلاح الاميركي —

بقي الفلاحون الاميركيون رازحين تحت اثقال ديونهم ورهون املاكهم لهبوط اسعار محصولاتهم من قطن وقمح وذرة وغير ذلك الى الحد الادنى — فساعدهم روزفلت بان سنّ نظاماً خاصاً بهم يمنع به مبيع املاكهم المرهونة في المزاد العلني عند الاستحقاق من الشركات المسترهنة وخيّر تلك الشركات اما التمهل في المبيع او فالحكومة تشتري وتستفك لحسابها بالاموال المرصدة لاعانة الفلاح تلك الاملاك المرهونة اما نقداً او تعطي المسترهن سندات مالية على الخزينة تدفع في آجال معينة بفائدة خمسة في المائة — ولا يخفى ان مختلف سندات الحكومة المالية في اميركا معفاة من رسوم الدخل فقبلت تلك الشركات بهذا الحل وباعت معظم الاملاك المرهونة عندها من الحكومة التي احتفظت بحجج املاك واراضي الفلاح ومقتنياته لمدة خمس سنوات دون ان تطالبه في اثنائها بدفع شيء ما من قيمة المشترى او الرهن الا بعد انقضائها اما قيمة الوركو والفائدة فيدفعها سنوياً للحكومة التي قامت كما ترى مقام المسترهن

— الملاّك الصغير —

وهكذا فعلت حكومة روزفلت مع الملاك الصغير في المدن الذي لا يزيد ثمن بيت سكنه المختص به وبعائلته عن ١٥ الف دولار

— الموازنة بين المنتجات والاستهلاك —

ورفع روزفلت اسعار القطن بان وضع ضريبة ٤ في المائة على كل القطن المنسوج واوصى الفلاح بان لا يزرع من القطن والقمح الا مقدار ما يمكنه بيعه باسعار رابحة — فمتى كان الانتاج قليلاً كانت الاسعار حسنة . وعوّض على الفلاح من ريع ضريبة الاربعة في المائة المذكورة خسارة نقص كمية انتاجه اذعاناً لوصية روزفلت وهكذا جرى على محصولات القمح والذرة وغيرها بوضع ضريبة تعويض ثانية

وفي هذا ما يشبه حسابات الجنزير او «الدوبيا» التي لا تكون صحيحة الا بالموازنة العادلة .

— روزفلت يحتكر الادمغة المفكرة —

واستعان روزفلت على وضع تلك المشاريع لمكافحة الضائقة بدهاقنة الرجال المفكرين والنابغين والاختصاصيين حتى لقبوه بمحتكر الادمغة المفكرة في البيت الابيض ..

ومع ذلك لم يبخس الشعب الاميركي والعالم فضله بل عدّوا ذلك منه فطنة وعبقرية وزادوا في اكرامه ومحبته . فازداد حماسةً ونشاطاً في تنفيذ تلك المشاريع العظيمة التي لا بد من نجاحها — فان لم تنفذ وتنجح كلها فبعضها — والكحل احسن من العمى — والبرهان على ذلك ان قد تحسنت حال الاسواق هنالك ونقص عدد العمال العاطلين نحو ٢٥ في المائة — لذلك العهد اي لاواخر سنة ١٩٣٥ ...

— خلق اشغال للعمال العاطلين —

وعدا تلك الاساليب والمشاريع التي قام بعملها روزفلت في مدة السنوات الاربع الاولى من رئاسته فقد بقي غيرها لم تذكرها فعلها روزفلت في ذلك الزمن وبعده. فقد وضع مشاريع اشغال عامة لتشغل العمال العاطلين كانت اميركا ليست بحاجة ماسّة اليها : منها مشروع غرس الاشجار في الاراضي الخالية منها والعناية

بالاحراش القديمة .. ومنها مشروع الاشغال العامة : كبناء الخزانات العظيمة لاجل الري وتوليد الكهرباء وفتح الطرق في البلاد وتعبيدها : وبناء الجسور الجبارة وغير ذلك من الاشغال العامة التي انفق عليها روزفلت الوف الملايين من الدولارات .. مما سبّب عجزاً فادحاً في ميزانية حكومته لم تبلغ قيمته ما بلغته في هذه الايام

ومع هذا فلا يزال روزفلت عاملاً متابراً على استنباط المشاريع ووضع الاساليب رغبةً في مكافحة الضائقة في بلاده غير مبال بالنفقات الباهظة في هذا السبيل ... — ومع كل ذلك فالضائقة لا تزال سارية في اميركا تخف وطأتها آونةً وتشتد اخرى ، للاسباب التي اسهبنا ببيانها في ما سبق . وان نتيجة ما يجريه روزفلت اليوم من الجهود الجبارة في مكافحتها وازالتها ليس الا مداواة الحاضر بالحاضر — بالمسكّنات والمخدّرات ...

التطوّر في الرقي الصناعي والزراعي وانتشاره بين الامم وانتقال ادواته اليها هو من اسباب الضائقات العالمية الاقتصادية

هل تعود الحالة الاقتصادية في اميركا والعالم كما كانت عليه من قبل بعد زوال الضائقة الاقتصادية الحالية ؟ — (ملحق)

بقي عدة اسباب تحمل على الظن بل على التأكيد بان حالة الاسواق في اميركا والبلدان الصناعية في العالم لا تعود الى ما كانت عليه في سابق عهدها من الرواج والحركة العادية ...

واهم تلك الاسباب تطور الرقي الصناعي والزراعي وانتشاره بتوزيع ادواته على البلدان التي كانت خالية منها . ولنأخذ مثلاً على ذلك اميركا الشمالية فهذه البلاد كانت حتى زمن ماض قريب قابضة على عنان الصناعة والزراعة وحدها بين امم القارة الاميركية وغيرها من الامم فضلاً عن انها كانت قد

تقدمت تلك الامم في استغلال ثروتها الطبيعية من معادن وزيوت وما اشبه وكانت تُصدِر كل ما فاض عن استهلاكها المحلي من مختلف المنتجات الصناعية وغيرها الى اميركا الجنوبية كالبرازيل وخلافها من الامم الحالية حينئذ من كل تلك المنتجات مما كان بالطبع مورد ثروة عظيمة لاميركا وحركة رواج في اسواقها لا يستهان به ...

— مصائبُ قوم عند قوم فوائدُ —

ثم جاءت الحرب العالمية فتضاعفت صادرات اميركا من منتجاتها على انواعها الى الدول التي شغلتها تلك الحرب عن ان تنتج صناعتها وزراعتها وقتئذ مختلف المنتجات الكافية لحاجتها مما افاد اميركا اقتصادياً افادة جلىّ وحملها على ان تحوّل كثيراً من معاملها الصناعية الى معامل مختصة فقط بصنع الاسلحة والذخائر الحربية، وضاعفت اميركا عدد معامل المأكولات المقدّدة والمحفوظة بالعلب ووسّعت نطاق زراعتها واصدرت منتجات كل ذلك الى اوروبا مما شغل وقتئذ اليد العاملة عندها . ورفع اجور العمال الى مستوى عالٍ حتى صارت اجرة العامل المساعد في اليوم الواحد لا تقل عن ٦ — ٧ دولارات

وكان ذلك فرصة لاميركا نادرة المثال لرواج اسواقها وكسب الاموال الطائلة لقصور صناعة وزراعة تلك الدول حينئذ بسبب الحرب عن الانتاج الكافي لسد حاجتها واضطرت تلك الدول الى ان تشتري من اميركا النقص الواقع في ذلك الانتاج مما ادى من جهة ثانية الى كساد اسواقها وخسارة اموالها وبوار اراضيها

وليس ذلك كله من الامور الطبيعية التي يمكن القياس عليها في بحثنا هذا بل الذي يمكننا من ذلك هو الاستنتاج بان « مصائب قوم عند قوم فوائد » وبعبارة ثانية انه حيث الصناعة موجودة فالاسواق رائجة وحيث هي مفقودة فالاسواق كاسدة — اما بعد الحرب العالمية فتغيرت الحالة الاقتصادية جملةً في اميركا والعالم كل التغيّر عن قبل

ففي سنة ١٩٢٢ وقعت ازمة اقتصادية عالمية انحدرت فيها اسعار السلع والبضائع وغيرها عن قبل الى ٥٠ و ٦٠ في المئة وبقيت تنحط الى ان استقرت على مستوى متناسب مع الحالة الاقتصادية الشاملة وقتئذ . وكسدت بسبب ذلك الاسواق العالمية زمناً وجيزاً ارتكزت فيه يومئذ اسعار الاشياء على المستوى المومى اليه . ثم عادت الاسواق الى حالة عادلة طبيعية من الرواج والحركة والاسعار بالنسبة الى مثلها قبل وقوع ازمة سنة ١٩٢٢ واستمرت على ذلك الى سنة ١٩٢٧ — ومن سنة ١٩٢٨ اخذت تعود حركة الاسواق القهقرى رويداً دون ان يشعر بها الا من كان جهاز شعوره قوياً حتى اذا جاءت اواخر سنة ١٩٢٩ أصيب العالم بغتة بتلك الازمة الاقتصادية الهائلة التي لم تزل حتى الآن سارية في اميركا وفي العالم بالرغم من بذل الجهود الجبارة لمكافحتها

— التطوُّر الصناعي ورقيه وانتشاره وانتقال ادواته —

قلنا ان من اسباب الضائقة الاقتصادية التطور الصناعي الذي حصل في العالم بعد الحرب العالمية اذ قد انتقل حينئذ ذلك الرقي الصناعي بفنونه وادواته من مصدره الاول اي من الدول المتقدمة في هذا المضمار الى الامم المتأخرة فيه فخسرت بذلك الدول المتقدمة في الصناعة اسواقها التجارية في بلدان تلك الامم المتأخرة

لان تلك الامم التي كانت متأخرة في الرقي الصناعي والاقتصادي اجمالاً نشطت بعد الحرب فتمكنت تبعاً لعامل التطور والرقي المفطور عليه الانسان ان تنشئ صناعة في بلادها وترقيها وتستغل ثروتها الطبيعية مما استغنت به عن منتجات اميركا وغيرها وحازت بذلك على استقلالها الاقتصادي

وكيفية ذلك انها اشترت من الخارج حاجتها من الادوات الصناعية والزراعية وغير ذلك من الآلات المنتجة الفنية الحديثة المتقنة واستعانت برجال الخبرة والفن وبالاختصاصيين من مختلف الامم المتقدمة في شوط

الصناعة والامور الاقتصادية وغير ذلك مما يؤول الى النمو والرقي الصناعي والاقتصادي جملةً

... ومما ساعد كثيراً على حفظ واطراد ذلك النمو والرقي في تلك البلدان المشار اليها دون اقل مانع هو حمايتها باقامة الحواجز ووضع التعريفة الجمركية العالية التي لا يمكن خرقها واجتيازها لمساواة الامم بين كبيرها وصغيرها في الحقوق والواجبات بفضل قوانين عصبة الامم وانظمتها مما لم يكن من قبل ــ .

اذ انه قبل تأسيس تلك العصبة كانت القوية من الدول تفتح في بلدان الدول الضعيفة المستقلة عنها باحكامها او التي استعمرتها وحكمتها اسواقاً اجبارية بعامل القوة والسيطرة لتصريف مختلف منتجاتها . وكانت تربط تلك الدول الضعيفة المستقلة بمعاهدات مبرمة اقتصادية لمصلحتها وتحظر عليها بالقوة نكث العهود والمواثيق . وبذلك كانت تغلّ يدها عن السعي للرقي الصناعي والاستقلال الاقتصادي . واما في تلك البلدان المستعمرة المغلوبة على امرها فلا حاجة بالطبع الى مثل تلك المعاهدات

وبالنظر الى الرقي الصناعي والنمو الاقتصادي جملةً في تلك البلدان الضعيفة المتأخرة التي كانت تحتلها الدول القوية المتقدمة في هذا المضمار احتلالاً اقتصادياً ألغى ذلك الاحتلال الاقتصادي للاسباب المتقدم بيانها مما خفف من حركة رواج اسواق اميركا وبقية الدول القوية السابقة اقتصادياً . ــ ولا يمكن اعادة حركة تلك الاسواق ورواجها الى ما كانت عليه سابقاً الا باضمحلال عصبة الامم والرجوع الى ذلك العهد البائد ...

تشهد على هذا كله المشاهدة الاقتصادية الواقعة اليوم بين مصر وانكلترا وقد وصفها بمقال مسهب الاديب السيد عبد الحميد العبد نشره في جريدة الاهرام المصرية عدد ١٩٢٧٥ بتاريخ ١٣ ـ ٥ ـ ٣٨ نقتطف بعضه ونورده هنا تأييداً لبحثنا المتقدم الذي كنا كتبناه منذ ثماني سنوات وطويناه ولم يتيسر لنا نشره الا اليوم

وقد ترى في بعض ما جاء في مقال السيد عبد الحميد المذكور من التهديد والتعليق والمواعيد لانكلترا شيئاً كثيراً . وهذه الدولة كانت لعهد قريب تشرف على ادارة مصر واحكامها ومقدراتها وسياستها . ثم استقلت مصر عنها استقلالاً ناجزاً منذ زمن قريب وعُقدت حينئذ بين تلك الدولتين معاهدة سياسية اقتصادية قيدت مصر بشروط اقتصادية راجعة بالطبع لمصلحة انكلترا الدولة القوية . وترى في ذلك المقال كيف ان مصر الدولة الضعيفة المقيدة في تلك المعاهدة تتخبط في قيودها باذلة اقصى جهودها لتحطيمها عند مجيء الزمن لتنهض صناعة وزراعة واقتصاداً ولترفع مستوى معيشتها واليك بعض ما ورد في المقال المذكور :

لنكشير الغاضبة (١)

« على اثر زيادة الرسوم الجمركية على وارداتنا من المصنوعات القطنية ارتفعت اصوات لنكشير بالشكوى ووجهت الحكومة الانكليزية احتجاجها على هذه الزيادة . ولم تكتفِ لنكشير بالاحتجاج بل عمدت الى الضغط والتهديد فلوحت بمقاطعة القطن المصري ثم عادت فهددت بانقاص مشترياتها منه . ثم قال مهدداً بالمقاطعة :

« فلنكشير لن تعمد الى مقاطعة القطن المصري ولا الى انقاص مشترياتها منه لانها لا تشتريه الا لما فيه من مزايا ينفرد بها من بين اقطان العالم والى قطننا يرجع اعظم الفضل في شهرة لنكشير في الصناعة القطنية وقطننا بما فيه من مزايا قد مهد للمهارة الصناعية الانكليزية طريقها الى الشهرة التي وصلت اليها

« فواردات مصر من انكلترا لا يمكن ان يستهان بها سواء ما كان منها

---

(١) لنكشير مقاطعة في انكلترا مشهورة بصناعة انسجتها المتقنة

منظوراً ام غير منظور ومصالح الانكليز واموالهم المستثمرة في مصر ليست قليلة الاهمية وهذه المصالح الضخمة والاموال الوفيرة لن تكون بمأمن من الضر الذي تهدد لنكشير بالحاقه بنا ونظن ان عقلاء الانكليز اقدر منا على تفهم مصالحهم في مصر فلنترك لهم تدبر امرها

«تطالب لنكشير بنظام الحصص مبررة طلبها بان الميزان التجاري لصالح مصر وهي لو حسبت واردات مصر غير المنظورة من انكلترا لاعتقدت العكس ولقد وجهت اعتراضات مقنعة على نظام الحصص وفرغ من امرها فاذا الزمت مصر باتباع نظام الحصص ارضاء لنكشير فهناك مصالح انكليزية اخرى سوف تصاب بضرر قد لا يكون من الهين على انكلترا احتمال نتيجته فهناك بعض البلاد التي يظهر فيها الميزان التجاري في غير صالح مصر

«ان مصر الزراعية التي يزداد عدد سكانها زيادة سريعة والتي تريد ان يرتفع مستوى معيشة شعبها وتضمن له قسطاً ولو يسيراً من التعليم والثقافة لا يمكن ان يكفيها مواردها الزراعية لتقابل بها هذه المطالب كما ان مسؤولياتها الجديدة بعد المحالفة الانكليزية الاخيرة تتطلب اموالا لا يمكن للنشاط الزراعي ان يحتمل ثقلها مهما تتوسع مصر في هذا الميدان ، فليس امام مصر الا الميدان الصناعي لتستطيع ان تسد هذه المطالب . والصناعة وحدها هي الميدان الوحيد الذي تعول عليه مصر لانقاذ موقفها امام مشكلة العاطلين التي يوشك شرها ان يتفاقم . واعتقد انه ليس في مصلحة انكلترا ان تظل مصر الحليفة ضعيفة تلتمس منها العون والمساعدة

«مصر تريد ان تتسلح والمعاهدة تلزمها ان تجعل سلاحها صنو سلاح الجيش الانكليزي ولا يغيب عن البال ان مصر ستكون عميلاً لا يستهان به لمصانع الاسلحة الانكليزية ، فتزداد وارداتنا من انكلترا زيادة مستمرة يستحق الذكر وستكون نفقات التسليح التي تبلغ الملايين عدًا خير عوض لانكلترا عن مئات الالوف التي قد تستغني عنها من الاقمشة القطنية الانكليزية

اذا تحققت مخاوف لنكشير

«ونحن من جانبنا نعتقد ان هذه المخاوف في غير موضعها اذ ان ازدهار الصناعة في مصر سوف يرفع مستوى المعيشة ويزيد القدرة الشرائية في الشعب فتزداد وارداتنا ونتوقع ان يكون لانكلترا اوفر نصيب من هذه الزيادة بحكم العلاقات الودية التي تربط الشعبين الآن ، والاحصائيات الانكليزية نفسها تؤيد وجهة نظرنا . اذ انه عندما ازداد الانتاج الصناعي في انكلترا في المدة بين عام ١٨٥٠ ــ ١٩٠٠ الى اربعة اضعافه زاد استهلاك الشعب الانكليزي للقمح والاقمشة بالنسبة نفسها دون اي نقص

«ومن حق مصر ان تطلب الى حليفتها العظيمة وهي التي تنتظر منها ان تكون سنداً وعوناً لها في الشدائد ان لا تضع العراقيل في سبيل نهضتها وان تدعها تسير في طريقها لتأخذ مكانها بين الامم فمصر الصديقة قد صممت على ان تحيا الحياة الجديدة لشعب وضع اساس المدنية ورفع منار العلم والعرفان وقد استمدت مصر من شباب فاروقها القوة والفتوة وستصل الى غرضها مهما لاقت من متاعب وصعاب

«لقد صمم الشعب على ان ينهض ويرقى ولا توجد قوة في الارض تستطيع ان تمنع هذا الشعب من الوصول الى غرضه الا اذا استطاعت ان تدك اهرام مصر وتحطمها وتفني الحياة من وادي النيل وتجعله صحراء قاحلة تخلو من الزرع والضرع »

دوام حركة الحالة الاقتصادية وما تحدثه في تقلّب اطوارها من رخاء او ضيق اقتصادي وتغيُّر في اوضاع الانظمة الاجتماعية والمعاشية والسياسية

تبين مما تقدم ان الحالة الاقتصادية العالمية في حركة دائمة قد تحدث في الامم تارةً رخاءً اقتصادياً زاهراً او طبيعياً عادلاً وطوراً ضائقات اقتصادية شديدة او خفيفة الوطأة وكل ذلك الى حدٍّ محدود . وتحدث ايضاً عدا ذلك تطوراً وتغيراً في اوضاع الانظمة الاجتماعية والمعاشية والسياسية . وكل تلك التطورات محيطة بالانسان إحاطة السوار بالمعصم ومرافقة له في جميع اطوار حياته ...

ثم ان حالة الضائقات الاقتصادية تكون على وجهين . فالوجه الاول يكون عارضياً غير جوهري قصير الزمن موضعياً تنجم غالباً اسبابه عن الحروب الدولية والثورات الأهلية التي توقف حركة الاشغال حتى يزول ذلك العرَض

والوجه الثاني يكون اساسياً جوهرياً عاماً طويل المدى او قصيره مسبباً عن تطوّر وتغيُّر وضع مراكز الدول اقتصادياً

على ان تلك التطورات الاقتصادية كانت ولا تزال في حركة دائمة مندفعة الى الامام في وجهاتها بعامل الطمع الفطري الانساني وتراها في زمن واحد تنفع فريقاً من الدول وتضرّ بالفريق الآخر كذلك في الدولة الواحدة — تنفع المتموّلين الرأسماليين وتضرّ بالعمال مما لا يمكن معه والحالة هذه حفظ الاعتدال في النفع والضر بين الفريقين ، بحيث لا يكون فريق في نعيم والآخر في جحيم والسبب في ذلك هي الفرص السانحة التي يغتنمها المتيقظ القوي المتقدم في استعمال رقيه الاقتصادي لاكتساب المنفعة لنفسه دون غيره ويدأب في استدامتها محتاطاً لها متسلحاً بقوته محارباً ومؤلفاً الشركات المحتكرة المستبدّة صدًّا للفريق الآخر اللاحق به والمزاحم له واستئثاراً بطلب الرزق والغنائم وحده حتى يقوده طمعه الى منع المزاحمة العادلة المبنية على التنافس المفيد والمجاراة

لتوفير اسباب طلب الرزق . . .

بيد ان منع تلك المزاحمة العادلة على تلك الصورة المستبدّة هو من ابواب تعدّي القوي على الضعيف وهضم حقوقه المشروعة في طلب الرزق ومختلف مطالب الحياة مما لا يمكن احتماله...

لذلك تنشب الحروب المهلكة وتهرق الدماء وتشعل الثورات الاهلية وتتولد مختلف المذاهب من اشتراكية وسياسية وغيرها التي من شأنها مقاومة القوي المتمول المستبد وانصاف العامل الضعيف منه ، وهذا بتوطيد اركان اسباب التوازن الاقتصادي الطبيعي في طلب الرزق وتسهيل سبل تحصيله على جميع الطبقات بالسواء

وقد يقوى مذهب الاشتراكية فيستبدّ بالمتموّل الذي يضطر والحالة هذه الى الامتناع عن استثمار امواله في الاسواق مما يساعد على وقوع الضائقات الاقتصادية

وربما تطرّفت الاشتراكية بضغطها فتتحوّل حينئذ الى شيوعية تهدّم من الاساس اركان الحالة العادية القديمة من اقتصادية واجتماعية . فتقع من جراء ذلك الضائقات الاقتصادية الكبرى الواسعة التي يطول مداها وينقلب عندئذٍ النظام الاساسي الاقتصادي والاجتماعي رأساً على عقب

وهكذا ترى ان الحالة الاقتصادية هي في حركة دائمة في تقلّب اطوارها وتاثيرها في تطور الانظمة الاجتماعية والمعاشية ، وان الضائقات الاقتصادية على اختلافها واقعة لا محالة بين آونة واخرى ، وان فقدان التوازن الاقتصادي الطبيعي هو السبب الاكبر لكل تلك العلل بل الداعي الاساسي الى اثارة تلك الحركة الدائمة الاقتصادية في مختلف الوان تطوراتها ونتائجها

— المساواة والموازنة مفقودتان —

فترى انه بينما ينعم هذا الفريق مترفهاً يشقى الفريق الآخر بائساً . وذلك من الادلة الواضحة على ان المساواة والموازنة مفقودتان بحكم الطبيعة البشرية في مختلف ادوار حالتي الانسان المعاشية والاقتصادية وغيرهما

وقد جاء في القرآن الكريم « وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضكم بعضاً سخرياً »

ونعيد القول بان اصلاح فساد الضائقة الاقتصادية العالمية قائم بفسادها وبكلمة ثانية اذا ساءت الاحوال صلحت بسوئها ...

وعليه متى زالت الضائقة بذلك العامل الوحيد الشافي الطبيعي تعود الاسواق الى رواجها بعودة الانسان طبعاً وضرورة الى ترميم وتجديد ما هدمته الضائقة من بنيان اسباب رزقه ولو اقتصر الانسان في طلب الرزق على حاجته الضرورية منه لكان في سعة ورغد من العيش — لكن اطماعه الفطرية في طلب كماليات العيش وغيره تدفعه منقاداً الى التوسع في ذلك البنيان والمزيد عليه حتى يضيق به فيقصر عندئذ عن ادراك تلك المطامع اذ يقع في اشراك الضائقات الاقتصادية التي نصبها لنفسه والتي لم يكد ينجو منها حتى عاد من حيث نجا فوقع فيها

المعيشة في الحقول والمزارع

— تقيك متاعب وبلايا الضائقات الاقتصادية —

وافضل الحلول لقضية الضائقات الاقتصادية واصلح الامور للقنوع وقليل الصبر في هذه الحياة الدنيا للتخلص من شر تلك الضائقات وتوابعها وما يتأتى عنها من المتاعب والمصائب وللتأمين على عيشة راضية ، ان يترك اشغال المدن الصناعية والتجارية ويذهب الى الحقول ويشتغل في زراعة الارض التي برهنت على انها عامل امين صادق اذا سلمها حبة قمح ردتها عشرات فتطعمه وتكسوه وتأويه بقليل من التعب وبرأسمال يسير يزيد مع الايام وبعيش في بحبوحة العيش وهنائه بعيداً عن الانانية والتحاسد وامراض الضائقات الاقتصادية الفاتكة

بيد ان الازمات الاقتصادية لا تؤثر في معيشة الزارع تأثيرها في الصانع لان الاول يعتمد على الارض لمعيشته وهي ينبوع خيرات طبيعي ثابت لا

ينضب واما الثاني فاعتماده على الصناعة وهي ينبوع خيرات اصطناعي متقلب زائل محتمل النضوب

والفرق بين الحالتين ظاهر

وعليه فالبلاد الزراعية هي في مأمن حريز من شدة ضرر وطأة الضائقات الاقتصادية بخلاف البلاد الصناعية التي تجتاحها تلك الضائقات فتقودها الى الفقر والذل والعيشة الضيقة التعيسة التي تسبب بلايا كثيرة لها وللمجتمع الانساني

لهذا ترى ان الحكومات المسؤولة تهتم بهذا الامر جل الاهتمام لمكافحة الضائقات الاقتصادية بتضحيات عظيمة دفعاً لتلك البلايا عن ذلك الفريق الاعظم من الناس

فالمناطق الزراعية الاميركية هي في حصن منيع من خطر الضائقات الاقتصادية في حين ان المناطق الصناعية فيها معرضة لمختلف اخطار تلك الضائقات

كذلك فرنسا فهي بلاد زراعية اكثر منها صناعية لم تؤثر فيها اضرار الضائقة الحالية تأثيرها في جارتها بريطانيا التي هي على عكس فرنسا في حالتيها الزراعية والصناعية

والبرهان على ذلك ان عدد العمال العاطلين في الثانية اكثر بكثير مما هو في الاولى

ولولا التضحيات العظيمة التي كانت ولا تزال تبذلها بريطانيا في مساعدة عمالها العاطلين العديدين منذ عشرين سنة لكان ازداد عددهم وكثر شقاؤهم

على ان روزفلت جرّب في جملة مشاريعه لتخفيف الضائقة الاقتصادية الحاضرة ان يقنع عمال الصناعة العاطلين بترك المدن والذهاب الى الحقول ليعيشوا من استغلالها . فلم يفلح لقلة المال المرصد عنده لهذا الغرض المفيد لشترى ادوات الفلاحة والزراعة اللازمة والاقوات الضرورية التي يتطلبها هذا المشروع الضخم وما يلزم ذلك من الاموال الطائلة فضلاً عن ان كثيراً

من العمال لا يميلون الى السكنى خارج المدن وليس من طبعهم مزاولة الزراعة .. وقد كانت بيد روزفلت مشاريع هامة لمكافحة الضائقة دعت الضرورة الى تنفيذها قبل ذلك المشروع الضخم المفيد الذي لو نفذ وقتئذ لخففت شدة الضائقة في اميركا ٥٠ بالمئة

ولا بد من العودة بحكم الضرورة الى ذلك المشروع الزراعي وتنفيذه في اميركا او في اي بلاد ثانية هي صناعية اكثر منها زراعية بالنظر لاضطراد انتشار الرقي الصناعي ونموه وزيادة انتاجه على الحاجة منه وتوزيع ادواته والغنى بالآلات الحديثة الغنية عن اليد العاملة فضلاً عن سد منافذ تصريف المنتجات الصناعية كما ذكرنا سابقاً سواء أكان في داخل البلاد ام في خارجها مما يضعف كله قدرة الشراء ويدعو الى كساد الاسواق بالاجمال ويضطر حينئذ الانسان ان يرجع رغم ارادته الى امه الارض ليعيش

الخلاصة ان عودة الانسان الى طلب الرزق في الزراعة واستثمار الارض من انجع العلاجات للشفاء من امراض الضائقات الاقتصادية .. والله اعلم

الاستاذ اميل اده

والسياسة اللبنانية

الازمات التي يعانيها لبنان وهل يمكن معالجتها ؟

في عام ١٩٣٠ كنت في نيويورك تاجراً اسعى وراء الرزق ولكني كجميع المهاجرين اللبنانيين كنت التقط اخبار بلادنا العزيزة بلهفة وتشوق . وبما اننا كنا هناك في جوّ بعيد عن العنعنات المحلية والتحزّبات الطائفية فقد كنا نحكم على الاخبار التي تحملها الينا الصحف اللبنانية بكثير من التجرد وحب المصلحة العامة

في ذلك العام ألّف الاستاذ اده رئيس الجمهورية الحالي الوزارة واصدر قراره المعلوم في تنظيم شكل التعليم . فالغى بعض المدارس مستنداً الى نظرياته الخاصة

وما ان وصلت هذه الاخبار الى نيويورك حتى احدثت هنالك ضجة كالضجة التي قامت في هذه البلاد ، وانقسم المهاجرون بين منتقدين ومحبذين

وانا الذي اتاحت لي اشغالي التجارية الاحتكاك بالمحامي الكبير بالامس واللبناني الاول اليوم ، كنت من الفريق الثاني ، وادركت ان الاستاذ اده لم يلغِ بعض تلك المدارس الا لتحويل اللبناني الذي بارت ارضه ، واقفرت مزارعه الى محراثه ومنجله ليعيد لهذا الجبل لونه الاخضر وغاباته الغبياء وحقوله النضرة ، ومروجه المعطّرة ، ليعيد الى هذا الجبل فلاّحه ابنه الضال الذي ظنّ ان البركة تأتيه عن غير الحقل والمحراث ، فهجرها الى المدن ، واكتظت به وبامثاله المدارس ، فبعد ان كانت جبال لبنان

وسهوله مصدر الكرمة والتين والزيت والزيتون والصنوبر والخضر والحب وما اشبه اصبح لا يُصدر الا اطباء ومحامين ومهندسين وتجاراً ومثقفين عاطلين لم تفتح لهم الشهادات المدرسية العالية التي يحملونها ابواب المستقبل

وقد حدث وقتئذ ان احدى امهات الصحف اللبنانية النيويوركية قامت بحملة عنيفة على مشروع اقفال المدارس وتحاملت على الاستاذ اده تحاملاً منكراً فلم يكن مني سوى ان بادرت الى ادارة تلك الجريدة وقابلت رئيس تحريرها الذي كان احد اصدقائي وطرحت عليه السؤالين التاليين :

١ ــ أتعرف الاستاذ اده ومكانته الحقيقية في لبنان ؟

٢ ــ أتظن ان هذه النظريات التي تكتبها خافية على رجل عليم كامل الثقافة كالوزير اللبناني

وعندما لم يشأ ذلك الصحافي ان يقتنع بالحجج الراهنة التي سردتها لحضرته لم يسعني الا ان ارد عليه ــ بالرغم من صلات الصداقة التي تربطنا ببعضنا ــ في صحيفة لبنانية اسمها النسر النيويوركية بالمقال التالي المدرج بتاريخ ٤ ـ ٣ ـ ٣٠ قلت :

***

اقفال المدارس في لبنان

ويل الهون من ويلين

تسنم الاستاذ اده رئاسة الوزارة اللبنانية وبيده برنامج اصلاحي يتضمن مشاريع الري وتقليل عدد المحاكم والموظفين وغيرها من المشاريع الاصلاحية المحتاجة اليها البلاد اللبنانية وجاءها به يوم كانت البلاد ، ولا تزال تتدهور اقتصادياً الى هوة الاضمحلال

جاءها بذلك البرنامج ولوح به على رؤوس الاشهاد منادياً : في هذا

البرنامج حياة لكم ان كنتم تعضدونني . فناصره المجلس النيابي ونادت به البلاد منقذاً . فقلل عدد الموظفين والمحاكم حباً بالاقتصاد وهو مشروع قديم وضعه منذ عدة سنين وطالما منّى نفسه بانفاذه . وترك مشاريع الريّ الى ان يتم سواها من المشاريع التي هي بنظره اجدر بتقديمها . ثم اقفل المدارس فقامت القيامة عليه متهمته باطفاء نور العلم الذي يسدد الخطوات ويصلح الزيغ والفاسد ويثير الهمم ويبسط فسحة الامل . والعلم في نظر الكثيرين جنة عدن وفي نظره اصبح في بعض انحاء لبنان مؤذياً لمصالح البلاد الزراعية ، بل سقما اعتراها من كثرة العلم والمدارس . ومثل العلم مثل من يأكل الطعام المغذي ويكثر من اكله لينمو الجسم وتقوى العضلات فتتخم معدته فيمرض ويستدعي الطبيب فيصف له الحمية . وان السقم اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب والعلم عندئذ كالمرآة بيد الاشل (وهو الرجل الذي اصيبت يده بالفالج) فلا تستقر على حال . فلا ينتفع بالنظر اليها لرؤية صورته فيها

وبالحقيقة ان هذا ما هو جار في لبنان فالمدارس قد كثرت وامتد رواق العلم الناقص بين الاهلين والمزارعين فاضرهم من حيث كانوا يرجون المنفعة اذ ان ما نراه اليوم ان المزارع يعلم اولاده لا ليستعينوا بالعلم على تحسين احوال زراعته وليساعدوه على القيام بمزرعته لا سيما ايام شيخوخته بل يعلمهم وينفق الاموال عليهم حتى اذا صاروا على شيء قليل من العلم اتفوا المحراث والمزرعة التي كانت تدرّ على والديهم الخيرات ونعيم العيش واعتاضوا عن المحراث بشق القلم يرجون من جر حبره على القرطاس خيرات غير خيرات مياه الستي التي كان اباؤهم يجرونها في حقولهم وبساتينهم فتحيا مزارعهم ، فهجر افرادهم الى المدن حيث يستعملون القلم الذي استبدلوه بالمحراث فطرقوا ابواب الاشغال فلقوها مقفلة فخاموا حول دواوين الوظائف فاذا بها مقفلة فتربصوا حتى تفرغ وظيفة فزاحم عليها مئات

نظيرهم وكان هذا شأنهم ردحاً من الزمن حتى ضاقت بهم البلاد وضاقت سبل الارتزاق بوجوههم بعد ان كانوا قد انفقوا ما انفقوه بين الرواح والمجيء والانتظار لايجاد عمل يرتزقون منه ولا عمل هناك . فاستعانوا بوالديهم ان اسعفونا بالاموال لنعيش فاسعفوهم مرة او مرتين ثم ضاقت يد الوالد عن اسعافهم اذ لا يد عاملة في مزرعته غير يده .

علّم ذلك المزارع اولاده ليعينوه فتركوه وذهبوا الى المدن ليشغلوا الوظائف العالية ويصيروا اغنياء وخواجات وسادة مستنكفين عن معاطاة الزراعة والحراثة لعلمهم الناقص وقلة دربة الوالد الذي اضطر في اخر الامر الى ان يبيع قسما من اراضيه او كلها ليسعف اولاده المعلمين الموجودين في المدن وهؤلاء لدى وصول المال الى يدهم اما ان ينفقوه كالاول معللين بالامال بوجود وظيفة او عمل او انهم يقطعون الامل من ايجاد شغل في بلادهم فيغادرونها الى حيث الرزق واسع . وهذه الحال درجت عليها البلاد منذ الاحتلال . والنتيجة ظاهرة . فقد فرغت البلاد من الايدي العاملة وكانت الجرائد تلج في الشكوى من المهاجرة وتطالب الحكومة بايقافها . وكيف توقفها وليس لديها عمل لاولئك المهاجرين اذ لو ابقتهم في البلاد لماتوا جوعا او قاموا بثورة ولا خوف من ثورة في لبنان بل الخوف من الفقر المدقع والجوع والشقاء وقد وصلنا اليه . وهل خلق الانسان ليشقى وهو متعلم . كيف تريد ان تنجح البلاد وزراعتها مهملة . بل كيف تريد ان تعيش سعيداً وانت ترفس سعادتك برجلك . تتعلم علوماً ناقصة وتأكل طعاماً شهياً وتكثر منه فيمرضك ويقعدك عن العمل . تأكل طعاماً لا يلائم جسمك لانك لم تعرف ان تطبخه . اصبح معدل المعلمين في لبنان علماً غير ملائم لروح البلاد ٧٥ في المئة ...

وهذا كثير على لبنان بحالته الحاضرة . انقلبت البلاد السورية اللبنانية فبعد ان كانت بلاداً تجارية قبل الحرب اصبحت بعده بفضل بترها عن

فلسطين وشبه جزيرة العرب والعراق والاناضول بلاداً لا يمكنها الاعتماد الا على زراعتها لكي تعيش واذا لم تحسنها ماتت البلاد واصبحت كالمستعمرات الافريقية وغيرها التي معظم اهلها فقراء لا يملكون من حطام الدنيا الا ما عليهم من قميص وبنطلون

وتحسين اقتصادياتها يكون باعمال الري والايدي العاملة . اما اعمال الري فقد وعد البلاد بها الاستاذ اده ولا اعتقده الا فاعلا منفذاً لانني اعرفه رجلا متوقد الذهن خبيراً مطلعاً يحب بلاده . وعدا ذلك فهو صادق اذا وعد وفى

اما الايدي العاملة في المزارع فمن اين يحضرها وقد فرغت منها تلك المزارع بفضل العلم الناقص

نظر الاستاذ فرأى ان ذلك التعليم هو من الاسباب الداعية الى هجران المزارع استنكافاً عنها فالغاه دفعاً لتفاقم ما هو اشد شراً على البلاد ونفسه تقول ويل اهون من ويلين ، الغاه في بعض المدن ومعظم القرى الزراعية للاسباب المتقدم ذكرها لا غير ، وغداً سنرى الايدي العاملة متوفرة هناك وبدلا من ان تلهو بقشور العلم الناقص الذي كانوا يرجون من ورائه المنفعة ينصرفون الى حراثة الارض والمكث فيها استدراراً لخيراتها فينفعون انفسهم وينفعون البلاد . ويقول المثل « مزارع مكفي ملك مخفي » في لبنان علم كثير ناقص وشغل قليل وزراعة باثرة وسياسيون كثيرون سلسون ولا منفعة بعلمهم — والسبب نقص في العلم وعدم معرفة تطبيقه على مقتضى الزمان والمكان

وربما يقول البعض ان المزارع اذا كان معلماً فهو يتقن زراعته فكيف باولئك المزارعين من رجال الغد ولا مدارس تعلمهم . فالجواب هو ان العلم في البلاد الزراعية في لبنان قد اضر اكثر مما نفع اذ كان مدعاة لهجران المزارع . هكذا يفعل العلم هناك بالمزارعين على العموم وفي كثير

من بلدان المعمور على الخصوص

فحتى الاستاذ اده بالمهم في الاقطار الزراعية اللبنانية ليُحيي الاهم ، ابعد عنها بعض امال العلم الكاذبة ومواعيدها البراقة الفارغة لردح من الزمن حتى اذا غابت عن الابصار نُسيت وفكر المزارعون بان لا حياة لهم الا بمزارعهم فيشمرون عن ساعد الجد في حراثتها والعناية بها واقاموا فيها حيث يجدون رفاهم وكانوا لغيرهم من اصحاب الحرف في لبنان على قلتها مثالا يقتدى به وكان ذلك سلّماً لرقي البلاد ولوفرة الثروة بين ايدي اولئك المزارعين فيتطلبون الوسائل الكمالية جرياً على سنة التطور الطبيعي المفطور عليه الانسان . تلك الوسائل المؤدية الى تحسين زراعتهم فنياً فتأخذ الحكومة اذ ذاك بيدهم اذ انها تجد امامها والحالة هذه اساس الزراعة موطداً فتبني عليه من توفير اعمال الري والبعثات الفنية الزراعية المتجولة في البلاد باوقات معلومة فتشرح للمزارعين الامور الفنية مشرفة على زراعتهم مسدية لهم النصائح مما يساعدهم على رقيها كما يفعلون في البلاد الراقية وخصوصاً في اميركا

والتوصل الى هذا الغرض شاق في البداية يلزمه الصبر مع الاجتهاد لبلوغه . واساس كل الامور هو المعوّل عليه . ووضع الاساس لا يتم بدون تضحية فالجندي يضحي بحياته صوناً لبلاده فاذا ضحينا قليلا من لذة العلم وفائدته لفائدة اجل فما ذلك بتضحية خاسرة بل هي صفقة رابحة وربحاً جزيلا هذا اذا قدرنا ان العلم نافع في كل حال من الاحوال وانّ في تضحية البعض احياء للكل .

فلو وصفوا لك ان تجرع جرعة زيت خروع تشفيك فهل تعرض عنها ؟ ان فعلت كان ذلك منك جهلا مطبقاً

واذا قدرنا ان العلم نافع في اي زمان ومكان وفي اي حال من الاحوال افلا يجوز ان ينقلب نفعه الى مضرة في بعض الازمنة والامكنة ؟ نعم

يجوز هذا . خذ لك مثلاً الخطط الحربية القائمة على العلم الصحيح والاختبار فقد كان النصر يأتي غالباً بالهجوم على الاعداء ولكننا رأيناه اليوم متأتياً بالتراجع القهقرى امام الاعداء وضم الاطراف والتجمع بالقرب من مستند حصين ثم الوثوب على الاعداء الذين اضناهم الزحف وفرقهم الابتعاد عن مواقفهم الحصينة . هكذا انتصر الجيش الاحمر الروسي على الجيش الابيض والاتراك على اليونانيين في معركتهم الاخيرة وحكومة نانكين الصينية على جيوش الثوار منذ شهرين

وكأني بالاستاذ اده قد تراجع بجيوش اصلاحاته امام جيوش العلم الزاحفة الى الامام منذ عرفناها في الاقطار اللبنانية الزراعية وغيرها الى حفظ الايادي العاملة في المزارع التي هي آخر حصن للبلاد ليثبت فيها مستجمعاً قواه ثم يثب الى تمزيق سواد اعدائها . ومن هم ؟ هم العلوم الناقصة التي لا تلائم حالة البلاد الان ومشربها وطباعها . السم قتّال نميت لكنهم يصفونه كعلاج لبعض الامراض فيشفيها

لكل شيء في هذه الدنيا حد حتى الحرية فهذه متى وصلت الى درجة تضر بالجماعات فقد وجب على العاقل تقييدها رفعاً لضررها وهذا ما جرى في ايطاليا فقام الشيوعيون هناك بعد الحرب العالمية وارادوا الاستيلاء على المرافق الصناعية والمعامل وتقسيمها على الاهلين اقتداء بشيوعي روسيا فردهم موسوليني عن طغيانهم واقام لهم اشتراكية منظمة في الاشغال والاعمال وحفظ بذلك لكل فرد حقه . وهذا حد للحرية الحقيقية ودفع موسوليني بالبلاد حتى ارتقت صناعتها وامتدت تجارتها وخيم الرخاء على ايطاليا .

ولو انه اتيح لشيوعي ايطاليا ما اتيح لمثلهم في روسيا لكانت ايطاليا تتخبط اليوم في دياجي الشقاء كما تتخبط روسيا البولشيفيكية

وقد تجاوزت البلاد اللبنانية حداً في العلم اصبح غير ملائم لاحوالها

فوجب ايقافها عند هذا الحد

وربَّ قائل يقول علم ابنك ولو لحد وكفر ، وهذا حد الرغبة في العلم . لكن العلم بنظرنا هو للمنفعة المادية اولا ثم للمنفعة الادبية والروحية والالحاد ضرر اجتماعي . لهذا وجب نبذ كل وسيلة للوصول اليه . فاذا لام ذلك القائل الاستاذ اده لالغائه التعليم في القرى الزراعية اللبنانية محافظةً على حياة المزارع اللبناني بل على حياة معظم البلاد كما تقدم ذكره يكون كمن لام طبيباً حاذقاً وصف دواء لمريض عرف تمام المعرفة مرضه وغابت عن اللائم معرفة اعراض ذلك المرض ... ومعرفة الساذج الجاهل بمنافع العلم كمن يسمع بوصف الدواء ذات المادة المسجلة الشافي من جميع الامراض المنتشر بكثرة في جميع الصيدليات ، الذي يُعلن عنه في جرائد الدنيا على اختلافها . عرف ذلك بما سمعه او قرأ عنه دون ان يكون قد كلَّف نفسه عناء التدقيق بالفحص عن اعراض مرض العليل ليعرف مكمن العلة فيه فيصف لها الدواء الناجع على السماع . فهو يعرف اذن سطحياً ان ذلك الدواء المسجَّل يشفي من عدَّة امراض كما انه يعرف ان العلم هو الدواء ضد الجهل وان العلم نافع في اي حال كان ، فكيف يمنعونه عن بعض الجهلة . ولكن فاته ان لهذا الجاهل عقلا يعيش به من دون العلم وانه اذا تعلَّم ضيَّع عقله بما زيَّنه له العلم فترك اسباب معيشته ساعياً وراء ظل العلم الذي لا يعرف ان يطبّقه على احواله الحاضرة فيضلّه بدلاً من ان يرشده سواء السبيل

واذا كنا كلنا سادةً تجاراً او موظفين بفضل العلم الناقص وقع الضرر لفقدان التوازن الطبيعي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية اذ ان الله جعل الناس طبقات وسخَّر كل طبقة لتخدم الاخرى فيعمر الكون ...

والعقّال في لبنان عارفون بالامر ولا بد من ايجاد اداة وصل فيربطون بها النقيضين باعادة المدارس فيما بعد وتعليم مبادئ الزراعة فيها عدا العلوم

الابتدائية والصناعية حسبما يرونه ملائماً لروح العصر واحوال الزمان والمكان وما ذلك الامر بعزيز على ارباب النهي المحبين لبلادهم

ومن اسباب الضجيج القائم الآن على اقفال المدارس سوء الاحوال في لبنان وقلّة موارد الرزق ، والقلة مجلبة الخصام . والاستاذ اده يجرب ازالة تلك القلة المتأتي معظمها عن هجر الزراعة التي هي امم الموارد ثروةً وارتزاقاً وسعةً كما تقدم لجانب كبير من السكان في لبنان ، ولا بد من ان يبذل جهده في توفير جميع الاسباب الموصلة الى بلوغ هذا الغرض الذي اذا لم تبلغه البلاد اللبنانية باتت تتسكّع في طريق الفقر وضيق العيش الى ما شاء الله من الزمن

***

هذا المقال المتقدم كتبته منذ ثمانية اعوام في المهجر

ولم اكن حينئذ الوحيد الذي انبرى للدفاع عن سياسة الاستاذ اده بل ان معظم حملة الاقلام في المهجر دافعوا عن هذه السياسة واتجهت الانظار جميعها هنالك الى الاستاذ اده كرجل الساعة الذي قد يكون يوماً ما مستلماً مقدّرات اللبنانيين

وها قد شاء حسن الحظ ان يتمّ ما توقّعه يومئذ المهاجرون ويعتلي الاستاذ اده منصّة رئاسة الجمهورية . ولكن الظروف الحاضرة لم تسمح للرجل الذي عقد عليه المهاجرون آمالا جساماً بتحقيقها جميعها ، ولماذا ؟؟

ان لبنان قطعة من الشرق ، والشرق جميعه دون استثناء — وهذه تركيا وايران وغيرهما اكبر شاهد على ما نقول — لم يصل بعد في تطوّر تربيته القومية والتعليمية والسياسية والفكرية والخلقية والاقتصادية الى درجة تمكنه ان يمارس حياته الدستورية الديموقراطية كالشعوب العريقة فيها

وفيلسوف الشرق المرحوم جمال الدين الافغاني تعمّق في درس اخلاق الشعوب ولا سيما الشعوب الشرقية وكانت خلاصة ذلك الدرس الدقيق ان

ترك للتاريخ حكمته الخالدة « لا يصلح الشرق الا بمستبد عادل »

ان كلمة استبداد مخيفة خصوصاً اذا رافقه الظلم وان الدولة تطرأ عليها العلل المختلفة وتحتاج الى العلاجات المختلفة ايضاً الى ان يُقضى على العلة فحينئذ تعود هذه الدولة الى ممارسة حياتها الطبيعية . فهذه ايطاليا كانت غارقة في بحر من الفوضى واوشك مركبها ان يغوص الى الاعماق لولا ان قيّض الله لها ربّاناً حكيماً مستبداً عادلاً فانقذها وخلق الاشتراكية المنظمة وقضى على نزاع الطبقات والمذاهب السياسية المتطرفة والمخيفة معاً في حين ان الدول الديموقراطية لا تزال تعاني وتقاسي منه الامرّين .. فاستطاع في سنوات قليلة ان يخلق ايطاليا جديدة وامبراطورية شاسعة بل ان الظروف الحاضرة اضطرت فرنسا حاملة لواء الديموقراطية الى الاخذ ببعض اساليب ذات سلطة واسعة قريبة من الاستبداد للقضاء على نزاع الطبقات فيها والمحافظة على سلامة نقدها بل على سلامة كيانها في آخر الامر .. وهذه هي وزارة دلاديه اليوم صرفت البرلمان لمدة موقتة بعد ان استمدّت منه سلطة اصدار المراسيم الاشتراعية بدون محاسب ولا رقيب ، وهكذا فعل روزفلت في عملية تخفيض الدولار ...

فما رأيك اليوم في احوال لبنان وما هو الدواء الناجع له ؟ الا يجب وضع حد لهذه الفوضى المنتشرة في كل ناحية من نواحيه ؟

اننا لا ندعو الى الديكتاتورية المطلقة في لبنان ، ولكننا نريد ان نقول ان حسن الحظ اوجد فيه على كرسي الرئاسة رجلاً ممتازاً متمتعاً بالمزايا التي تؤهله لخدمة الشعب اللبناني في انقاذه من الفوضى المعشّشة فيه كما انقذ غيره من الافذاذ الشعوب التي كانت حالتها كحالة لبنان الحاضرة

ومن المؤسف ان لا تتمكن البلاد من الاستفادة كل الاستفادة من هذه المزايا بسبب الوضع الحالي :

ان رجلاً كالاستاذ اده يكون على رأس الحكومة اللبنانية متمتعاً

بالصلاحيات الواسعة مع مجلس اداري حازم مخلص نزيه مساعد ، له رقابة ومشاركة محدودتان ، يمثل جميع الهيئات الشعبية والنقابات المنظمة يصل بسفينة الدولة الى الشاطئ الامين .

هذا رأي العقلاء المهاجرين والمقيمين من اهل البلاد ، نعرضه بكل نزاهة واخلاص غير متعمدين الزلفى والثواب .

***

ولا شك ان كثيرين سيرفعون عقيرتهم عند قراءتهم هذا احتجاجاً على هذه الدعوة التي ادعو اليها ويرمونني باني عدو الدستور واني من دعاة الحكم الفردي

ولهذا فاني اريد ان استبق مجاوباً على هذا الاعتراض . اني من المؤمنين بفائدة الحكم الدستوري ومن المؤمنين بحسن مستقبل الديموقراطية ، اذا لم تهرم فتضعف قواها ، لا سيما وقد قيض لي ان اهاجر الى البلاد الاميركية واعيش تحت سماء الحرية عدة سنوات ولكنني اعتقد ان بلادنا رغم ما تدعيه من ثقافة واهلية — لم تستوف بعد المؤهلات الكافية لممارسة الحكم الدستوري ، وحالتنا الحاضرة اكبر برهان على ذلك :

فالحكم البرلماني الوطني افلس في لبنان بل بات عاقراً واجدبت ارضه : ولكن رب قائل يقول ان المجلس النيابي اليوم لم ينتخب بحرية بل تحت ضغط الحكومة وانه لا يمثل الرأي العام اللبناني وانا اقول انه لو جرت الانتخابات بملء الحرية فهؤلاء النواب هم انفسهم كانوا يجيئون الى الندوة او بتغيير طفيف والذين يأتون مكانهم ليسوا بخير منهم ... وما ذلك الا لان الشعب اللبناني لم يعرف التكتل بعد ولم يتربَّ التربية السياسية الكافية ، على توحيد الاساليب الفكرية والخلقية فهو كان منذ القديم يتبع الاشخاص

ونفوذهم لا المبادئ ولا يزال يتبعهم الى اليوم

فمنذ عهد الحكم العثماني كان يدين بمبدأ الزعامة الشخصية يزبك وجنبلاط واليوم اده وخوري وغداً تتغير الاسماء ولا يتغير هذا المبدأ

فهذا تاريخنا وهذه اعمالنا وميولنا وهذه آثارنا تدل علينا فطباعنا وعاداتنا تابعة لمزاج محيط قديم بال وثن لم ننل في زمن من الازمان استقلالاً في الاحكام وتوسعاً في الحريات وبعداً في المرامي فانطبعت اخلاقنا بطابع ذلك المحيط الضيّق بحالاته ومراميه وجاءت اعمالنا على قدر قالب ذلك المحيط

ولا شك ان لبنان لم يعرف عهداً مارس فيه حكماً شبه دستوري ، وتمتّع بشيء من الحكم الذاتي الا من عام ١٨٦٠ حتى اوائل الحرب الكبرى وكان متصرّف لبنان حينئذ خاضعاً لمراقبتين — مراقبة مجلس الادارة ، ومراقبة قناصل الدول السبع التي كان لبنان تحت حمايتها ، ومع ذلك فقد كان اللبنانيون في ذلك العهد السعيد لا يشعرون بوطأة النير الذي في اعناقهم اليوم ، وكانوا ينعمون بكل فضائل الاستقلال التي لاجلها تجاهد الشعوب : — الكرامة القومية ، والامن ، والعدل ، والاقتصاد ...

ان الطبيب عندما يعالج مريضاً يجرّب مختلف الادوية ومختلف الاساليب والدواء الذي يراه انجع والاسلوب الافضل هما اللذان يستعملهما . ونحن قد جرّبوا عندنا مختلف الاساليب وعالجوا بمختلف الاحكام وكلها ظهر عجزها وافلاسها فلماذا لا يرجعون الى الاسلوب القديم الذي وافق مزاجنا واستعدادنا وعشنا في ظله سعداء ؟ لماذا لا يطبّقون نظرية الطب في امراض الشعوب ؟ فحاكم فردٌ موثوق باخلاصه ومقدرته ، ومجلس ادارة يمثّل الهيئات المنظمة — والتي يجب ان تُنظّم من صناعية وزراعية وتجارية واقتصادية جملةً « اليس من المؤسف مثلا ان لا يتاح لبيروت مرفأ الشرق وعاصمة التجارة فيه ، ان تنتخب نائباً يمثل الهيئة التجارية فيها ونائباً يمثل الهيئات الصناعية كما هي الحالة اليوم في مجلس النواب

الحالي ؟ » وتفصيل ثوب صغير لشكل الادارة يتفق ومواردنا مع الاستفادة من الموظفين الافرنسيين من الناحية الفنيّة فقط . — كل هذا يعيد الى لبنان ازدهاره ورونقه ولا يعود يأسف على تلك الايام السعيدة التي قضاها اباؤنا واجدادنا والتي ضرب بها المثل فقيل « يا سعادة من له مرقد عنزة في جبل لبنان »

وعندما يصبح لبنان اهلاً للحكم الدستوري وتتكمّل طبقاته ، وتصبح ارضه تربة خصبة للمبادئ ... ويتكوّن رأي عام يعرف ان يعبّر عن ارادته ويعرف ان ينتخب ممثّليه وتصير الزعامة الحقيقية للمبادئ لا للاشخاص ، فحينئذ يحق للبلاد ان تطالب بالحكم الدستوري وبالحياة الديموقراطية الحقّة ...

وان اردنا — يتمّ ذلك بزمن وجيز وبمختصر الطرق بالحاكم الفرد المتقدم وصفه الذي يرسم علناً بوضوح الاساليب والبرامج الاصلاحية لبلوغ تلك الاهداف ، فتنفّذ بحزم ومضاء في اوقاتها ومراحلها دون اقلّ منع او عرج والشواهد ماثلة امامنا عند بعض الدول المعاصرة ...

وبخلاف ذلك ، فقد يطول الزمن ويطول قبل ان نصل الى تلك المرامي ونبقى على ما نحن عليه اليوم ، نعيش في ظل حكم دستوري متنكّر ونمارس حياة ديموقراطية مموّهة . فالدستور عندنا عبارة عن رواية تمثّل على مسرحنا والشعب اللبناني يدفع نفقاتها من عرق جبينه ...

والخلاصة ان العبرة ليست بسنّ الانظمة بل بتطبيقها حق التطبيق فالانسان لا يستسيغ من الطعام الا الذي يوافق شهيته ومزاجه . وكذلك الشعوب لا تستسيغ من الانظمة الا التي تلائم امزجتها واحوالها . وقد يكون النظام الذي يلائمها اليوم لا يوافقها غداً والذي يوافق غيرها لا يوافقها هي

***

واليك ما كتبه مسيو « جاك بنفيل » عضو المجمع العلمي الفرنساوي في مقدمة كتابه « الديكتاتور » : —

« ان الدكتاتورية ، ككثير من الامور ، اما ان تكون احسن اشكال الحكم او اخبثها

« فهناك ديكتاتوريات مستحبّة وهناك ديكتاتوريات ممقوتة

« وسواء اكانت الديكتاتورية صالحة ام طالحة ، فالشعوب لا تختارها بنفسها لكنّ الاحوال غالباً هي التي تفرضها عليها ، وحينئذ ليس لها الا الاذعان للامر الواقع ..

« وانه لجدير بالتوصية بصورة خاصة ان لا تزجّ الشعوب نفسها في موقف لا يبقى بيدها بعد ذلك الا الخضوع التام لحكمه » اه .

وترى انه قد فُرض ذلك الحكم الفردي بحكم الضرورة على ايطاليا والمانيا وتركيا وايران وغيرها من البلدان فحوّلها من فوضى الى نظام ومن ضعف الى قوة ، وقد يأتي زمن ينقلب فيها الحكم الفردي الى ديموقراطي ...

وقد قال موسوليني : « كنت اشتراكياً مدة ١٥ سنة ثم تحوّلت فاشستيًّا وربما تحولت الى غير ذلك في مستقبل الزمن لما يوافق الزمان والمكان .»

بيدَ ان لبنان ، وحالته كما تقدم وصفه ، قد جرّب ما جرّب من طرق الاحكام فلم توصله الى هدفه الاسمى ولم يبقَ مفتوحاً امامه الا طريق الحكم الفردي . ففيه بنظرنا السلامة وبلوغ الغاية المنشودة . — فليقتدِ بغيره وليقتفِ آثارهُ وليأخذ دواءه ، فالتشبّه بالكرام فلاح كما ان الضرورة تقضي بذلك .. ولا تظنّوا ان في ذلك حطّاً من كرامة لبنان او خفضاً من اهليّته اذا قيّده ذلك الحكم حقبةً من الزمن تكون بمنزلة التكفير عن ذنوبه او بمنزلة الصوم لتنقية الجسم ، واماتة الشهوات الفاسدة ، وتقويم العادات المعوجّة . فلبنان محتاج اليوم الى هذا العلاج ! اذا فكّرتم وتدبّرتم وقارنتم واعتبرتم ، وتنالونه ان ضحّيتم وحسّنتم النيّات — وسعيتم وراء المصلحة العامة بقدر ما تسعون وراء مصلحتكم الخاصة ...

وان الذي تفعلونهُ من هذا القبيل اليوم قد فعله غيركم من قبل بل ربما جاء يوم فعلتموه مضطرّين .

الاغلاط المطبعية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧	٩	وحملها العبيد	وحمل العبيد
٢٧	١١	ان يحمله	الاّ يحمله
٣٢	١	انقذت	انفذت
٤٦	١	انيسو	انيسة
٥١	١٣	بما ليس يعدد	اموراً لا تعدد
٥١	١٥	عليها بالامثال	نادرة المثال
٥٥	١٥	وخيراً	واخيراً
٦٥	٥	بها احدى	اليها احد
٦٦	٦	بعينقين	بعينين
٧٦	٤	١٩٠١	١٩٣١
٨٨	٦	بنت	نبت
٨٩	١٦	١٠٤٨	١٦٤٨
٩٢	٢٠	الاحوال	الاحيان
٩٦	١٧	الواسعة كانت	الواسعة التي كانت
٩٦	١٩	لاجل	ولاجل
٩٩	٢١و٢٢	كيف ان نثق بعضها ببعض	كيف يثق بعضنا ببعض
١٠٦	١١	الاجور	ايجارات منازل الاصطياف
١٠٦	١٢	على انه	على ان
١١٠	٧	تقبيلهم له	تقبيلهم اياه
١١٦	٧	سكان بلادها	سكان انكلترا نفسها

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠٤	١١	العناية لامتداد	العناية بامتداد
١٢٣	١٩	يشدّ	يسدّ
١٢٦	١	الشواطئ	الخطوط
١٢٦	٣	الخطوط من تلك الشواطئ	الخطوط الفرعية منها
١٣٩	٩	ام صناعه	تجارةً ام صناعة
١٤١	١٤	يجب	التي يجب
١٤٤	١٩	للامر	الامر
١٤٤	٢٠	بالمعروفة	المعروفة
١٥٠	١٠	منه	منها
١٥٤	١١	وثقنا	ووثقنا
١٥٥	٢٣	تكاليفها	تكاليفه
١٥٦	١	منع	صناعة
١٥٨	١٣	واحدة	واحدة متناسقة
١٦٠	١١	من الزيادة المضرة على تكاليف	من المضرة بزيادة تكاليف
١٦٨	١١	دينها	دينه
١٦٨	١٩	ولا تقلب التوازن	ولا نقلب بذلك التوازن
١٦٩	٢١	١٩٣٣	١٩٢٩
١٨٠	٢١	بذلك على استقلالها	بذلك استقلالها
١٨١	٤	اليها دون	اليها من دون
١٩٤	٥	وتحسين اقتصادياتها	وتحسين زراعتها واقتصادياتها

١٩٥ ٨ سقطت هذه الجملة برمّتها — ام اذا كان سلاحها بيد من لا يحسن استعماله » بعد هذه الجملة : « اذا لم تهرم فتضعف قواها »

وقد بقي بعض اغلاط مطبعية لا تخفى على القارئ اللبيب

فهرس الكتاب

باب القصص صفحة ٧ — ٢٩

امانة كلب . الاكتيل الدرزي . الرجل والحمار والخروف . الخليفة والفتح بن الخاقان . عاقبة البخل . الاخاء في السراء والضراء . نادرة عن فريدريك الثاني ملك بروسيا . صيد الدب وبيع جلده قبل صيده . الملفوف . الذئب وقطيع الغنم . كتاب لصديق . العقد الثمين . الطمع مجلبة الندم . اليهود والدنيا . الشيخ والثلاثة غلمان . اياس وناكر الوديعة . الملك واليهودي السارق والارادة . المال وكثرته . الهم والوسوسة يهزلان جسم الانسان . اوزوب الحكيم « لقمان »

باب

قطع من التاريخ الحديث صفحة ٣٢ — ٤٦

موقعة اوسترليتس المشهورة سنة ١٨٠٥ . — حالة الفرنسيس بعد خراب موسكو ورجوعهم الى بلادهم سنة ١٨١٢ . — عودة بونابرت من جزيرة الب سنة ١٨١٥ . — حماسة الفرنسيش ايام ثورتهم الكبرى سنة ١٧٨٩ حرب نابليون في اسبانيا سنة ١٨٠٨ — ١٨٠٩ . — حصار سرقسطه . — حرب الجزائر سنة ١٨٢٦ — ١٨٣٠ . — حرب نابليون في ايطاليا سنة ١٧٩٦ — ١٧٩٧ . بعض ما جرى للجيوش الفرنساوية ايام كان بونابرت يحارب في مصر وسوريا سنة ١٧٩٨ — ١٧٩٩

باب

المقالات والمنفرقات والابحاث

صفحة ٤٨ فضل المتقدمين على المتأخرين . — ٤٩ التواضع والكبر .

٥٤ رواية الاختين . ــ ٦٥ صيد الافعى ذات الاجراس في اميركا . ــ ٦٨ امرأة تقود ثورة . ــ ٧٠ كساد حالة الاسواق . ــ ٧٣ تعليق على ما تقدم . ــ ٧٧ السوريون . ــ ٨٨ نبذة عن تاريخ مملكة السويس وغليوم تلّ محررها . ــ ٩١ الاحسان واستعماله . ــ ٩٤ حالة البلاد السورية اللبنانية الاقتصادية . ــ ١٠٤ تعليق على المقال المتقدم ذكره . ــ ١٠٧ حائط المبكى ١١٢ تناقض مصالح الدول الخمس في المؤتمر البحري سنة ١٩٣٠ . ــ ١٢٨ تعليق على المقال السابق . ــ ١٢٩ لماذا تعقد المؤتمرات . ــ ١٣٠ تمزيق المعاهدات ١٣١ صيانة الكيان غريزة في الانسان . ــ ١٣٢ نبذة من تاريخ الهند . ــ ١٣٥ كيف امتلك الانكليز الهند وما هنالك : كيف امتلك الانكليز الهند . ــ ١٣٩ الضائقة المالية في اميركا سنة ١٩٣٠ ــ ١٩٣١ . ــ ١٤١ مشروع السنوات الخمس لروسيا . ــ ١٤٥ العمال في روسيا يسخرون . ــ ١٤٥ هل تحذو الدول حذو اميركا في اشهار الحرب التجارية على السوفيات؟ . ــ ١٤٧ ما هي غاية روسيا في تنفيذها مشروع الخمس سنوات . ــ ١٤٩ تجارة روسيا من دواعي الدعاية للبلشفكية . ــ ١٤٩ دقة على الحافر ودقة على المسمار . ــ ١٥٠ هل تعود اميركا بصفقة المغبون من مشروعها في انعاش الاسواق واعادتها الى سابق عهدها : ما هي العثرات المعترضة في سبيل هذا المشروع : هل يمكن ازالتها وكم يستلزم ذلك من الوقت ؟

١٥٤ تعليق على ما تقدم . ــ ١٥٦ عهد الاختراعات . ــ ١٥٦ عهد استبدال المواد الاولية التي تنتجها يد الانسان العاملة بغيرها من المواد الاولية التي تنتجها الارض بنفسها . ــ ١٥٧ نظرة في تحليل ازمة الضائقة وطرق علاجها ١٦١ كيف ينجو التاجر من الضائقة المالية ؟ ــ ١٦٣ زرّاع البندورة . ــ ١٦٨ جهود الرئيسين هوفر وروزفلت لمكافحة الضائقة المالية في اميركا ونتائجها منذ سنة ١٩٣٠ الى يومنا هذا . ــ ١٧٠ تمهيد ــ لماذا احتمل الشعب الاميركي بصبر عجيب متاعب الضائقة ؟ ــ « الكويكر » وميزات الامة الاميركية . ــ ١٧١ كيف تحمل الشعب الاميركي شدة الضائقة ــ اساليب مكافحة الضائقة الاقتصادية

في اميركا ونتائجها . — ١٧٢ هوفر واساليبه منذ ١٩٢٩ — ١٩٣٤ — وروزفلت واساليبه منذ ١٩٣٤ الى يومنا هذا : جمع الذهب : تخفيض قيمة الدولار : ادارة الانعاش الاقتصادي الاهلي : في سبيل ارضاء العامل والمتمول : تقليل ساعات العمل وتحديدها : اجور العمال : المساواة بين العامل والمتمول ومشاركتهما : الفلاح الاميركي : الملاك الصغير : الموازنة بين المنتجات والاستهلاك : روزفلت يحتكر الادمغة المفكرة : خلق اشغال للعمال العاطلين

١٧٨ التطور في الرقي الصناعي والزراعي وانتشاره بين الامم وانتقال ادواته اليها هو من اسباب الضائقات العالمية الاقتصادية . هل تعود الحالة الاقتصادية في اميركا والعالم كما كانت عليه من قبل بعد زوال الضائقة الاقتصادية الحالية ؟

١٨٢ لتكشير الغاضبة . — ١٨٥ دوام حركة الحالة الاقتصادية وما تحدثه في تقلب اطوارها من رخاء او ضيق اقتصادي وتغير في اوضاع الانظمة الاجتماعية والمعاشية والسياسية

١٨٧ المعيشة في الحقول والمزارع تقيك متاعب وبلايا الضائقات الاقتصادية

١٩١ — **الاستاذ اميل اده** والسياسة اللبنانية

الازمات التي يعانيها لبنان وهل يمكن معالجتها ؟

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00491261

A.U.B. LIBRARY

CA
892.78
F526fA